

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٦٤) ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

علي أحمد باكثير

رائد قضية فلسطين في المسرح العربي

د. محمد أبو بكر حميد

القدس في القصة العربية القصيرة

د. إبراهيم خليل

القدس بين شعراء الشعوب الإسلامية

زكريا عمر

القدس في نماذج من الرواية العربية

د. محمد صالح الشنطي



إهـــداء ٢٠١٠
جمعية رابطة الأدب الاسلامى
القاهرة
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
من الشعر الإسلامي الحديث
مختارات من شعراء الرابطة
نظرات في الأدب
رياحين الجنة
دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث
النص الأدبي للأطفال
ديوان البوسنة والهرسك
لن أموت سدى
يا إلهي!
يوم الكرة الأرضية
مدائن الفجر
العائدة
محكمة الأبرياء
الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني
حديث عصري
في ظلال الرضا
في النقد التطبيقي
الشيخ أبو الحسن الندوي
بحوث ودراسات
القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر
محمد مصطفى هدارة
بحوث ودراسات
رواية معسكر الأرامل
قصة يوسف في القرآن الكريم
قصص من الأدب الإسلامي
الآمال صارت آلاماً
نحو كوكب الحرية
مملكة النحل
أقباس

بسم الله الرحمن الرحيم

القدس بين الفتح والاحتلال

ما من شك في أن القدس عربية منذ أقدم الأزمان، وكانت الهجرات العربية تتوالى إليها من جنوب الجزيرة العربية على مر القرون، وأما وجود اليهود فيها فقد كان فترة عارضة ما لبثوا أن طردوا منها على يد البابليين شر طردة.

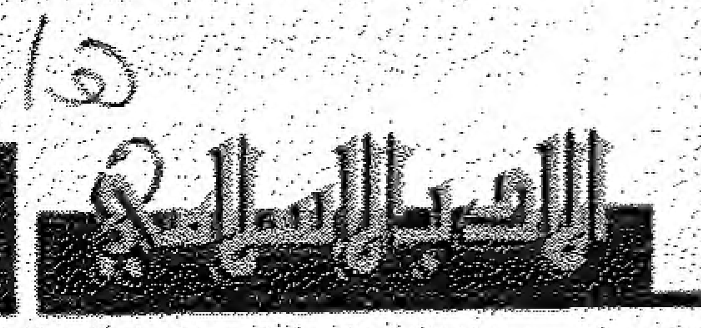
ولنترك تلك العصور الموغلة في القدم لنتحدث عن القدس بين فتحين واحتلالين. فأما الفتح الأول فهو الفتح الإسلامي الذي كان على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث تم إجلاء الرومان المحتلين للقدس، وأما الفتح الثاني فقد كان على يد صلاح الدين الأيوبي الذي استرد القدس من أيدي الصليبيين، وكان الفتح الأول والثاني مضرب المثل في الرحمة السماحة والعفو أسوة بسائر الفتوحات الإسلامية التي جعلت غوستاف لوبون يقول: (ما عرف العالم فاتحاً أرحم من العرب).

وأما الاحتلال الأول بعد الفتح الإسلامي فقد كان على يد الصليبيين الذين شهد عليهم مؤرخوهم بأن خيولهم كانت تزلق في شوارع القدس من كثرة جثث القتلى من المسلمين، سواء كانوا من المقاتلين أم من السكان الآمنين شيوخاً ونساء وأطفالاً.

وأما الاحتلال المعاصر فهو الاحتلال الإسرائيلي الذي ارتكب من المجازر في القدس وخارج القدس ما لا يقل عن مجازر الصليبيين، وها نحن أولاء اليوم نتابع مآسي الاحتلال الظالم أمام سمع العالم وبصره، وعلى غفلة من ضمير الأمم المتحدة بل وعلى تواطؤ من بعض الدول الكبرى التي تستغلها إسرائيل أحياناً بينما تحاول بعض تلك الدول أو يخيل لها أنها تستغل إسرائيل حيناً آخر.

وأهل القدس وفلسطين إزاء تلك المأساة التي طال عليها الأمد في شقاق دائم وتناحر متجدد، والأمة العربية والإسلامية بين العجز والتقصير إلا من رحم ربك من قلة تحاول بذل ما في وسعها، وتصدها عما تريد فتن تجعل الحليم حيران، ولا يكاد يتبين فيها أحد سبيل الرشاد، وإنما الأمر بكل ما فيه ابتلاء من الله لأمة العرب ولأمة الإسلام أن يستمروا تحت نير ذلك البلاء وناره إلى أن يعودوا إلى الله عوداً رشيداً وهم الذين يقرؤون في كتابه العزيز: ﴿... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢﴾ (الطلاق)، وقوله عز وجل: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ... ۝١١﴾ (الرعد).

رئيس التحرير



مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (١٦) العدد (٦٤)
شوال - ذو الحجة ١٤٣٠هـ
تشرين الأول (أكتوبر) - كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٩م



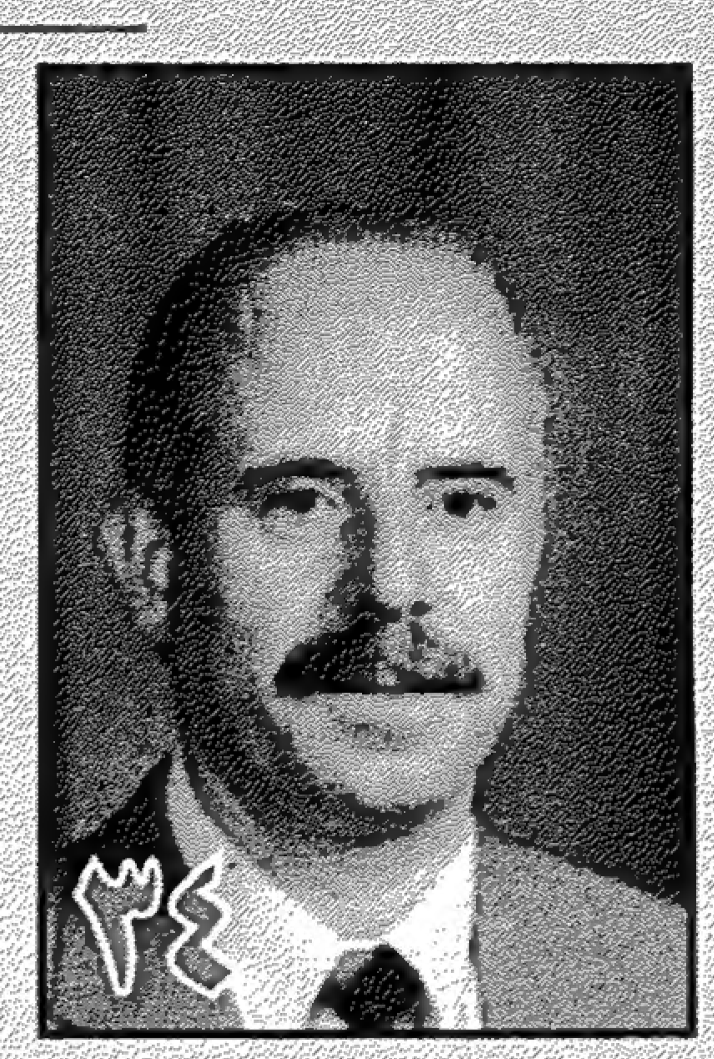
المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

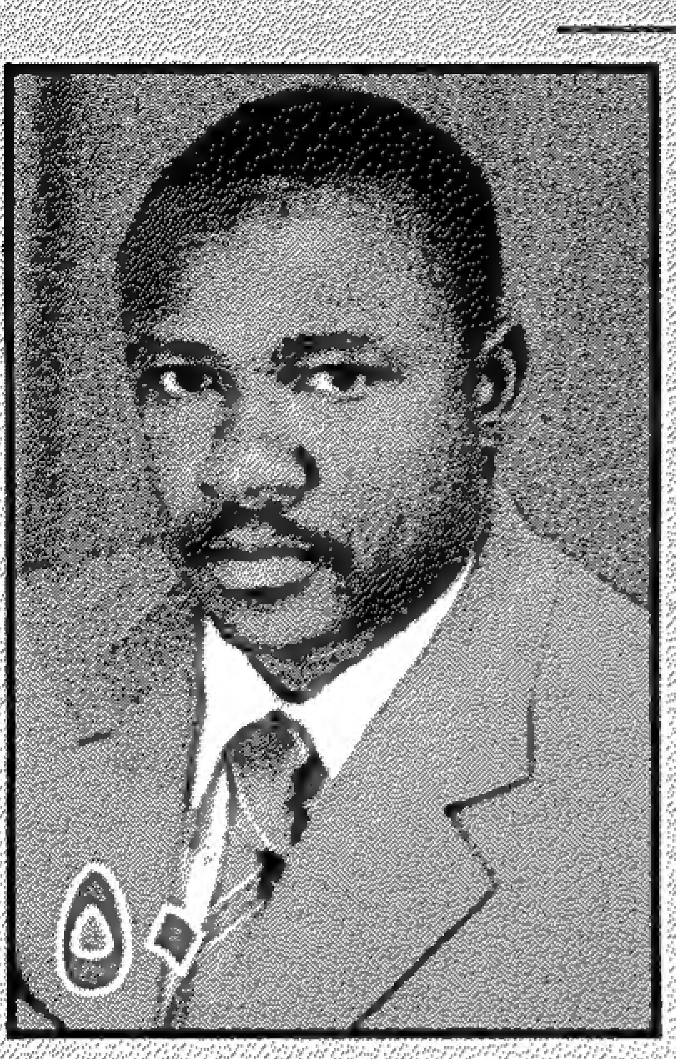
الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أومايعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أومايعادلها، اليمن ١٥٠ ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

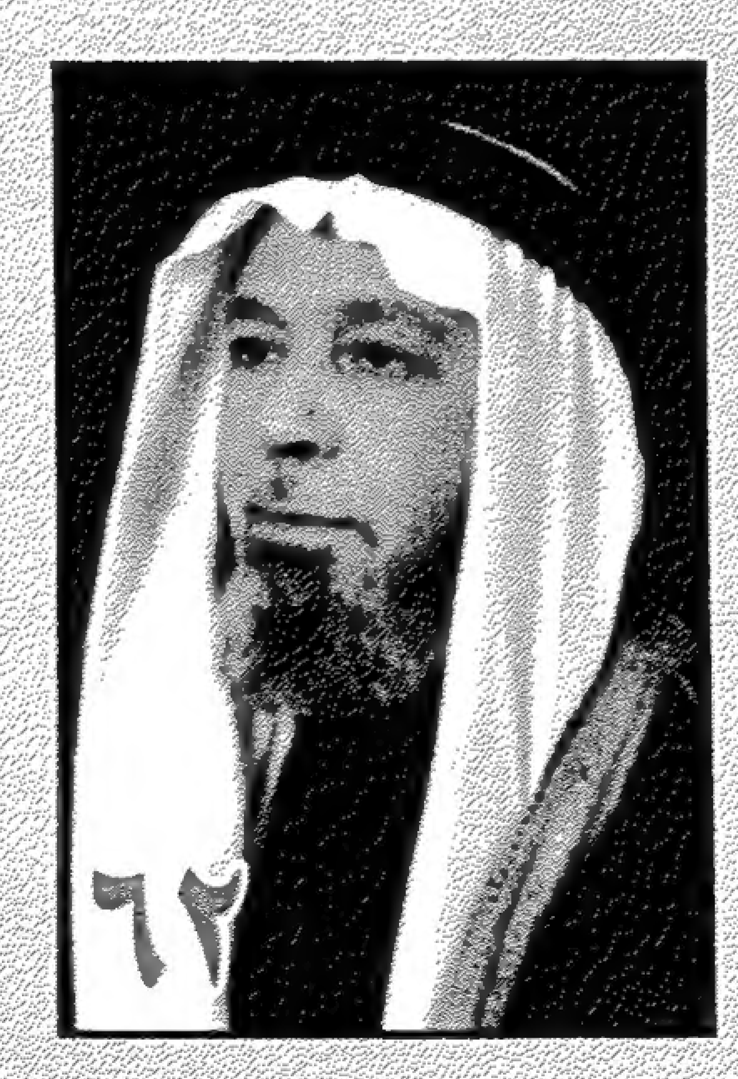
من كُتّاب العدد



د. أحمد زياد محبك



د. النوراني جبير



د. عدنان علي رضا النحوي



د. أحمد عبدالله السالم

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثيا مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

في هذا العدد

دراسات ومقالات

الشعر

القصة والمسرحية

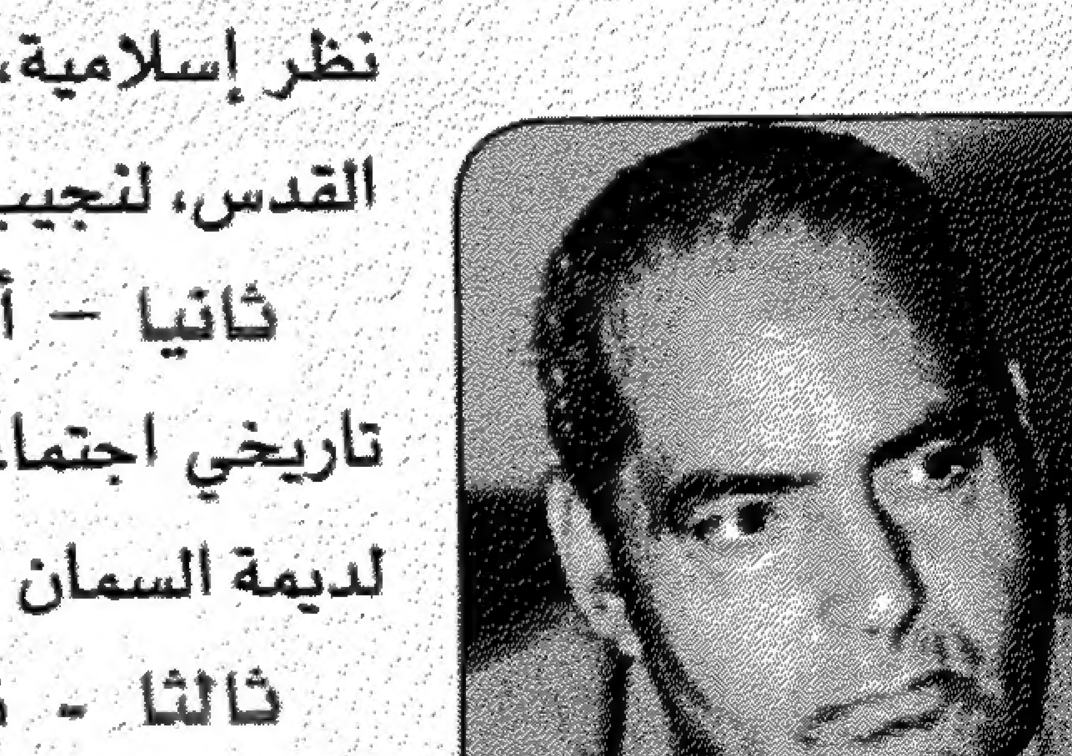
الأبواب الثابتة

دراسة

القدس

هناك مايربو على مئة رواية كتبت عن القدس في اللغة العبرية، بينما مانشر من أعمال روائية عربية في هذا المجال لايتجاوز عشر روايات في أحسن الأحوال، وهي متعددة الاتجاهات والمشارب والأهواء، وسأحاول أن أختار منها بعض النماذج لأتوقف عندها مقاربا لوجهات النظر التي طرحت من خلالها، ويمكن رصد أهم اتجاهاتها من حيث المبدأ على النحو التالي:

في نماذج من الرواية العربية



د. محمد الشنطي - الأردن

أولا - روايات تنطلق من وجهة نظر إسلامية، مثل رواية عمر يظهر في القدس، لنجيب الكيلاني.

ثانيا - أعمال روائية ذات طابع تاريخي اجتماعي مثل رواية برج اللقلق لديمة السمان

ثالثا - نصوص روائية علمانية تؤكد الطابع الإنساني العام، مثل رواية مصابيح أورشليم لعلي بدر

رابعا - روايات ذات طابع تعليمي مثل رواية عش الدبابير لجميل سلحوت.

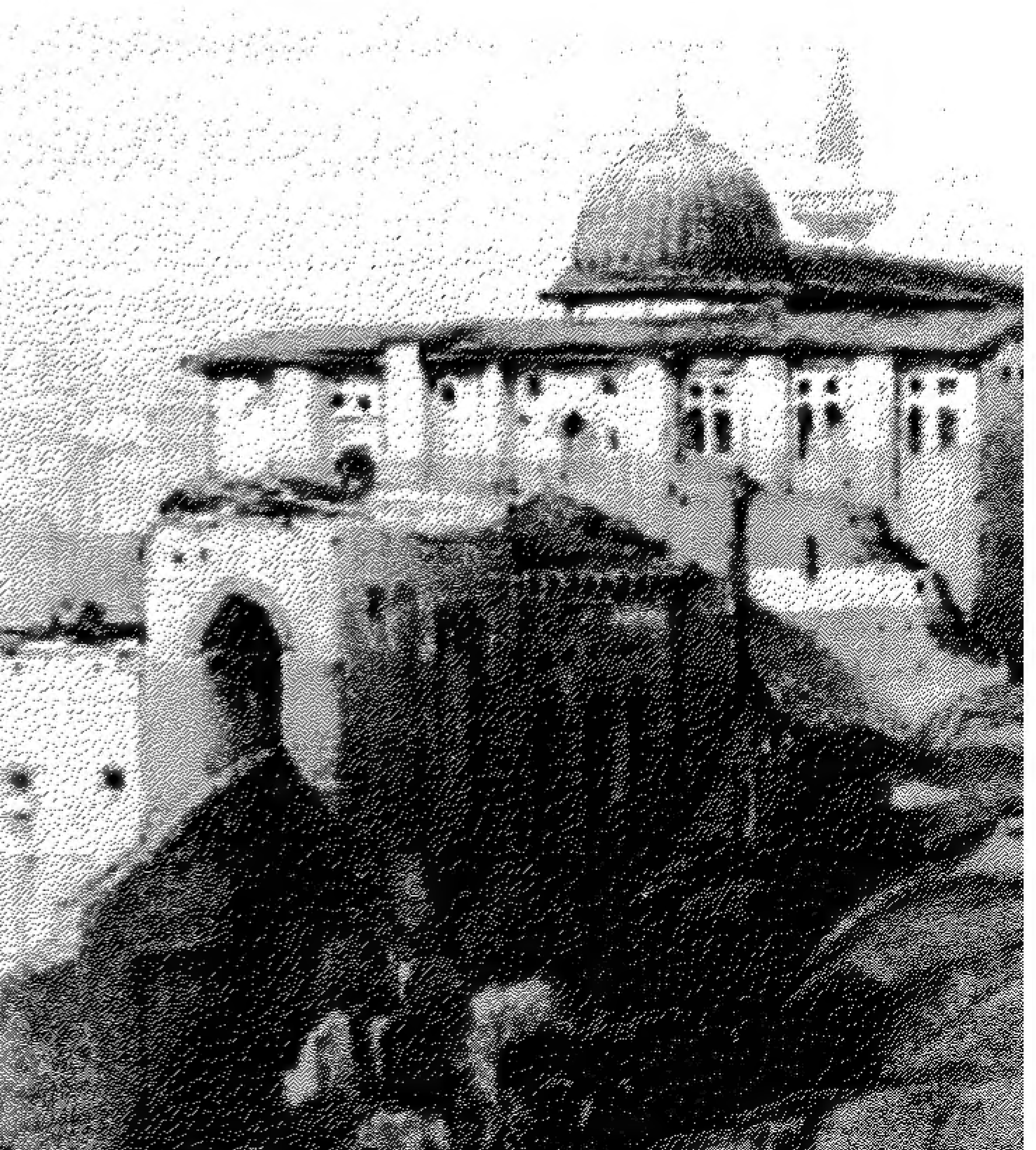
رواية عمر يظهر في القدس للكيلاني

وربما كانت أقرب هذه الأعمال الروائية إلى الرؤية الإسلامية رواية نجيب الكيلاني عمر يظهر في القدس(1)، وأهمية هذه الرواية تكمن - بالإضافة إلى منطلقاتها الإسلامية - في التقنية الحديثة التي استخدمها الكاتب، والتي تعرف في أدبيات النقد بالغرائبية أو

(الفانتازيا)، وتلامس سقف مايعبر عنه أحيانا بالأسطرة، وإن كانت هذه المصطلحات مجافية للرؤية الإسلامية غير أن الكاتب من الذكاء بحيث جعل من الأحداث الغرائبية حلما رافعا الحرج الشرعي عن نفسه. فالفكرة الرئيسة في الرواية تتمثل في ظهور الخليفة عمر بن الخطاب في القدس بعد نكسة عام ١٩٦٧، لتبدأ الأحداث وهو بصحبة الراوي الذي يقوم بدور السارد (المشارك) فهو ينتمي إلى المقاومة التي تشكلت في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧، وفي ذلك دلالة رمزية عميقة، فظهور عمر ابن الخطاب في القدس يفجر المفارقة التاريخية الهائلة التي تتمثل في الفاتح الأول المؤسس للوجود العربي الإسلامي في هذه المدينة المقدسة، واللحظة التاريخية التي تنتكس فيها الأمة عبر تفريطها في قبلتها الأولى ومسرى نبيها الكريم ﷺ، وظهور عمر (رضي الله عنه) إلى جانب أحد رجال المقاومة فيه تعبئة معنوية مقصودة من قبل الكاتب لأنها تحدد الخيارات المطروحة أمام الأمة، وهي تتلخص في خيار واحد محدود، وهو مقاومة المحتل، ورصد ردّات الفعل المختلفة أمام هذا الحدث بين مصدّق مؤمن بقدرة الله، ومكذب مستهزئ بالإغراق في الغيبيات يكشف عن حالة الاضطراب الشديد وفقدان الاتجاه التي سادت في أعقاب الانتكاسة التي زلزلت الثقة في النفوس، وهنا مكمن الخطورة، لقد بدا واضحا أن الأمر يتعلق بهزيمة نفسية وروحية في مرحلة ساد فيها الإحباط الشديد، فكان لابد من الاعتصام بالدين واسترجاع الثقة عبر رمز من رموز العزة باستحضاره في تلك اللحظة العصيبة، واصطحابه للمقاومين في إشارة بالغة الدلالة على الطريق المفضي إلى استعادة القدس بالطريقة ذاتها التي استخدمها قائد هذا الفتح المبين.

وتتعاظم المفارقة حين تجد من يتهم هذه الشخصية بالعمالة للمخابرات الإسرائيلية، وتزداد الأحداث تسارعا وتعقيدا حينما يلتقي عمر بالفتاة اليهودية راشيل التي تعلقت بشخصية عمر (رضي الله عنه) وحكمته البالغة وأسلوبه في التعامل، وتبدي إعجابها به وبالقيم التي يحملها فتتأثر به، وتسلم على يديه مما يثير العديد من التساؤلات حول شخصية راشيل وحول علاقتها بالمخابرات الإسرائيلية التي استفزها ظهوره (رضي الله عنه) على هذا النحو غير المسبوق في المجتمع ووسائل الإعلام، لكن ما قطع الشك باليقين محاولة اغتيالها من قبل الموساد الإسرائيلي، وقد أفضى ذلك إلى أخذ الحيطة والحذر وانتهى الأمر باختفاء عمر فجأة بعد أن تم تهريبه إلى خارج فلسطين، من قبل الراوي والطبيب محمود عناني والممرضة رجاء والطبيب عبد الله وهيب الذي عدل عن ماركسيته بسبب تأثره البليغ بعمر.

وهذا يعني أن ظهور عمر في القدس كان عامل تغيير جذري في ثقافة الكثيرين سواء من الأعداء اليهود كما هو الحال بالنسبة لراشيل أو من العرب الفلسطينيين كما حدث فيما يتعلق بالتحول من الماركسية إلى الإسلام، ولكن النبرة كانت عالية بعض الشيء عند الراوي الذي وصفه بقوله: «تصدر الكلمات من بين شفتيه قوية رصينة، تفوح منها رائحة الصدق والجلال بريئة من الشك والريبة، خالصة من كل بهتان»[٢] وكان يكفي أن يترك الفعل داخل الرواية يفضي بذلك. وكذلك في قول عمر لرجل المخابرات بعد أن سأله عن الفتوحات في عهده وكيف تم الانتصار رغم قلة العدة والعتاد:



«كنا دعاة قبل أن نكون محاربين، حملنا إليهم نور الله.. أسعد لحظاتنا كانت يوم أن يأتي رجل يعلن إيمانه.. كنا نفرح بذلك أكثر من فرحنا بالاستيلاء على حصن أو هزيمة جيش..» وتطلع عمر إلى السماء وقال:«كانت بغيتنا أن نثبت اليقين في القلوب قبل أن نثبت أقدامنا على الأرض المفتوحة.. أصبح الذين آمنوا جزءا من جيشنا.. »(٣).

نشرت الصحف كتابات تنال من استقامته وتشوه سمعة راشيل:«هذه جريمة يعاقب عليه الشرع، كيف يرمون فتاة بهذا الادعاء؟«وبعد أن أردف الراوي في تحد:« هي المسؤولة يا أمير المؤمنين» صمت عمر برهة وبدا على وجهه التفكير والحيرة:«لعلها مظلومة يا فتى».(٤).

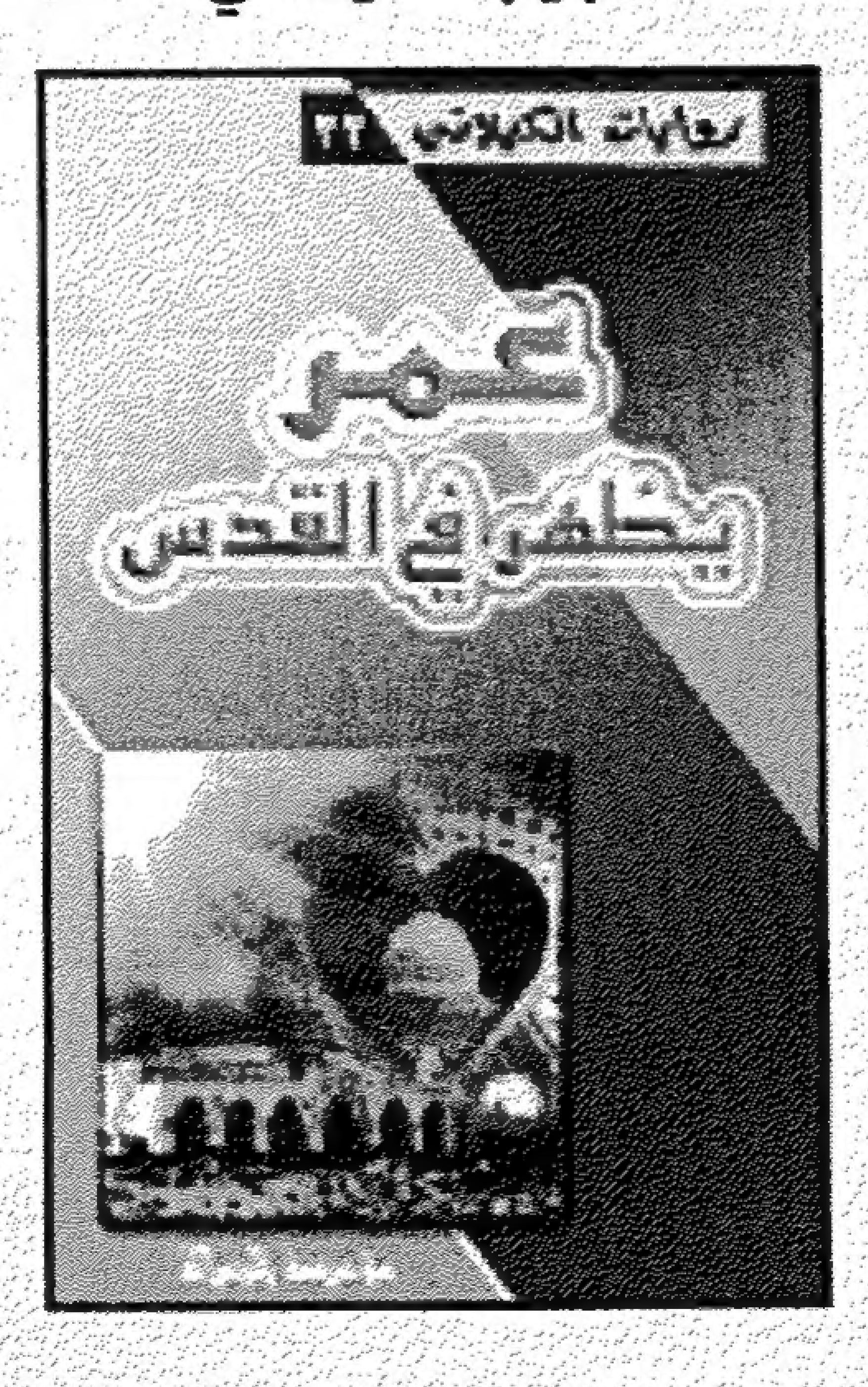
بدت في أحاديث الراوي نزعة تعليمية لاتحتملها الرواية كفن، ولا تتصل بطبيعة ما حدث للقدس كرمز، وإنما كان الاهتمام منصبا على عمر (رضي الله عنه) بوصفه ممثلا للدين الإسلامي القويم، وموقف عمر بن الخطاب مما نشر عن الفتاة وانتصاره لها كما صوره الراوي يحدث خللا في السياق الجمالي للرواية.

ومما أخل بفنية القصة ما أورده المؤلف على لسان مرافق الخليفة:«أصول السياسة الحديثة يا أمير المؤمنين تقتضي التأني الزائد حتى نكمل العدة ونكتسب تأييد الرأي العام العالمي»،

قال عمر في أسى:«الرأي العام.. يا لها من مأساة.. استمع إلي جيدا.. الكفر ملة واحدة» ويبدو هنا وكأنه يعبر عن رأيه هو إذ حول شخصية عمر إلى قناع فكري يتستر وراءه.



نجيب الكيلاني



لقد حشد الكاتب الكثير من المعلومات في الرواية، فذكر كيف أن شاعر اليهود كعب بن الأشرف كان يشبب بنساء النبي، وأن حيي بن أخطب سجد لأصنام قريش ليؤلبهم أكثر على محمد ﷺ:

«هم دائما هكذا.. يلجؤون إلى أخس الحيل وأدناها.. أنا أعرفهم من قديم.. المعركة كانت ومازالت عنيفة.. يضرب العدو فيها بمختلف الأسلحة.. حديد وخبث وأكاذيب» (٥).

و يلجأ الكاتب إلى الكشف عن مادية اليهود وإعلائهم من شأن المال وجشعهم، فيصورهم بأنهم لا يقيمون وزنا حتى لعاطفة الأبوة أو الأمومة، فبعد أن شاع أمر إسلام راشيل وعلاقتها بأنصار عمر، وصارت الصحافة تلاحقها من أجل إجراء اللقاءات معها طلبا للإثارة والترويج التجاري المحض، تقول أم راشيل:«أرى أن تكتب راشيل مذكراتها، وتبيعها لكبريات الصحف، وبذلك نجني من ورائها ربحا كثيرا.. أما أبو راشيل فيقول لها:«تستطيعين أن تستغلي الموساد، فتسأله:كيف؟ فيجيبها بجشع واضح: لا تعطيهم شيئا إلا بثمنه».

ووالدا راشيل هذان يعلمان أنها كانت عميلة للمخابرات، وأنها مثلت أدوارا لا تليق بإنسانيتها، وهما يعلمان بعلاقتها السابقة بضابط المخابرات الإسرائيلي السكير «إيلي»، لذا فهما لا يثقان في إسلامها، ويعتبرانه دورا مخابراتيا ليس إلا.. فلم يستطيعا أن يستوعبا التحول الذي انتابها.

يورد الراوي على لسان أحد رجال المخابرات الإسرائيلية مخاطبا زميله قوله تعقيبا على ظهور عمر (رضي الله عنه) في

القدس«هذا الشيخ يتقمص شخصية عمر بن الخطاب.. في الحروب العتيقة تظهر الأمراض الغريبة.. الهزيمة أثرت على أعصاب العرب وهم ولوعون بالماضي والبطولات القديمة.. يجترونها في ليالي الأحزان» يعكس المؤلف بهذا القول نظرة اليهود للعرب واستهزاءهم بهم، وهي في الحقيقة عبارة تعكس رؤية الكاتب للتحدي الذي تواجهه الأمة جراء تلك النكسة.

قال الطبيب وهيب عبد الله ذو التفكير الماركسي مبديا رأيه في عمر، في حوار مع زملائه: «لاشك أنه أحد عمالقة اليسار في الإسلام وكذلك رفيقه أبو ذر الغفاري، يساريته كانت نقطة تحول في الكيان الاقتصادي والبنيان الاجتماعي والطبقي آنذاك».

وهذا القول يقود إلى حوار فكري لا ينسجم مع طبيعة الرواية، فضلا عن أنه من المقولات الشائعة في أدبيات الماركسيين العرب، ولا يخدم الرؤية المركزية في هذا العمل الروائي.

قال أحد قساوسة كنيسة القيامة: «أنا أحترم عمر ولا أشك في نظافته، إنني لا أتفق معه في العقيدة، لكنه إنسان كبير، رفض طلب البطريق الصلاة في الكنيسة عندما حان وقت الأذان.. أبى أن يصلي بها احتراما لمشاعرنا» (٦).

لقد أراد الكاتب أن يستحضر موقف عمر بن الخطاب في القدس لهدفين: الأول لتأكيد حقيقة الوجود الإسلامي في القدس، حيث كان المسلمون فاتحين ظافرين، وكيف تعاملوا باحترام مع كل الطوائف وحرصوا على حقوقهم، ويقارن بين هذا الموقف الإنساني النبيل للمسلمين وموقف اليهود المغتصبين الذين امتهنوا حقوق الفلسطينيين في القدس وعملوا على تهويدها. والهدف الثاني حث المسلمين على مقاومة المحتل لاسترجاع مجدهم وحقهم في القدس.

وقد حشد المؤلف مشاهد حوارية مختلفة في الرواية، وللحوار دلالاته، فهو يكشف من خلاله عن جوهر السلوك الإسلامي مقارنة بالقيم السائدة على نحو ما تخيل أنه دار بين راشيل وبين عمر (رضي الله عنه) حيث:

«تقول: راشيل: حسنا، لنكن أصدقاء.

فيرد عليها: وكيف تأمنين على نفسك مع رجل قد تراوده أمنيات طائشة؟

- إنني أثق فيك.

فيقول: وأنا أرفض هذه الصداقة المشبوهة.

فتسأله:

- أدينك يأمرك بذلك؟

- ديني يأمرني بألا ألقي بنفسي إلى التهلكة، ولا أقترب من الشبهات..»

ويستمر الحوار على هذا النحو، فيشرح لها بعض الأمور، ومنها ما حدث لأصحاب الكهف، وعزير، وخلق آدم... وبعد تتابع الأحداث وتعرّف راشيل على عمر أكثر، يدور هذا الحوار:

- أنت رجل صادق مؤمن.. لا تهاب أحدا إلا الله.

- أجل .

- جئت منزها عن كل غاية دنيوية منحطة.

- أنت تقتربين.. أتؤمنين بالله؟

- أؤمن به الآن.

- لماذا؟

- لأني رأيت إيمانك ينعكس عليك بالحق والخير والجمال.."

ويمضي الحوار في هذا الاتجاه إلى أن تعلن راشيل إسلامها على يد عمر.

ومن الواضح أن الكاتب يستعيد النهج الإسلامي في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن بأسلوب مباشر قد لا يتسق مع جماليات الرواية بوصفها فنا، كما أن بعض العبارات التي وردت على لسان هذا الصحابي الجليل تحتاج إلى مراجعة، وهنا تكمن الخطورة في التعامل الروائي مع شخصيات الصحابة رضوان الله عليهم، فاستحضارهم في مثل

هذه الأعمال الروائية له مخاطره الشرعية الموضوعية، وله محاذيره الفنية، فأنى لكاتب، حتى وإن كان في حجم نجيب الكيلاني أن يتجنب مثل هذه المحاذير، من هنا كانت مشكلة الحوارات التي انطوت عليها هذه الرواية التي انصرفت جل الحوارات فيه إلى معالجة قضايا دعوية مفروغ منها مما يعرض العمل الفني إلى خطر التبسيط المخل، وهشاشة البناء الفني ووقوعه في أسر النزعة التعليمية، وهي نقيض البنية الجمالية؛ فضلا عن تعريض الرواية لشروخ في وحدتها وتماسكها حيث تتشتت في اتجاهات متعددة وحول موضوعات مختلفة، إذ كان يفترض أن تكون الرواية ذات محور رئيس هو وقوع القدس في قبضة اليهود، وسبل إنقاذها؛ كما أن اللجوء إلى التشكيل الغرائبي (الفنتازي) ربما يوقع الرواية في مخاطر التصادم مع بعض الرؤى الشرعية فتثير جدلا لامبرر له، ولكنه اختار- كما أشرت - توظيف البنية الحُلمية لأنها أكثر أمانا، فإذا ما تمعنا في هذا المقطع الحواري الذي يدور بين عمر والصحفيين، وهو حوار فكري ذو طابع جدلي ستتضح لنا المحاذير التي تحدثنا عنها بجلاء:

- الصحافة في خدمة الحق الحق..

- رأيت بنفسي كثيرا مما تسمونه حقيقة فإذا به زيف وكذب.

- أكنت ملكا؟

- بل خادم أمة محمد.

- ما رأيك في الصلح.. ؟ صلح إسرائيل مع العرب؟

- كيف يتم صلح بين اللص وضحيته؟

- لماذا قتلك أبو لؤلؤة المجوسي؟

- ولماذا قتل آباؤكم الأنبياء؟

- كنت تكره يهود الجزيرة؟

- كنت أكره الظلم والفساد والخيانة

- أنت متعصب..

- للحق وحده.

- أنت واصلت الحروب، وأسلت الدماء..

- قال لي الجراح:لابد من استئصال الزائدة الدودية الفاسدة كي تعيش..»

كما أن الزج بعمر الخطاب في مناقشة قضايا مفروغ منها(٧)، ولا تشكل موضوعا للخلاف أو النقاش يعرض الرواية لخطر الانزلاق في السطحية وهشاشة البنية الفنية كما جاء في الرواية حول رأي عمر في الطابعة وفي الوسائل الحديثة التي لم تكن معروفة في العصور القديمة: «أبدى عمر سروره لهذا الاختراع العجيب وازداد عجبه حينما علم أن آلة الطباعة تستطيع أن تنجز عشرات الألوف من النسخ في وقت قصير:

- إن مثل هذا الاختراع يذيب الحواجز والحدود ويقصر من المسافات.

الهاتف:

- هذه آلة عجيبة لنقل المسافات، سبحان المنعم!

السينما:

- أتعتبر السينما رجسا من عمل الشيطان؟

- السينما ككشف علمي مفخر، لكنكم ملأتم الوعاء بالقاذورات والأوبئة.

- «صاروخكم أو بعض طائراتكم تقطع المسافة بين مكة وبيت المقدس في وقت قصير.. وتتساءلون أكان إسراء الرسول بالروح أم بالجسد؟!».

وقس على ذلك الحوارات المختلفة التي دارت حول الفطرة السليمة، وحول موضوعات متعددة، الأمر الذي أوقع الرواية في شرك الذهنية المجردة والتعليمية المحضة والوعظية المباشرة، وهي مسائل يتلطف الإبداع الروائي في استثمارها، ويحقق مضامينها من خلال التشكيل لا التقرير.

◁◁ رواية «كريماتوريوم» للكاتب الجزائري واسيني الأعرج

من الأعمال الروائية التي كتبت عن القدس ما أخذ طابعا إنسانيا يتجاوز المأساة الوطنية في بعدها العربي والإسلامي، وينظر إلى

المسألة من وجهة نظر مجردة من إطارها العقدي والتاريخي، مثل رواية "كريماتوريوم"(٨) للكاتب الجزائري واسيني الأعرج الذي يروي قصة سيدة فلسطينية تنتمي إلى أصول بربرية كانت تقيم في فلسطين، غادرت القدس متنكرة حتى لا يقتلها جنود الهاجاناه وهي في سن الثامنة بعد أن وقعت الهزيمة عام النكبة ١٩٤٨، أقامت في أمريكا وأصبحت فنانة تشكيلية، وشدها الحنين بعد أن أفل نجمها، وأوشكت على الرحيل، فأرادت أن تدفن في القدس، ولكن السلطات الإسرائيلية المغتصبة حالت دون تحقيق حلمها الأخير، وهذا أقسى ما يمكن أن يعانيه إنسان أن يحرم - حتى في موته - من أن يدفن في وطنه، والقدس - هنا - ليس مجرد مدينة، بل هي رمز للوطن بعامة، بل يتسع الرمز ليصبح معنى دالا على الحق المصادر، وعلى الحرمان من الحقوق الإنسانية التي طالما تغنى بها الغرب، وأقام مبادئه الليبرالية على أساسها معليا من شأن الحرية الفردية وتقرير المصير، وهنا تبرز المفارقة التي تجمع بين النقيضين على صعيد واحد.

اسم البطلة مي، ونطالع تفاصيل مأساتها في كراسة زرقاء تذكرنا بكراسة بطلة توفيق الحكيم في روايته (الرباط المقدس)، تلك الكراسة التي تضمنت اعترافات البطلة بكل ما اقترفته من آثام، بينما تنطوي كراسة مي على يوميات الألم والمعاناة، ولكن لكل منهما تقنية جمالية وأسلوب من أساليب السرد التي من شأنها أن تنتشل العمل



واسيني الأعرج



الروائي من الحكائية التقليدية، ومن التقرير المباشر، وكراسة عبد الرحمن شكري التي اعتبرت فرارا من البوح والاعتراف الذي يجعل من العمل سيرة ذاتية من شأنها أن تحرج صاحبها، ومثل هذه الكراسات من تقنيات السرد المألوفة في الرواية العربية والعالمية، وكراسة مي التي تتضمن مذكراتها التي دونتها في مستشفى نيويورك المركزي بعد أن فارقتها الحياة يثبتها الكاتب واسيني الأعرج في الفصل الثاني من الرواية تحت عنوان مدونة الحداد في ٢٠/ سبتمبر /١٩٩٩، «وقد هدأ كل شيء بما في ذلك ضجيج الحياة، وتضاؤل سلطان الجسد»، وبينما هي توشك أن تعالج سكرات الموت تتصل بإحدى المؤسسات المعنية بشؤون الموتى، واسمها (إليس آيلند لمصاحبة الموتى إلى راحتهم الأخيرة) وسلمت جسدها ليوضع في كريماتوريوم، حيث يتم حرقه دون أن يبقى منه شيء إلا العظم، وتبلغ درجة الحرارة ثمانمئة وخمسين مئوية، وفي ذلك مفارقة صادمة مع الزعم التاريخي الذي تستثمره الصهيونية حول الهولوكوست اليهودي الذي روجت له مستفيدة مما يروى عن المحرقة التاريخية التي تعرض لها اليهود أيام هتلر فيما تروي المصادر اليهودية من أجل أن يصاب يهود ألمانيا بالرعب فيفروا إلى فلسطين أرض الميعاد.

ومهما يكن من أمر فإن كاتب الرواية أراد أن يفجر هذه المفارقة حين جعل البطلة (مي) تدرك أن أكبر محرقة يمكن أن يبتلى بها المرء حين تسرق أرضه ويرمى على حواف المبهم" الناس لا يدرون أننا لا نعود

إلى أرضنا الأولى لنموت فيها فقط، ولكن لنعيش جزءا جميلا في الهواء، نستقبل النسائم التي تأتي من وراء البحر الميت". فالمحرقة هنا تعبر عن الاستلاب الكامل، وعن افتقاد الأرض التي يفترض أن يدفن فيها الإنسان، وهي تعبير فني، وليس شعيرة دينية على النحو المألوف عند الهندوس، إن الكاتب يريد أن يقول: إن الإنسان بلا وطن لا وجود له، ولو أردنا أن نناقش المسألة من الناحية الشرعية فإن الأمر يبدو مختلفا.

لقد عكفت مي على الشروع في كتابة يومياتها مسجلة تفاصيل مأساتها عبر مرحلة من أهم مراحل حياتها وأكثرها حساسية ورهافة فالتقطت نبض لحظات نادرة لتقدم أقسى مشهد يمكن أن يطوف بخيال إنسان معذب - يقف على التخوم الفاصلة بين الحياة والموت - بأوهام وأساطير مختلقة لتشبع غرائز طائفة من الشوفونيين (العنصريين)، والمنحرفين الذين يلوذون بأكناف الصهيونية التي تحولت إلى عقيدة سياسية ترفدها أساطير التلموديين من أعداء البشرية المتربصين بكل ما هو إنساني، ولتنسى الموت بشهوة الكتابة كما يتخيل المؤلف، ولكن المسألة لاتتصل بنسيان الموت بقدر ارتباطها بتوثيق الظلم الواقع عليها، إنها تعبير عن أشد مفارقات العصر مأساوية، تميط اللثام عن حضارة تجمع بين نقيضين، حضارة تنتصر للمصالح المادية على حساب القيم الإنسانية، وإن كان الموت الذي تريد أن تنساه ليس نقيض الحياة؛ بل هو لون من ألوان الحياة التي يهون إلى جانبها الموت، فهي تقول: «وبالكتابة ربما استطعت أن أتخلص من بعض أنيني العميق، إن أسعفني الموت الذي يترصدني باشتهاء. الكتابة تفتح كل الجراحات المغلقة، وتدفع بعواصف الدم الجارف نحو الخروج للمرة الأخيرة».

وتسعى مي - عبر الكتابة - لاستعادة طفولتها في حارة المغاربة بالقدس، بدءا بسنة ١٩٤٧ حينما تقرر تقسيم فلسطين، فتذكرت حالة الحزن التي كانت تملأ الوجوه المرتعشة والتي اسودت فجأة وصارت كابية، فهذا القرار الظالم يعطي ما لا يملك لمن لا يستحق. ثم تاريخ ١٥ مايو ١٩٤٨ عندما أعلن الإنجليز انتهاء الانتداب بعد أن سلموا كل شيء لجنود الهاجاناه والأرجون والشتيرن. فقام الإنجليز ببيع الفلسطينيين لليهود، مما أكد لي يومها أن شيئا مهما في المدينة الطيبة التي كانت تسمى مدينة الله كان قد انكسر، وتعبير مدينة الله التي استخدمها الكاتب تعبير مضلل، فكل المدن لله، وفي هذا التعبير تغييب للخصوصية الإسلامية والوطنية، وتكريس للنهج الذي دأب الكتاب والمفكرون من أصحاب الهوى على إشاعته لتلافي استحضار هذه الخصوصية، وإذا كانت القدس بالفعل هي موئل للديانات الثلاث فإنها في العقيدة الإسلامية مرتبطة بخصوصية هذه العقيدة دون محو التاريخ من ذاكرة هذه المدينة، ولكن من غير المقبول تغييب هذه الخصوصية وإحلال الذاكرة التاريخية البحتة مكانها.

وفي الرسالة الثانية تعود لطفولتها بحي المغاربة بالقدس، وهي تقرأ الإصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى، فتحس براحة داخلية، وهي تقرأ نص النهايات في إشارة شديدة الوضوح إلى عتبات الموت. ومن الواضح أن البطلة هنا نصرانية المعتقد، وهذا يكسب القصة بعدا إنسانيا، ولكنه في المقابل يخدم ذلك التوجه الذي أشرنا إليه، فالحرمان طال أولئك المواطنين الذين يفترض أن ثمة انتماء عقديا يجمعهم، وهذا ما يعري الغرب، ويجرد الادعاء اليهودي من الزعم بأن إسرائيل كيان ينتمي إلى حضارة الغرب الديمقراطية، ويكشف الوجه المادي ولعبة المصالح التي ارتضت لهؤلاء أن يغضوا الطرف عن الممارسات العنصرية والمذهبية دون التفات لأي التزام ديني أو إنساني.

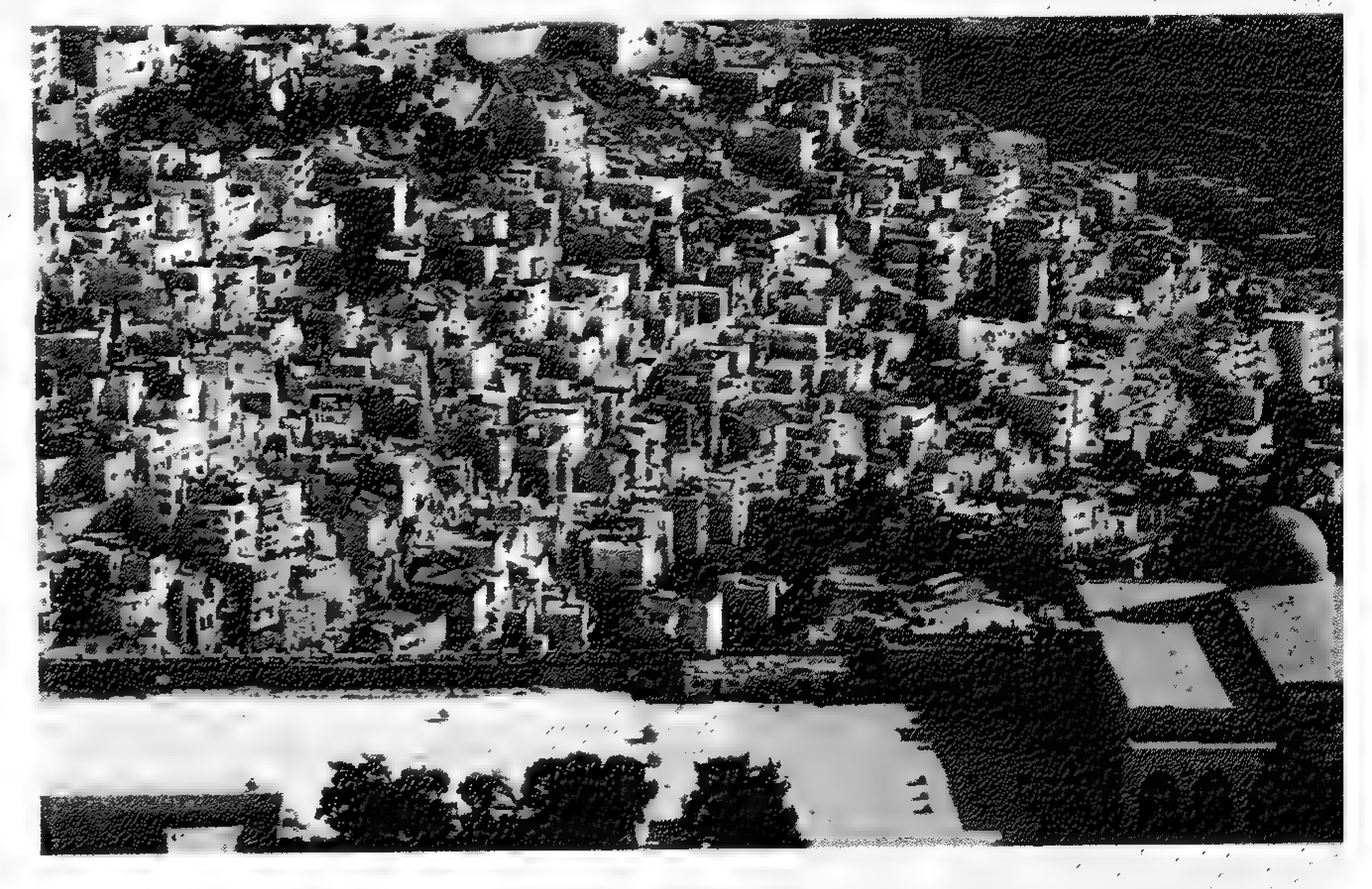
وفي رسالة أخرى تكتب عن هواجسها الفنية، عبر العنوان الذي أعطته لمرضها سلطان الحياة،

وواضح من هذا العنوان تعلقها بالحياة، وهو أمر طبيعي يذكرنا بمأثورات القول التي ترى أن الحياة حلوة خضرة، و«أن الدنيا كالماء المالح كلما ازددت منه شربا ازددت عطشا»، فرغم ملوحة، بل مرارة المأساة تظل مي متعلقة بالحياة تنشد بقاءها عبر الكتابة التي تستعيدها، تتحدث عن هويتها المبهمة، وهي ليست كذلك، فقد كرمها الله بأن جعلها تحمل هوية المستضعفين من أهل الأرض المقدسة، ثم كرمها بأن جعلها تنتمي إلى أرض الشهداء المرابطين في تلك البقعة القصية من المغرب العربي؛ ولكن الكاتب واسيني الأعرج شاء لها أن تكون ملتبسة الهوية، مشتتة الانتماء، غير أنه لم يغفل ذلك التعلق الحميم بتلك البقعة المقدسة، وهي القدس، وإذا كان هول التشرد، وصدمة الصدود الذي جوبهت به من قبل العدو قد أفقدها شيئا من الثقة، وأخل بتوازنها النفسي مما جعلها غير معنية أبدا بأن «تسمى مريم أو أي اسم آخر، لكن خالها غسان اليساري يدعوها سوفونيسبي، أو صافو.. تبركا بأرض أجدادها الأولين من البربر والفينيقيين»، وتسرد تفاصيل هجرة العائلة إلى أمريكا (بعد أن قضت فترة في بيروت رفقة خالها أبو شادي) بحثا عن الخلاص الذي تنشده في مدينة نيويورك المدينة الكبيرة... التي لا تضيق بنا أبدا على حد تعبيرها في الرواية، ونيويورك التي لا تضيق باللائذين بها أبدا تزكية مجانية تخفي الجزء الأهم من الحقيقة، وهي في رمزها لأمريكا وللأمم المتحدة قد ضاقت بالعدالة وعجزت عن إحقاق الحق وأسهمت في صنع هذا النموذج الصارخ للظلم الذي وقع على الشعب الفلسطيني ممثلا في مي وأسرتها، تلك المدينة التي يدخلها المهاجرون بمحاذاة تمثال الحرية الذي كان رمزا خادعا لمدنية أوغلت في بربريتها حد البغي، تبدو نيويورك وكأنها بديل للقدس، ولكن القدس تظل قابعة في وجدان مي كالنهر الذي انحرف عن منبعه فتقطعت به السبل فضاع في صحراء بلا تخوم. ويستفيض واسيني في سرد تفاصيل دقيقة تأتي على لسان القبطان اليوناني عن تاريخ المدينة، وعبثا يحاول الكاتب أن يستفيض على لسان القبطان في تشتيت مياه النهر وتأميم المحنة بالحديث عن تاريخ القدس، ومختلف الأجناس التي هجرت إليها: إن القارئ ليشتم رائحة ما من خلال ماكتبه الكثيرون عن القدس محاولين تجريدها من الانتماء إلى جنس بعينه أو دين بعينه، وبالتالي تضييع الهوية في الوقت الذي تؤكد إسرائيل الهوية اليهودية للقدس، وأنها العاصمة الأبدية لها.



وفي رسالة أخرى تستعيد مساءات دراستها للفن في بروكلين، وأحيانا تستعيد مأساة العائلة، وكيف عرفت - وهي في أمريكا - أن بعضهم باعوا أراضيهم لإنجليزي أشهر إسلامه، فباعها بدوره ليهودي، وكيف اتخذ جدها قرارا عائليا بتحريم بيع الأراضي عملا بفتوى مفتي القدس

والحقيقة أن هذا الكلام يبطل الكثير من التهم الشائعة حول بيع المقدسيين وغيرهم من الفلسطينيين أرضهم لليهود، ويكشف عن حقيقة الخداع التاريخي الذي مارسته إسرائيل حين أشاعت مثل هذا الزعم، وهو لايعدو عن كونه فرية اخترعها اليهود وصدقها مغفلو



الشيخ أمين الحسيني. ولما أراد جدها إعادة شراء الأرض من اليهودي ضحك موظفو الوكالة اليهودية منه كثيرا، وقالوا له إن أرضا تخرج من يد فلسطيني لن تعود له أبدا. ثم طمأنوه أنه حتى ولو توصل إلى أن يسترجعها قانونيا بمساعدة الإنجليز فسيأخذها منه الهاجاناه بالقوة وسيطردونه منها، وأن هذه المحاولات عبثية، ولن تفضي إلا إلى الخيبة.

العرب، كما فهد المارك أحد أبرز المجاهدين السعوديين الذي حارب في فلسطين ودحض تلك الإشاعة عن بيع الأراضي لليهود من خلال كتابه الذي ألفه حول هذه القضية، شأنه في ذلك شأن صالح بويصير في كتابه «جهاد شعب فلسطين في نصف قرن» وقائد معركة القدس عبد الله التل في مذكراته.

انكفأت مي على نفسها منذ هذه الحادثة التي ذكرتها في ما كتبته يوم الجمعة ٢٢ أكتوبر ١٩٩٩، فصمتت لمدة يومين، وبعد أن انتابتها حالة هستيريا صاحت في وجه خالتها: كلكم قتلة.. مجرمون.. سفلة كذابون.. خبأتم عليّ موت أمي وأخي وجدتي. لكن خالتها عرفت كيف تهدئ من روعها فحكت لها تفاصيل المأساة، مع ظهور الصهيونية وثيودور هرتزل الذي عرض على السلطان العثماني شراء أرض فلسطين، فرفض السلطان وكاد الأمل في إحياء إسرائيل أن يموت. لكن وعد بلفور كان قد ظهر بعد الخدمة الجليلة التي أسداها العالم الكيميائي اليهودي وايزمان للإنجليز، فضاعت الأرض، لكن الخالة تقول لمي لاحقا: لا تخافي، لن نشفى أبدا من مرض الأرض، وربما بدا الحديث - هنا - مباشرا؛ إذ تذكر الحقائق عارية، ولكن ما يجعل ذلك مقبولا من الناحية الفنية وروده في إطار المذكرات التي تسمح بهذه المباشرة لطبيعتها التوثيقية التي تدون مجريات الأمور كما وقعت بالفعل.

وفي باقي اليوميات نقرأ ما دونته مي من أفعال جنود الهاجاناه وتنكيلها بالعائلة، وبعائلة مفتي القدس، وبحارة المغاربة بالقدس، ومن الواضح أن الاقتران بين عائلة مي وعائلة المفتي تهدف إلى عدم تمييز اليهود بين النصارى والمسلمين فيما ارتكبوه من ظلم وطغيان، وورود هذه



الوقائع في القدس على وجه التحديد يعطيها طابعا نموذجيا لما جرى في فلسطين بشكل عام وتحديد حارة المغاربة كمكان.

أما ما روي من تفاصيل متعلقة بالحياة في نيويورك وميلاد ابنها (يويا كونراد) ويويا هو الذي يفتتح الرواية باعترافه بأنه لم ير القدس سوى ثلاث مرات. كانت المرة الأولى عندما نبهني جدي من أمي سيدي بومدين لمغيث الأندلسي وأنا في غفوة على الجهة الأخرى من ساحل البحر الميت. والمرة الثانية عندما كان في أوبرا لاسكالا بميلانو يعزف لاترافياتا على البيانو في حفل تكريمي لماريا كلاس، حينها انتابته أمه مي التي سرقها الموت منه. والثالثة عندما سافر بجواز سفر أمريكي إلى أورشليم محملا بثلاث جرار رخامية صغيرة مليئة. ولهذه الزيارات الثلاث دلالات عميقة، فالأولى تكشف عن التواصل والانتماء، فمنطقة البحر الميت من أقدم الأماكن في التاريخ البشري، وهي تمثل عودة إلى الجذور، خصوصا برفقة الجد؛ أما الحادثة الثانية فهي تميط اللثام عن تواصل هذا الانتماء على الرغم من الاندماج في الحياة الأمريكية، والتعايش مع أنماط السلوك في الغرب وموت الأم التي تشكل الجذور والأصول؛ وأما المرة الثالثة، فالعودة إلى القدس بعد اغتصابها وتسميتها باسمها اليهودى وبجواز سفر أمريكي مع الجرار الرخامية الثلاث تأكيد للتجذر في القدس عبر ما ترمز إليه هذه الجرار، وعلى الرغم من المظاهر التي تتصل بطبيعة السفر إلى القدس، وهي ترمز لعودة الفروع إلى الأصول مهما كان الأمر موحيا بخلاف ذلك، حيث الجواز الأمريكي والاسم الإسرائيلي.

رواية بنات يعقوب لمحمود سعيد

أما رواية محمود سعيد (بنات يعقوب)[9] التي صدرت عام ٢٠٠٨ متكئة على الأساطير آخذة بطرف من التاريخ فهي تأتي مفندة لمزاعم اليهود التي ينسبونها إلى التوراة، ويؤكد المؤلف أن معظم تاريخ اليهود يرتبط بالعراق، وهو ينطلق من رؤية علمانية، ولا يأبه لما ورد في الكتب السماوية، فينكر علاقة اليهود ببناء الأهرامات بمصر، ويثبت علاقتهم ببابل، وبناء الجنائن المعلقة معتمدا على آراء بعض المؤرخين. وهي رواية مكتوبة من وجهة نظرعلمانية تنكر بعض ما جاءت به الأديان، محاولة العبث بالتاريخ أو حرف مساره. وتظل رواية عمر يظهر في القدس لنجيب الكيلاني الأقدر على تقديم وجهة النظر الإسلامية.

هذه بعض نماذج من الروايات التي عالجت موضوع القدس من وجهات نظر مختلفة، وهناك العديد غيرها، ولكن المجال لايتسع لمناقشتها على نحو شامل ■

الهوامش:

(١) نجيب الكيلاني، عمر يظهر في القدس، مؤسسة الرسالة، عمان، ط٥، ٢٠٠١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٤) الرواية، ص ١١١.

(٥) الرواية، ص٨٠.

(٦) الرواية، ص٩٧.

(٧) الرواية، ص٥٩.

(٨) واسيني الأعرج، كريماتوريوم، المؤسسة العربية، بيروت، ٢٠٠٨.

(٩) محمود سعيد، بنات يعقوب، لندن ٢٠٠٧.



القدس



د. إبراهيم خليل - الأردن



في القصة العربية القصيرة

كانت القدس، وما تزال، مصدر إلهام لكتاب القصة، والرواية، والمسرحية. فقد تكرر وصف المدينة بأحيائها في رواية "البحث عن وليد مسعود" لجبرا إبراهيم جبرا. وذكرت كذلك في روايته الأخرى "صيادون في شارع ضيق" وفي رواية "السفينة" وكانت على الدوام مقترنة بمدينة بيت لحم. ووردت أجواء من القدس في رواية: عيسى الناعوري بيت وراء الحدود. وروايات: عبد الحليم عباس، وفي روايات ليلى الأطرش، ولا سيما "وتشرق غربا"، و"مرافئ الوهم". ورواية شبابيك زينب لرشاد أبوشاور. وقد تحدث الناعوري في سيرته "الشريط الأسود" عن يومياته في القدس، مثلما تحدث إحسان عباس عنها في سيرته الموسومة بعنوان "غربة الراعي"، ومحمود السمرة في سيرته الموسومة بعنوان إيقاع المدى. وفي إحدى قصص محمود سيف الدين الإيراني: "الرصاصة الأخيرة"، نجد بطل القصة قادما من القدس ليقيم في عمان. ولمفيد نحلة رواية تجري حوادثها في القدس، وعنوانها "أطفال القدس القديمة" (١٩٧٩).

وفي القصّة القصيرة الكثيرُ من الإشارات التي تذكرُ بمَنزلة القدس قبل النكسة، وبعدها، وتمثل قصص محمود شقير، ومفيد نحلة، وخليل السّواحري، وأمين فارس ملحس، وإميل حبيبي، مصدرًا غنيًا بالحديث عن واقع هذه المدينة، لا سيّما في المجموعة المعروفة بعنوان "مقهى الباشورة".

وفي هذه الدراسة لنْ نتطرّق إلا لحضورها في القصة القصيرة بعد أنْ تناولنا حضورها في الشعر في موضع آخر.

وقد لاحظ الباحثُ على القصص التي تناولت موضوع القدس تمثيلها لمواقف ثلاثة: أحدها يروي ما كان من الشخوص فور وقوع الاحتلال، ثم تطوّر ذلك الموقف إلى مقاطعة سلبية، فإلى إضراب وتظاهر، ثم إلى احتجاج فاستشهاد. وثانيها يمثل استعادة ما كان من بطولات، وتضحيات في الماضي. وثالثها ما كانَ لتقسيم المدينة إلى: جديدة تحت الاحتلال الإسرائيلي، وقديمة تحت الإدارة الأردنية، على الناس في القدس، وغير القدس، من أثر، لا سيما على العائلات التي تشتت أفرادها، وشرّدوا، وظل الحنين يشدهم إلى أولى القبلتين.

القدس في مجموعة خبز الآخرين

ففي قصّة لمحمود شقير بعنوان: "البلدة القديمة" من مجموعته "خبز الآخرين" ١٩٧٥م تتواتر الإشارات إلى القدس، ولبعض الأحياء البارزة في الجزء القديم من البلدة، حيث الحرم القدسي الشريف، وما يحيط به

من جوامع، وأماكن عبادة : كنائس، وأديرة، وطرق عامة، معبدة، ،وأسواق مسقوفة، قديمة، تعود إلى مئات السنين. فقد استهلّ القصة بعبارة: أمام باب ستنا[1] مريم وهو اسم إحدى البوابات الكبرى التي تصل المدينة بما جاورها من مُدُن وقرى. فثمة باب الخليل، وباب السلسلة، وباب المغاربة، وباب الأسباط، وباب حبس العبيد، وباب حطة، إلخ... وهو يذكر أكثرها في القصة، ويذكر خان «أبو عيسى» ودير النوتردام، وهو أحد الأديرة المعروفة التي يرجع تاريخها أيضًا لمئات السنين. ولا يفوته بالطبع أن يذكر واسطة العقد، ودرّة القدس: قبة الصخرة المشرفة، والمسجد الأقصى، ذاكراً أيضا المقبرة الإسلامية التي تقع بالقرب من باب الأسباط.

عدا عن ذلك كله، لا يفتأ بطلُ القصة فرج الحافي الذي يزور القدس للمرة الأولى بعد الاحتلال الغاشم سنة ١٩٦٧ يُحدّق في السور الذي رفع بنيانه، ورُمِّم على عهد السلطان العثماني سليمان القانوني، محاولا التحقق مما إذا كان السورُ باقيًا على ما كان عليه، أَمْ تهدّمتْ منه أجزاءٌ، أو تتخلله ثقوبٌ من رصاص، أو قذائف.

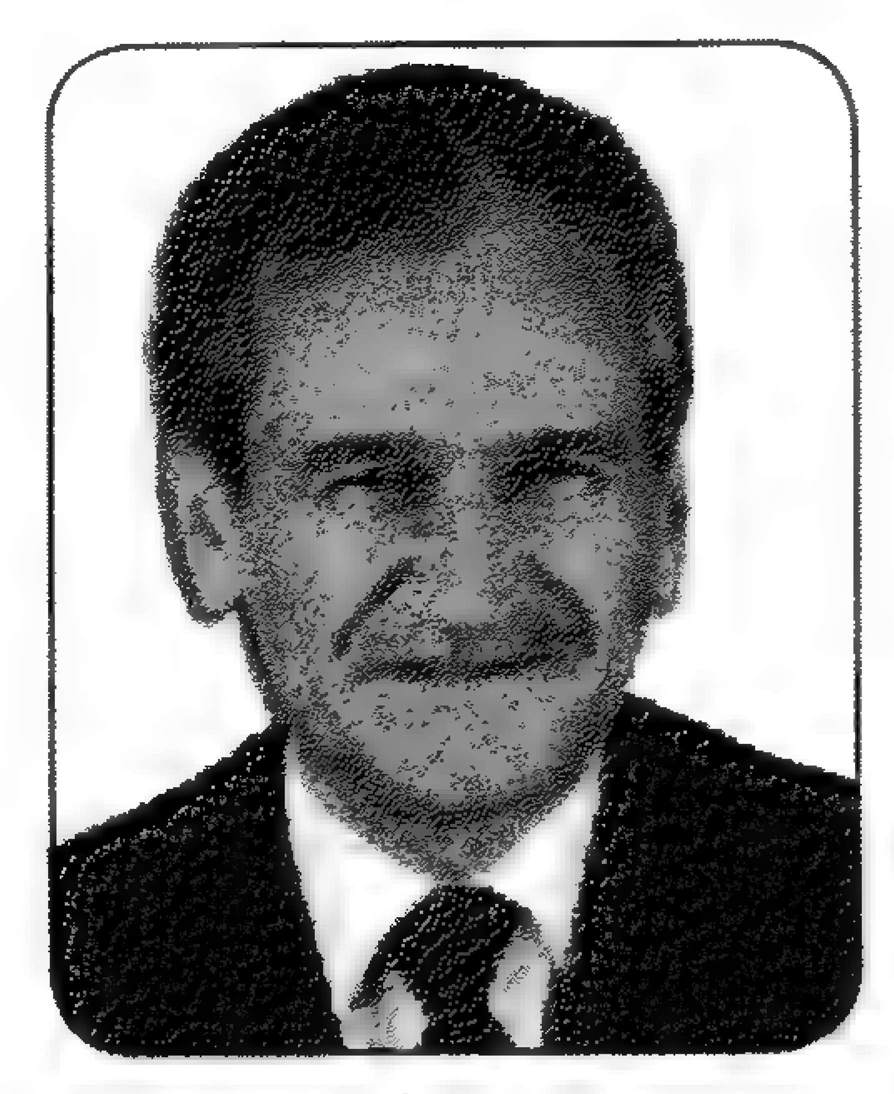
والحكاية، في جوهرها تتناول نموذجًا فلسطينيًا ينتمي إلى إحدى القرى المحيطة بالقدس، ويدل على ذلك أمران، أوّلهُما لهجته الريفيّة التي تتجلى في حوارهِ مع امرأته التي حاولتْ أنْ تثنيه عن تلك الزيارَة، وتأجيلها إلى أنْ تهدأ الأحوال، وينسحب المحتلون اليهودُ منها، وهو يأبى ذلك في عناد شديد، قائلاً بلهجته الريفية: "هيَ.. هاي.. وقت أيش رايحة تهدى؟ من عقلك ها لحكي؟. "[2] والأمر الثاني قدومُه إلى القدس على متن حِمارٍ كعادةِ الفلاحين حين يزورون البلدة.

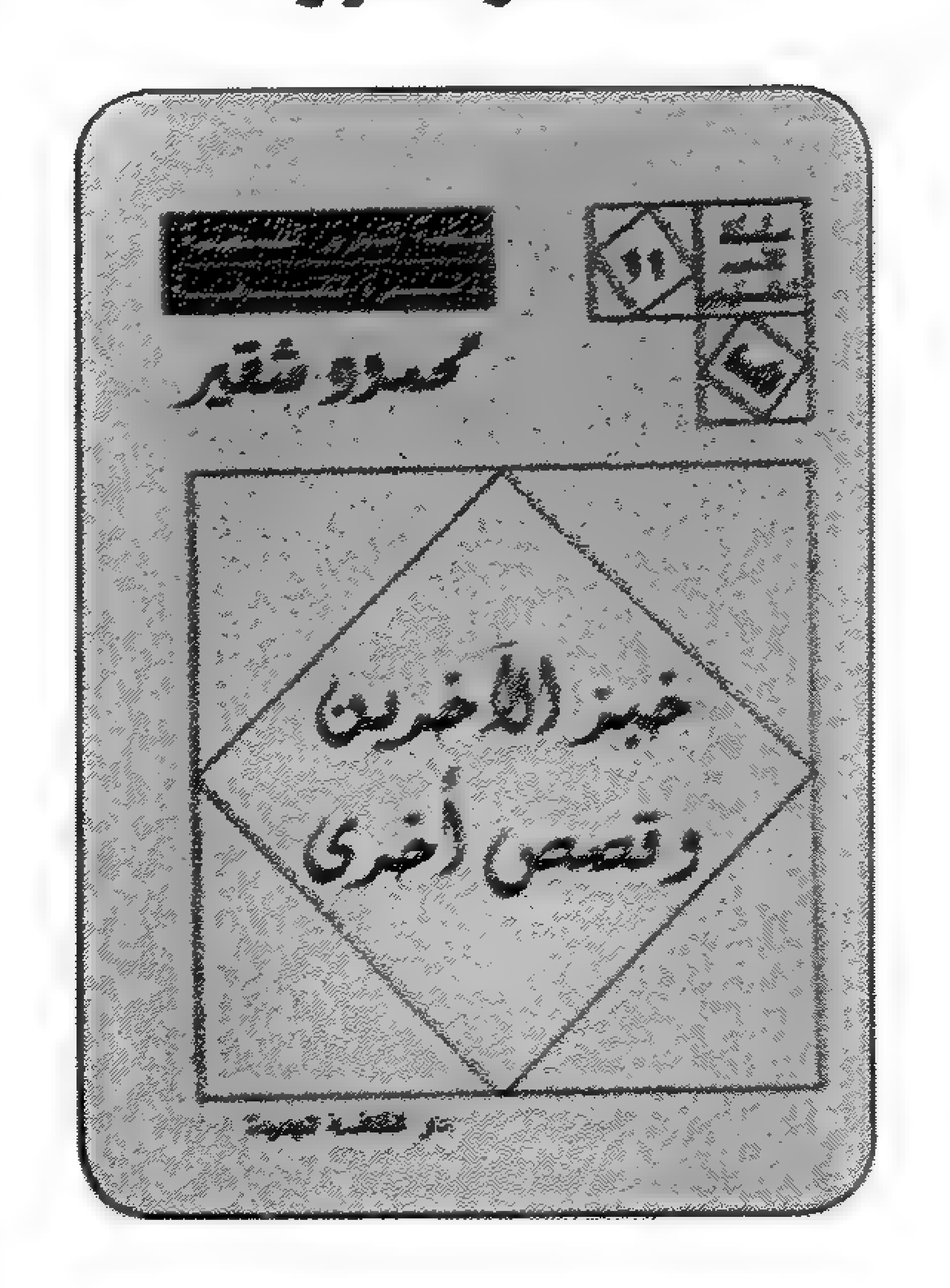
ولم يُصْغ فرج الحافي، الذي ليس له من اسمه نصيب، لما كان يَسْمعُ من حكايات مروّعة يرويها الناسُ عن أعمال اليهود، وتنكيلهم بأهالي القدس، ظنّاً منه أنّ في ذلك شيئًا غير قليل من المبالغة، حتى ذهب بنفسه، وشاهد الأمرَ عياناً. فما هي إلا ساعاتٌ حتى اكتشفَ أنّهم يتحرّشون بكلّ عابر سبيل. فقد تعوّذ بالله، وأدار رأسه ببطء، متظاهراً بعدم رؤية الجنديّ الملتحي الذي يخفي جزءًا من رأسه بقبّعة مُستديرة صغيرة لا تكادَ تغطي اليافوخ- دلالة على أنه من المتديّنين المُتطرفين- وإلى جانب ذلك يتقلّدُ سلاحًا صغيرًا (عوزي) وقد أوقفه الجندي ومن معه، وأخذوا يلتقطون له صُورًا وسط ضحكاتهم، وقهقهاتهم الساخرة، ثم شرعوا يمتطون الحمار بالتناوب، وراءه،



وهم يواصلون التقاط الصور، وكأنّه (فرْجَة) هزليّة يسْخرون منها، ثم تجيءُ ساعة الحساب، فإذا بهم يسألونه بعربيّة مُكسّرة من أين جاءَ، وما هي وجْهته، وهل يعرف أحدًا ممن يعارضون وجود الجيش الإسرائيلي في القدس.. وعندما يقول لهم: إنه جاء لكي يصلي ركعتين في بيت الله- المسجد الأقصى- يعلو صُراخهم، وضَحكهُم، علوًا كبيراً. ولم ينقذه من تلك الورطة التي وجد نفسَه فيها إلا حمارهُ الذي رَفسَ بحافريه الخلفيين الهواءَ، وانطلق لا يلوي على شيء.

ومع أنّ فرجاً حاول الاستمرار في زيارة القدس لتحقيق ما كان يهدف إليه، وهو الصلاة في الأقصى، إلا أنّه اكتشف ما صرفه عن ذلك. فعندما وصلَ خان (أبو عيسى) وَجدَهُ مغلقًا، ومختوماً بالشمْع الأحْمَر، وأخبره أحد العاملين في المقهى المجاور القريب من الخان "أنّ أيام العزّ يا شيخ راحتْ.. قولْ يا الله!.. "(٣) ويتصل الحوارُ بين فرج الحافي و"القهوجي"، ليكتشفَ القارئ من ذلك كله مبلغ التنكيل الكبير الذي فعله اليهود بالمسلمين في بيت المقدس. فقد سقطتْ على صاحب الخان وأولاده قذيفة أرسلتهم على الفور من الحياة الدنيا إلى الآخرة. ولم يكتفوا بذلك، وإنما قاموا أيضًا بإغلاق الخان، وختمه بالشمْع الأحمر، ولهذا فإنّ القهوجي ينصح فرَجاً بالعودة من حيث أتى. وعندما سأله عن أشخاص آخرين منهم الإسكافي، وأبو عبيدة اللحام، وبائع القماش، ومعمّر بوابير الكاز، الذي يُقالُ له: "أبو عادل"، أجاب القهوجيّ: إنه لا يعرف شيئاً سوى


محمود شقير



أنّ الناس نُكبوا، ومثلما يُقال: "على حظ الحزينة أغلقت المدينة. "(٤).

على أنّ المؤلف لا يتركُ فرجًا وشأنه، بل يدعوه ليجول بنظره في البلدة القديمة، فإذا هي بيوتٌ متراكمة يجثم عليها صمتٌ حزين، وعندما وصلَ به حمارُه إلى المقبرة، تلفّتَ في مربط الدواب، فلم يجد دابة واحدة، وكان في الماضي كلما حضر ألفاه مزدحماً من أوله إلى آخره. أما سيارات الجيش الإسرائيلي، فتعدو ذاهبة آيبة، مثل كلاب الحراسة تتحرّشُ بالمارّة. وكشأن أيّ شخصية قصصية جرى تحوُّلٌ في موقف فرج الحافي بعد أنْ رأى ما رأى. وانتابته أفكارٌ هي أقربُ للتردّد منها إلى العزم، والتصميم، الذي كان. وتذكّر ما قاله القهْوَجيُّ، وهمّ أنْ يعود أدراجه منْ حيْثُ أتى. ولكنْ ما الذي سيقوله إذا سُئل عن المَسْجد الأقصى؟ وهلْ صلى فيه أم لم يصلّ؟ وهل فيه أثرٌ من رصاص أوْ حريق؟ فإنْ صدَقهُم القول، وأخبرهم بأنه لم يزر المسجد، ولم يؤد الركعتين في الأقصى، فسيقولون: "ملعون الوالدين قتله الخوف ورَجَعَ من نُصّ الطريق. "(٥) وإذا كذب عليهم، وادّعى أنه صلى في المسجد الأقصى، فحبْلُ الكذب قصير. ويبدو أنّ حوارهُ مع النفس لم يطلْ، فقد همزَ حماره، وأسرع باتجاه الحرم القدسي مجتازًا باب حبْس العبيد، ليتصدى له نفرٌ من جنود الاحتلال، ويسألوه عن وجهته، فأخبرهم أنه يقصد بيت الله ليصلي فيه ركعتين ثم يعود إلى قريته. فقالوا له: "روّح بيتك" ثم هجموا عليه،

وأخـذوا يجرّدونه من قمْبازه وهم يتضاحكون، ويصْخَبون.

لم يكنْ أمام فرج الحاج إذًا من خيار إلا العودة بملابسه الداخلية. وعندما دُهش أهل القرية لمشهده هـذا، قـالَ لهـم: قصُّـوا لحاكم، وشواربكم، والبسوا ثياب نسائكم، ولا تخرجوا من دوركم. "(٦) وأما بعد أن غادر القدس، والتفت بنظره لـلـوراء، فلم يـر إلا قبّـة الصخرة المشرفة صـفـراءَ شاحبة كـأميرة أسطوريّة أسيرة تحتاجُ لَمَنْ يُنقذها، ويخلّصَها من الأسر. وهذه القصّة – في الواقع– من القصَص النادرة التي تجعل القدس موضوعًا لها.

فالكاتبُ اختار شخصية قروية قادمة من محيط القدس، إلى المركز، البلدة القديمة، ويسعى هذا القادم ليحقق هدفاً مشروعاً لا جدال في أنه متاح لكلّ مؤمن بالله يريد أن يؤدي فروض العبادة، ونوافلها أنى شاء، وفي أيّ مكان، وهو حريٌّ أن يُتاح له هذا في الأمكنة المخصصة لذلك. ويأتي الاحتلال الصهيونيُّ الغاشم ليشكل حاجزاً يحولُ بين هذا الإنسانِ وتحقيق غايته المنشودة، فيحاولُ في شيءٍ غير قليل من الشجاعة أنْ يخترق الحاجز، ويضربَ بتجبرُّهم، وتعسُّفهم عرْض الحائط، فيرغمونه على الرجوع من حيث أتى بالقوة، ولا يكتفون بذلك، بل يلحقون به الإهانة والأذى النفسي. ويكونُ أنْ يضْعُف بطل القصة، ويفقد شيئاً من العزيمة والشكيمة، ولكنّ هذا الضعف، وتلك الهزة، سرعان ما تجتمع معهما الضغوط القاهرة، التي لا سبيل لمقاومتها، من إنسان بسيط أعـزل من أيّ سـلاح سوى الإيمـان، فيقرّر العودة، وفي نفسه مـرارة قصـوى، وحقـدٌ غير أعمى على الاحتلال، وجنوده. صحيحٌ أنه لم يصبح مقاوماً، ولا فدائياً، ولكنه أيقن من حقيقة جديدة، وهي أن السكوت على الاحتلال كالقبول به.

القدس في تغريبة زيد الحامد

ومن بيْن القصص التي تشيرُ في سردها القصصي للقدس إشارة صريحة لا مواربة فيها قصة "تغريبة زيد الحامد" لمفيد نحلة، وهي من مجموعته القصصية "رمال على الطريق" ١٩٨٢، التي يمزج فيها الكاتب بين التاريخ والواقع في إطار رمزي يقرِّب القصة من الأسطورة.

فالبطلُ الذي هو زيد الحامد أحـد النـاجين مـن المذبحـة التي نفذها اليهود في أريحا وما جاورها من مدن وقرى فلسطين على وفق ما جاء في التوراة. وهذا الذي نجا يتخطّى – في الحدود التي يسمح بها السرد الأسطوري والغرائبي– الزمن القديم ليغدو رمزا للعصر الراهن، فهو المخلّص الذي يتصدى لجبابرة بني إسرائيل وعلى يديه يجري إحياء السكان الأصليين في عمورة، وفي يبوس، الاسم القديم لبيت المقدس. وحين تعود يبوس لماضيها الزاهر حرة من هيمنة العبرانيين، تنبعث الحيـاة مجـددًا في مـدن الساحل الفلسطيني: " ها قد عدتِ يا يبوس. أما المتردّدون فهم في القيعان الجافة. لقد اندثرتْ رؤوسُهُم فأكلها الطير. وأما الفرسانُ فهم الآن تحت جبينك المشرق.. ضحكتْ مُدُنُ السواحل. غنـت عـرائـس الـفـرح. رقصـن حتى هـدأ الموج.. تفجّرت العيون المتحجّرة. وقف الأطفال يرقبون عوْدة المواكب. "(٧) عندئذ يكتشف كهنة يهود أنّ عرافيهم أخطؤوا. فقد اتضح أنّ طفلا واحدًا– هو زيد– نجا، وعاد بعد سنين طويلة ليجدّد الحياة في مدن الساحل، ويرقص مع الراقصين لأيام تطول(٨).

القدس في قصة أول يوم

وتشتركُ قصة خليل السواحري الموسومة بعنوان (أول يوم) مع قصة محمود شقير "البلدة القديمة" في غير ملمح، وأكثر من مَلْحَظ. فبطلها عطا أبو جلدة يجيء إلى القدس للمرة الأولى بعد الاحتلال، فقد كانت آخر مرة زارها فيها قبل أربعة أشهر، ولكنه في هذه المرة يشعر بغير قليل من المذلة والغربة، وهو شعور قلما أحسّ به من قبل: "أحس وهو يدخل باب المغاربة بأنه لا يدخل مدينة القدس التي كان يدخلها قبل أربعة أشهر. "(٩) وسبب هذا الإحساس،

بالطبع، التغيير الكبير الذي أصاب المدينة، فقد هُدّمت البيوت التي كانت تقع أمام حائط البراق، وتحوّل موقعها إلى ساحة كبيرة خالية يتردّد إليها مُتديّنو اليهود الذين يذكرّونه بحيّ موشيرم، وشارع يافا في القدس الغربية قبل عام ١٩٤٨. فيهتف في نفسه منكراً ما يراه: "والله كأنّ الدار دارُهُم، ويحسبون أنهم سيظلون فيها مئة سنة"[١٠].

يقول هذا وهو يعتقد - جازماً - أنّ اليهود سيخرجون من القدس مثلما خرجوا من غزة عام ٥٦. وزيادة على ذلك لم يتوجّه كغيره من أهالي المدينة، والقرى المجاورة، ممن توجهوا لتسلم هويات إسرائيلية فرضها الاحتلال، وقد عدّ القبول بتلك الهويات خيانة لله، والوطن، والقدس[١١]. وحتى بعد أن ذهب مُعْظم رجال القرية للقدس، وتسلموا بطاقات الهوية، ظل أبو جلدة هذا مقتنعاً بأنه ليس في حاجة لمثل تلك الهوية: " لا أظن أنني سأحتاج لهذه البطاقة، حتى لو ظلوا "[١٢].

ومثلما طرأ تحول على شخصية فرج الحاف في القصة المذكورة لمحمود شقير، طرأ تحول على شخصية عطا أبو جلدة أيضاً. ففي البداية بدا ذلك التحول على هيئة مشاعر يمكن وصفها باهتزاز القناعات، والتردُّد، كالإحساس بضرورة الحصول على هوية لتأمين نفسه على الأقل، إلا أنّ الأمل بالنقود التي سيرسلها ابنُه سالم من عمان تداعبُ خياله، وخيال زوجته حَمْدة، وها هو يقرّر الذهاب إلى ساحة باب العامود في القدس لينضم إلى مئات العمال الذين ينتظرون شاحنة يقودها صاحبُ عملٍ، فيسارعون لعرض أنفسهم عليه، فيختارُ منهم



من يختار ليذهبوا ويعملوا لديه. ومما صرفه عن التفكير بالحاجة الماسة للعمل ما رآه من تغيير أصاب البلدة، فمن الناحية الغربية جرى هدم السور، وأزيلت الأسلاك الشائكة، وشقّ طريق جديد معبّد ينطلق في خط مستقيم من أمام البنك البريطاني إلى النّوتردام، والباب الجديد[١٣].

ومن المفارقات المُدهشة أنّ الرجل ونظراءه كانوا يتمنون زوال ذلك السور عندما تحرّرُ القدسُ وسائر فلسطين، والآنَ يحزنهم هدْمه لأنه أزيل لأسباب أخرى، وهي توحيد المدينة تحت الاحتلال، لا بَعْدَ التحرير[١٤]، ويسمع- أخيراً- كلمة (شالوم)لأول مرة، ويعمل، ويتقاضى أجراً بالعملة الإسرائيلية. وعند عودته لقريته (سلوان) أحسّ بشيء من السعادة لكونه استطاع أن يجد عملا من غير أن يضطر لحمل الهوية الإسرائيلية الزرقاء، التي ما تزال تمثل في رأيه ضرباً من الخيانة. على أنّ شعوره هذا لم يطلْ، فعند اقتراب الحافلة من الباب المفضي إلى طريق (العيزرية) أوقف جنديّ الباص، طالباً من الرجال الهُبوط، وإبرازَ ما بحوزتهم من الهويّات، وعندما لم يجدْ هويّة لديْه انهال عليه ضربًا ولكمًا وركلا وغابَ عن الوعي لحظات، وجد نفسه بعدها في زريبة تشبه الإسطبل الذي تفوح منه روائح الروث، وتحسّسَ جسمه ليكتشف أنّ في جبهته جُرْحا غائراً، ورُضوضًا في سائر أعضائه، ومع ذلك لم يندم، لأنه لم يحمل الهوية الإسرائيلية، ولكنه ندم لأنه لم يستطع أنْ يصفع ذلك الجندي: "ولو كفاً واحداً."[١٥]

ومثلما أشرنا من قبل، تحوّل هذا البطل في القصة من رافض للاحتلال إلى شخص يتمنى لو كان بإمكانه أن يصفع المحتلين. والرغبة في الرّدّ، والمقاومة، تمثل بالنسبة

له بداية، ولا بدّ لهذه البداية من أن تؤثر على المستوى البعيد، لأنّ التحول لدى الشخوص على مستوى السّرْد القصصي لا يكونُ سَريعاً، وإذا جرى بسرْعة بدا العَمَلُ عندئذ وكأنّه عملٌ مباشرٌ وسطحيّ.

القدس في قصة نفس تمباك

وتداعبُ خيالات سلمان الهرش بطل قصة "نفس تمباك" الأحلامُ بزيارة القدس بعد انقطاع دام أشهرًا بسبب الاحتلال. ليستعيد ذكرى الأيام الماضية حين كان يؤمُّ البلدة لبيع الحليب، والتردد إلى أصحابه ممن يسميهم (الأفندية) وإلى مقهى الباشورة حيث (الأرجيلة) ونفس التمباك المُعدّ حسب الأصول، فإلى مطعم تفوح منه رائحة الكباب المشوي، والخبز المحمّص المستخرج من الفرن لتوه، وأما امرأته حليمة فهي كزوجة فرج الحايك في القصة المذكورة سابقاً، تخشى إنْ هو ذهب إلى القدس أنْ يُعْتقل ويُزجّ به في السِّجْن: " نسيتَ أن اليهود يلمّون الناس من الشوارع؟ "(١٦).

ومثلما جرى مع فرج الحايك، وعطا أبي جلدة، تغيرّت قناعات سلمان الهرش بعد أن قام بالزيارة فعلا. كان يظن أن اليهود لا يعتدون إلا على المتدخلين في السياسة، الرافضين لوجودهم في القدس وفي غير القدس، ولكنه بعد أن زارها ورأى ما رأى لم يعد إلا بعد يومين. جاء متأخراً، يكاد يلفظ أنفاسه من الألم لكثرة الضرب الذي تعَرّضَ له من الإسرائيليين. في وجهه وحول عينه بقعٌ، وكدماتٌ زرق(١٧). وعندما سُئل أجاب: " ليلة ويوم وأنا تحت الضرب، دون ذنب. كلّ ما حدث هو أنني خرجتُ مع الناس بعد صلاة الجمعة من الحرَم، وكنت أقصد مقهى الباشورة، وفي الطريق ألقى أحد الناس أوراقا مطبوعة، فقلت لنفسي: نأخذ ورقة ونقرؤها في القرية. وما كدْتُ أضع الورقة في جيبي حتى رأيت الشرطة تفتش الناس، وتسوقهُم في سيارات، وأخذوني إلى السجن، وأهلكوا بدني، وقالوا لي: إنني أوزّع المنشورات"(١٨).

وأخيرًا تحوّل سلمان تحولا كبيراً. فبعد أنْ كان يعتقد جازمًا بأنّ اليهود لا يعتدون إلا على من يتدخّل بالسياسة، أيقن أن التعايش مع هؤلاء الأعداء سرابٌ خادع، بعد أن جعلوا السجون مليئة بالناس الأبرياء، فضلا عن السياسيّين. (١٩) وهذا التحولُ الذي أصاب سلمان سرى منه إلى آخرين. فعليّ الفار، ومحمد الأزعر، كانا يسخران منه بادئ الأمر، وراحا يُفكّران باللهجة الجديدة التي بدأ يتحدّثُ بها سلمان.

القدس في قصة مقهى الباشورة

ويتكرّرُ الشيء نفسه في قصة للكاتب بعنوان "مقهى الباشورة". فصاحب المقهى- أبو بلطة – ظنّ لأول وهلة أن في الاحتلال منافع، فقد ازداد المرتادون وارتفع الدخل، وتمنى للاحتلال أنْ يطول. وعندما كان يسمع ما يقوله الأستاذ سعيد عن ضرورة رفض الاحتلال بالوسائل السلمية – أضعف الإيمان – كان يقابل ذلك بالسخرية أو اللامبالاة. لكنه يتلقى إشعارًا ضريبيًا من بلدية (أورشليم) يطالبه بدفع مبلغ كبير ثلاثة آلاف ليرة عن السنتين الماضيتين. عندئذ يتذكر ما قاله الأستاذ سعيد الذي حذره مما يظنه رغدًا فهو شيءٌ مُؤقتٌ، وسيأتي يوم قريب يكتشف به أن شهر العسل الذي يتمتع به أمثال أبي بلطة سينتهي بسرعة، وترجع الأحوال إلى ما كانت عليه في السابق (١٩).

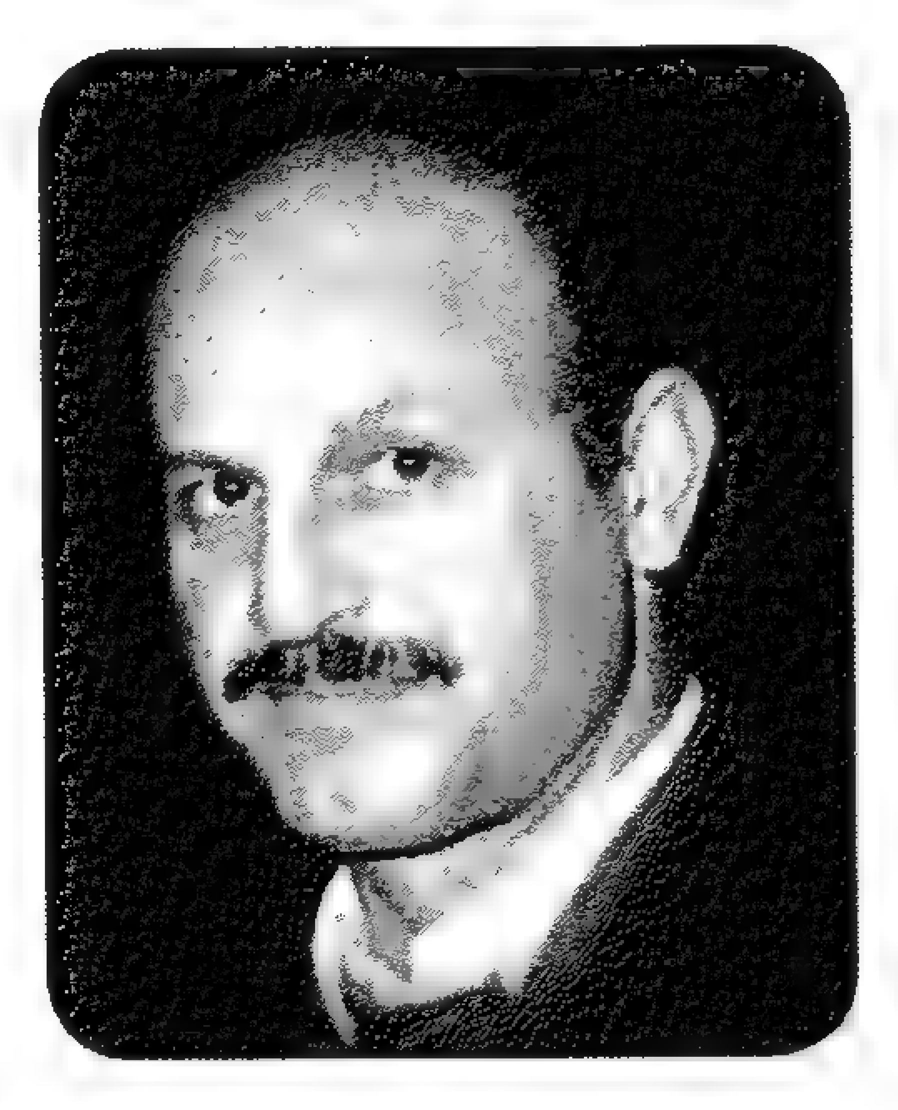
وحين يبدي تبرُّمَهُ من المبلغ الكبير، يقول له الأستاذ سعيد: ولم لا تضربون؟ ثم كغيره من شخصيات القصص يشهد تحولا يُفصحُ عنه قوله: والله المسألة تحتاج إلى تفكير(٢٠). وبتوالي المشاهد يتضح أن جلّ التجار وأصحاب المقاهي والمطاعم والمحلات التي يزدحم بها سوق الباشورة قد عزموا على إغلاق محلاتهم، فما فائدة البيع إذا كانت البلدية تأخذ ما جمعوه متفرقا مرة واحدة، فالنتيجة مثلما يقال في الأمثال: " احرثْ وادْرُسْ لبُطرُس"(٢١). وليت الأمر يتوقف

عند هذا الحد، فقد همس له بعضهم أنّ الجنود الذين يترددون إلى المقهى يتعاطون المخدرات، فتنبه إلى ذلك، وبدأ يراقب الزبائن، وعندما رأى أحد الجنود ممن ظنوا أنه غافلٌ عنهم يخرج شيئًا من جيبه، ويناوله للفتاة التي تجلسُ إلى جواره جنّ أبو بلطة، وطردهم من المقهى شرّ طرْدَة، وهم يحاولون إسكاته عارضين عليه رشوَة كبيرة. وشعر بإزاء توسلاتهم أن أيام (الجَدْعنة) قد عادتْ إليه هذا النهار، وقفزتْ إلى ذاكرته كلماتُ الأستاذ سعيد: ماذا تخسرون لوْ أضربتم؟ وفي تلك اللحظة يقرّر أبو بلطة أنْ يُضْربَ مع المُضربين.

وهذا تحوُّل جذريٌّ يقتربُ من المقاومة اقترابًا أكثر، فالإضراب شكلٌ من أشكال التصدي للاحتلال، وإذا تذكرنا أنّ القصة كتبت عام ١٩٦٨ عرفنا ما لها من تأثير في النفوس، وما توقعه المؤلف من إثارتها للنخوة، ودعوتها لليقظة، والانتباه، والحذر من مخططات الاحتلال الرامية لتهويد المدينة، وترحيل الأهالي المقدسيّين عن طريق التضييق، ومحاربتهم في الأرزاق.

القدس في قصة المتفرجون

في قصة "المتفرجون" يقترب النموذج المقدسي من المقاومة خطوة أخرى، فالسيدة الوحيدة في القصة (أمّ أحمد) امرأة كبيرة السن، تقيم في أحد أحياء القدس الشعبية "حي الواد" وقد أتيح لها من يراقبها مراقبة شديدة، وهو الراوي، الذي ظنّ فيها الظنون، لا لشيء إلا لأنه لاحظ عزلتها عن الآخرين، وقدومها متأخرة في الليل إلى بيتها الذي تغطي نوافذه الستائر بصفة دائمة، فالغموضُ الذي يحيط بها يحفزه على الارتياب بسيرتها، وأنها ربما



خليل السواحري

كانت بائعة هوىً، على الرغم من أنّ سنها لا يسمح لها، ولا يؤهلها لاحتراف هذه المهنة الغريبة على أهالي "حي الواد".

وبسرد بطيء يقنعنا المؤلف أنّ الراوي أصبح على قناعة من صحّة شكوكه، فيحمل نفسه حملا على ملاحقتها من مكان لآخر، ثم يغتلي ارْتيابُه بها عندما يشاهدها تتحدث مع سيدة أخرى في المنزل في وقت متأخر من الليل، مما يذكي في نفسه الرغبة في الوصول إلى ما يكشف عن حقيقة هذه المرأة. لم يترك وسيلة من وسائل المراقبة، والاستفسار، والتحقيق، إلا لجأ إليها، ولكن ماذا كانت النتيجة؟ في يوم الجمعة الدامي الموافق للذكرى الثانية لعدوان ٥ حزيران- يونيو ١٩٦٧ تتبّع الراوي الفضولي- كثير الغلبة- أمّ أحمد ليكتشف من موقع قريب من الحرم القدسي الشريف، صالح للمراقبةِ، و(الفرجة) أكثر من غيره، أنها بعد صلاة الجمعة كانت تقود النساء في مظاهرة انطلقتْ من أمام المسجد، وكانت ترفع بيديها لافتة كتبت عليها عبارات بخط كبير تندد بالاحتلال وتؤكد بإصرار عروبة القدس.

وتتعرّض أمّ أحمد لما تعرض له آخرون غيرها من المتظاهرين من القمع، والضرب، والمطاردة على ظهور الخيل، وفي اليوم التالي نشرتْ الصحف خبرًا عن استشهاد أم أحمد فيمن استشهدوا في المسيرة. قرأ الراوي الخبر قراءة من لا يحسن سوى الفرجة على الآخرين، يقول في القصة: "فكرتُ أنّ بإمكاني الانتظار في الساحة الخارجية لباب الساهرة. فمن هناك سيكون التفرّج على المسيرة أكثرَ وُضوحاً، وأقل تعرّضاً للأخطار"(٢٢) فهاجسه أن يراقب بعيدًا عن الخطر بدلا من المشاركة في المسيرة. ويقول في موضع ثانٍ : سمعتُ ولولة حادة، تنساب بينَ جموع الرجال الذين

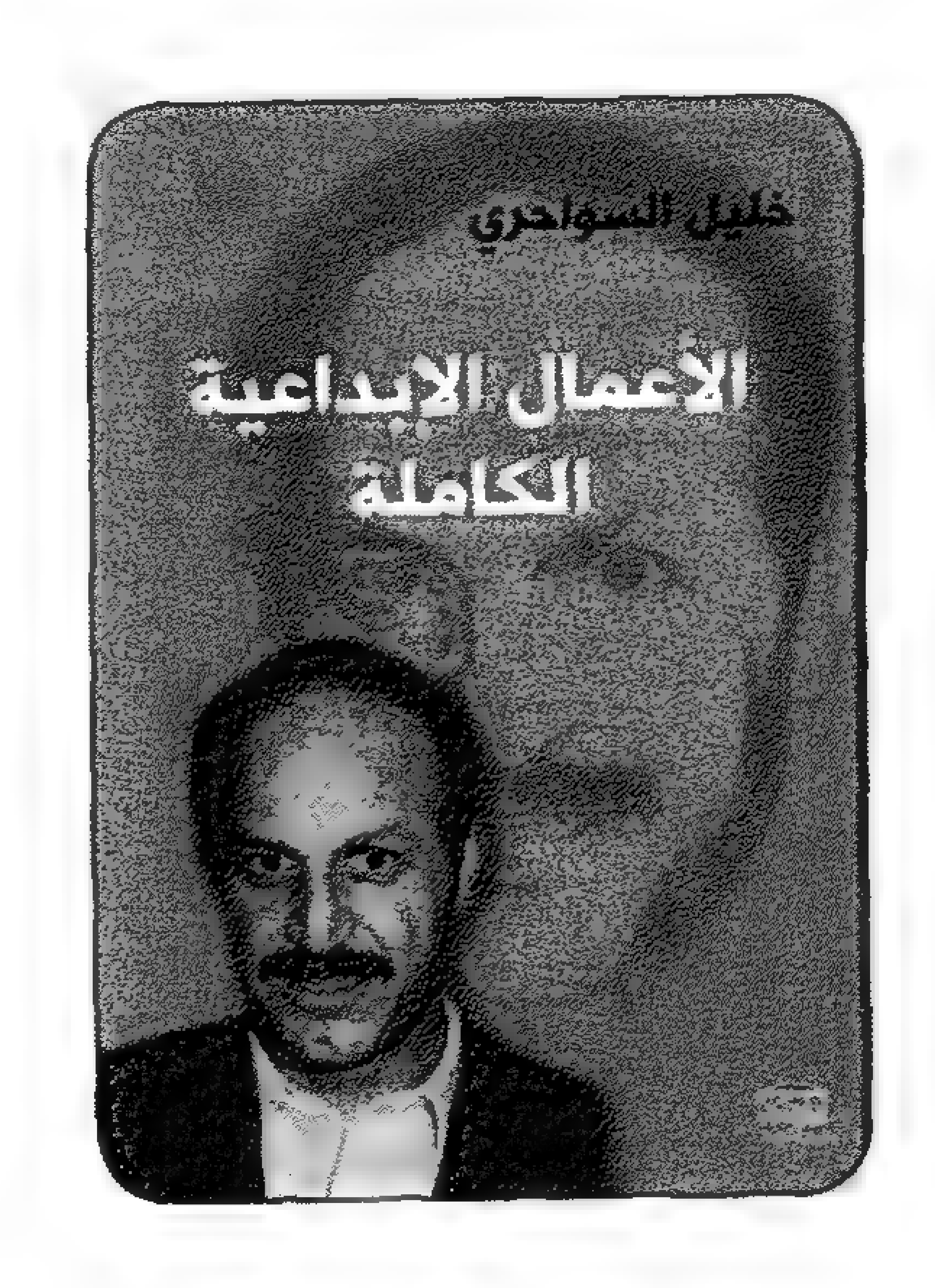
اصطفوا يتفرجون مثلي على المشهد المروّع"(٢٣) وهذا ينمّ عنْ أنّ المؤلف يُحمّل التبعة على الرجال الذين يكتفون بدور المتفرج. ويكرر في القصة ألفاظاً من مثل: مراقبة، أراقب، ملاحقة(٢٤). وهذا يؤكّدُ أنّ النموذج المقاوم في هذه القصة - دونَ غيرها من قصص ذكرتُ سابقاً - نموذجٌ نسائي.

صدمة الاحتلال في القصة

وإذا أضفنا هذه المواقف لمواقف سابقة عبرت عنها قصص أخرى، لاحظنا أن صدمة الاحتلال ووجهت بالصمت أولا، وبالتردد والموقف السلبي بعد ذلك، ثم بتمني الرد والتصدي على عَسْف الاحتلال وجنوده، وأخيرا الإضراب، فالتظاهر والاستشهاد، وذلك كله يتزامن في الواقع مع التحولات الكبرى التي شهدها شعب فلسطين بصفة عامّة، وأهالي بيت المقدس خاصة، من اتجاه نحو المقاومة بشتى الوسائل، والأدوات(٢٥).

أشـارَ كتاب القصة لصدمة الاحتلال على المقدسيين، فأظهروا التردد والترقب إزاء المحتلين، فهل يتقبلون الوضع وهم لا يستطيعون فعل شيء، أم يقاطعون المحتل فلا يتقبلون ما يفرضه عليهم من أنظمة وتعليمات وقوانين: " هويات" و"ضرائب" أم يتصدون لهذا الاحتلال فيقاومونه بأضعف الإيمان: التظاهر والإضراب وتنظيم المسيرة والاحتجاج.

وهذا كله لا يفي موضوع القدس حقه من السرد القصصي اللافت للنظر. فقد شاء بعض كتاب القصة أن يرجع إلى وراء، إلى الماضي، فيستعيد صورًا من بطولات الفدائيين والمناضلين المجاهدين فيما تقدم من حوادث ألمت بالقدس وبغيرها من مدن.



القدس في قصة طريق الآلام

ومن ذلك القصة التي كتبها أمين فارس ملحس (١٩٧٣) بعنوان طريق الآلام(٢٦) وهو الاسم الذي يطلق على الطريق التي يقالُ: إن المسيح- عليه السلام - قطعها مُتجهًا إلى جبل الجلجلة حيث جرى صلبه مثلما يزّعمون.

ويذكرُ الكاتبُ إلى جانب الطريق بابَ الأسباط، والسور الشامخ العريق الذي يعبق منه أرَجُ التاريخ الغابر، ويذكر باب حطّة، وحمّام ستنا مريم، ويذكر أسماءَ كثيرة أخرى.

فالقصة تدور حوادثها في أثناء حرب عام ١٩٤٨ عندما تأخّر جاد الله محمود عبد ربه- أحد المجاهدين- عن العودة إلى قريته فشغلت عليه أمه، وأقسمت على بنيها أنْ يذهب أحدهم إلى القدس للبحث عنه، والمجيء بأيّ خبر. وهكذا يذهب الراوي للقدس باحثا عن جاد الله، وهذا الراوي يعرف المدينة معرفة جيدة، يعرف أحياءها بالتفصيل، ويعرف فيها أشخاصاً. ويسأل عن أخيه كثيرًا، وينصحه أحد الأشخاص بالذهاب إلى مستشفى الهوسبيس والسؤال فيه، فهو يستقبل يومياً عشرات الجرحى، وهناك أفادته ممرضة بأنها سمعت بهذا الاسم، وبأنه ليس غريبا عليها، وبأنه يستطيع الاستفسار في الطابق العلوي.

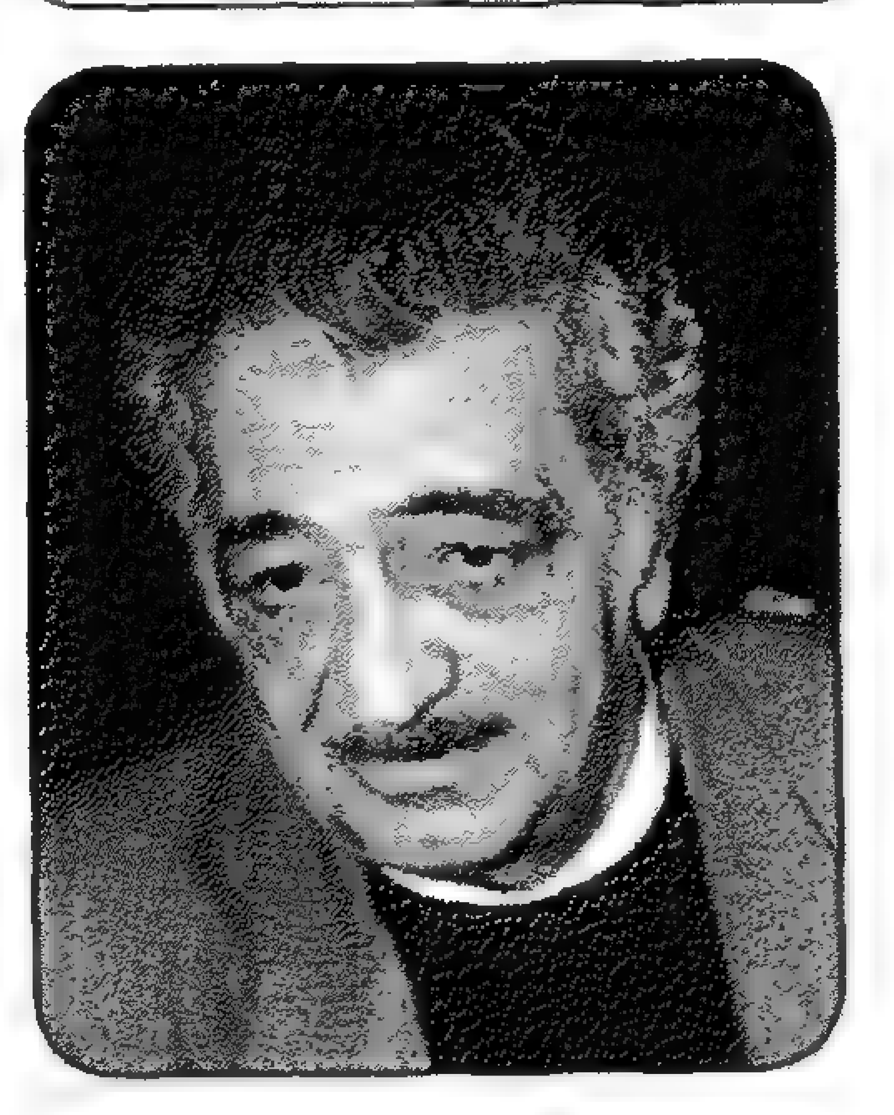
وأخيرًا ساقته قدماه إلى موظف مُكبّ على أوراق يحدّق فيها، فحياه، وردّ عليه التحية دون أنْ يُحرّك عينيه عن الأوراق، وعندما بادره بالسؤال عن جاد الله، توقف الموظف وشرع يدققُ في قائمة الأسماء، باحثاً عن اسم جاد الله، وحين وجده قام من فوره إلى خزانة في الحائط، واستخرج منها صُرّة صغيرة وضعتْ فيها ملابس تبدو عليها آثارُ الدماء، وحذفه بها قائلا: هذا هو ما تبقّى من جاد الله.

فجع الشاب بأخيه الشهيد، ولم يتصوّرْ وقْع الخبر على أمه المنتظرة، التي لا يهدأ لها بال، ولا خواطر، إلا بعودة جاد الله للبيت، وأخيراً تحامل الشاب على نفسه يقدم رجلا ويؤخر أخرى، ماشياً في طريق الآلام، عائدا عبر باب الأسباط، متوجها إلى قريته التي لا تبعد كثيراً عن القدس.

تقدّم القصة مثلما هو ملحوظ صورة مصغرة عن ذكريات المقدسيين. أما تصوير المدينة وما فيها من أمكنة جرى تسليط الضوء عليها، فيُؤكدُ أنّ القصة تتخذ من الدفاع عن القدس موضوعًا لها مثلما اتخذت القصص الأخرى التي أشرنا إليها فيما سبق من احتلالها موضوعًا لفضائها السّردي. وقريبٌ من ذلك القصة التي تحمل عنوان "بوابة مندل بوم" وهو الاسم الذي يطلق على تلك البوابة التي استحدثت بعد عام ١٩٤٨ في سور القدس بإشراف هيئة الصليب الأحمر لتسهيل اتصال العائلات الفلسطينية الموجودة في فلسطين بأقاربها في الضفة الغربية والقدس، التي كانت تحت الإدارة الأردنية إذ ذاك. وكان هؤلاء يَحْضرون – في الغالب- بأذون تمنحها لهم الهيئة المذكورة، في الأعياد، والمناسبات الدينية على وجه التخصيص.

وقد تناول إميل حبيبي في إحدى قصصه هذا الموضوع(٢٧).





إميل حبيبي

فثمة سيّدة، هي والدة الراوي، تنوي اجتياز البوابة المذكورة، متجهة إلى القدس. وقد اجتذبَ انتباه الراوي أن السكان اليهود الذين يقيمون في الحي الذي تقع فيه البوابة لهم هيئة زريّة تبعث على الضحك، فسوالفهم طويلة متجعدة، ولذكورهم ضفائر تنوسُ على مناكبهم سواء أكانوا رجالا أمْ أطفالا، ويرتدون ملابس كهنوتية سوداً، وفضفاضة. وبعد تردّد سمح الشرطيّ حاسر الرأس للسيدة بالخروج من الجانب المحتل إلى الجانب العربي حيث يلوح حي (المُصرارة) وهو من الأحياء التي كانت تربط القدس الجديدة بالبلدة القديمة التي تقع داخل الأسوار. وتتدفق الذكريات. فهذه السيدة عاشت عشرين عامًا فيها، فهي تذكر كل شيء: " البيت، إناء الغسيل، جُرْن الكبّة، الذي ورثته عنْ أمّها، نداءَ بائعة اللبن.. رنين جَرَس بائع الكاز.. سعال الزوج المصدور.. ليالي زفاف أولادها الذين خرجوا من هذه العتبة واحدًا وراءَ الآخر.. "(٢٨).

وإزاء هذه الذكريات التي تدافعت في ذهن السيدة مرة واحدة استقرّ رأيُ الراوي على نصيحة ينصح بها القارئ وهي ألا يأتي إلى بوابة مندل بوم مرة أخرى، فمن يخرج منها لا يعود، لأن روحه تبقى هناك حيث تلك الذكريات التي تشده من شعره وتبقيه أسير المكان المقدسي. فكيف ينسى اللحظات التي شاهد فيها أمّه، وهي تغادر البوابة، تدبُّ على عصًا، وتعبر الأرض الحرام ملتفتة وراءَها بين حين وآخر خشية أنْ يُغير الشرطيُّ رأيه، ويمْنعها من اجتياز البوابة.. إلى المدينة التي تحبّ؟

في تلك اللحظة جرى ما لم يكنْ متوقعاً، فإنّ الطفلة الصغيرة- ابنة الراوي – انطلقت من بين المودّعين ككرة تتقاذفها أقدام اللاعبين،

وهي تهتف: تيتا.. تيتا.. مخترقة الأرض الحرام حتى وصلت الجدة التي كانت تسير ببطء مُتوكئةً على العصا.. وعندما رأى الجميع ذلك التصرُّف من الطفلة الصغيرة، التي لا تفرِّقُ بين أرض حرام وأخرى حلال، نكسوا رؤوسهم: الشرطيّ، حاسرُ الرأس، والعسكريُّ ذو الكوفية والعقال، في الجانب الآخر. وعموم الأشخاص الذين شهدوا الموقف، فهي طفلة ساذجة ألغتْ بهذا التصرُّف الهدنة، وترسيم الحدود، فعلى هذا الجانب والدها، وعلى الجانب الآخر جدّتها، فلماذا لا "تَسْرَحُ وتمرح" بينهما كما تفعل في كل يوم؟ (٢٩).

ومنذ ذلك الحين قرّر ألا يصحب الأطفال لأن منطقهم بسيط وغير مركب، لكنه سليم في زمن بات المنطق الأعوج فيه هو السائد، منطق الاحتلال والتشريد.

▹▹القصة القصيرة ومشاهد مثيرة عن القدس

والواقع أننا إذا ضَمّمْنا هذه القصة لما سبق، وقفنا على مشهد شبه بانورامي، للقصة القصيرة حول القدس. فبعض القصص يعود بنا إلى ذكريات الماضي(١٩٤٨)ومن ذلك قصة طريق الآلام، وبعضها يعود بنا إلى هاتيك الذكريات مع شيء من التنبيه على ارتباط المقدسيين بمدينتهم حتى وإن كتب عليهم – لظروف قاهرة – أنْ يقيموا في غيرها، فهم دائمو الحنين إليها، والتوّق للإقامة في بيوتها العتيقة، وحواريها الضيّقة المسقوفة، التي تغرقهم بشعور الألفة، والمحبة، والتراحم الممتد آلاف السنين. وبعْضُها يتخطى بنا حاجزَ الذكريات، وما فيها من شعور رومانتيكي، محبّب، ليُعبر عن صدمة الاحتلال، وما شهده البطل المقدسي من تحول تدريجي إلى أن عرف الإضراب، والتظاهر، والشهادة. وهو – في ذلك كله- رافضٌ لما يجثم على المدينة من ثقل التهويد، وطمس الهوية، بتكثيف الاستيطان، وترحيل السكان، وتضييق الخناق عليهم، لدفعهم دفعًا للهجرة، فيفقدون بذلك العلاقة بالماضي، مثلما يفقدون الارتباط بالمكان.

وما ذكرناهُ منْ قصص، إنما هو غيْضٌ من فيوض تمتلئُ بها الصُّحُفُ والدوْريّات، وتمتلئ بها المجاميع والمُختارات. فالاستقصاءُ في مثل هذا الموقف يعزّ على الباحث، ويشق على المتتبّع اليقظ، اللاهث، وراء الأمثلة، والنماذج، والنصوص. فإن كانت هذه القصص دالة على ما أردناه، وتوخّيْناه، في هذه الدراسة، فبها ونعْمَتْ، وإلا فللقارئ أن يلتمس ما يشاء من نصوص في مختلف المراجع، والمظانّ، وحالنا حال من يقول: حسبي من القلادة ما يحيط بالعنق ■

الهوامش:

(١) محمود شقير: خبز الآخرين، دار الثقافة الجديدة، القدس، ط٣، ١٩٩٥، ص٦٩.
(٢) خبز الآخرين، ص ٦٩.
(٣) خبز الآخرين، ص ٧٢.
(٤) السابق، ص ٧٣.
(٥) السابق، ص ٧٣.
(٦) السابق، ص ٧٤.
(٧) مفيد نحلة: رمال على الطريق، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ط١، ١٩٨٢ ص ٤٢.
(٨) السابق، ص ٤٣.
(٩) خليل السواحري: مقهى الباشورة، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط٣، عمان، ١٩٨٩ ص٧.
(١٠) السابق نفسه.
(١١) السابق، ص ٩.
(١٢) السابق، ص ١٠.
(١٣) السابق، ص ١١.
(١٤) السابق، ص ١٢.
(١٥) السابق، ص ١٥.
(١٦) السابق، ص ١٨.
(١٧) السابق، ص ٢١.
(١٨) السابق، ص ٢٢.
(١٩) السابق، ص ٣٩.
(٢٠) السابق، ص ٤١.
(٢١) السابق، ص٤٣.
(٢٢) السابق، ص ٧٨.
(٢٣) السابق، ص ٧٩.
(٢٤) السابق، ص ٧٣.
(٢٥) انظر للمزيد: إبراهيم خليل= في لغة الأدب وأدب اللغة، دار مجدلاوي، عمان، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢٣٩-٢٥٤
(٢٦) أمين فارس ملحس: أبو مصطف وقصص أخرى، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ط١، ١٩٧٣ ص ٤١.
(٢٧) مؤلفون: أنطولوجيا القصة القصيرة الفلسطينية، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٠، ص٥٠.
(٢٨) أنطولوجيا القصة القصيرة، ص ٥٦.
(٢٩) أنطولوجيا القصة القصيرة، ص ٥٩.



علي أحمد باكثير

رائد قضية فلسطين في المسرح العربي




وصل علي أحمد باكثير إلى مصر في غضون سنة ١٩٣٤م، وهو يحلم بأن يكون شاعراً كبيراً، لكن عدل عن قراره واتجه إلى الرواية والمسرحية، وسطع نجمه في هذين الفنين، وكان الوحيد بين أبناء جيله ومعاصريه الذي تميز بغزارة الإنتاج وتنوعه. وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م كانت الأجواء السياسية في العالم العربي والإسلامي محتقنة بسبب سيطرة الاستعمار، وكانت ملامح التآمر الاستعماري الدولي على فلسطين بدأت تلوح في الأفق بعد القمع الوحشي البريطاني للثورة الفلسطينية التي اندلعت سنة ١٩٣٦م، ومساعدة اليهود على إنشاء عصاباتهم الإرهابية المسلحة التي بدأت تفتك بالفلسطينيين والإنجليز معاً، ثم كان المقترح البريطاني سنة ١٩٣٧/ بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية (أوصت به لجنه ملكية برئاسة اللورد بيل Peel) قد زاد هذه الثورة حدة حيث ظلت مشتعلة حتى سنة ١٩٣٩م عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية.



د. محمد أبو بكر حميد

■ كان باكثير الأديب العربي الوحيد الذي حمل عبء متابعة مأساة فلسطين قبل حدوثها بسنوات، وصور تطوراتها من خلال كفاح فني طويل استغرق حياته كلها.

لم يهتم باكثير بمجريات أحداث الحرب العالمية الثانية بقدر ما اهتم بانعكاس هذه الأحداث على قضية فلسطين والصراع الدائر فيها بين الفلسطينيين من جهة والإنجليز واليهود من جهة أخرى، وكانت سنة ١٩٣٩م، بالنسبة له ليست بداية الحرب العالمية الثانية فحسب، بل بداية تنفيذ التآمر الدولي على فلسطين.

وكان باكثير على وعي بهذه الأحداث من خلال متابعته الدقيقة لها، وقد جعله هذا يعيش أزمة نفسية ويشعر بحزن عميق خوفاً من كارثة يتوقع حلولها بفلسطين الأمر الذي جعله يسخر قلمه لهذه القضية ابتداءً من سنة ١٩٤٤م ليكتب عن فلسطين خمس مسرحيات طويلة وحوالي ٥٠ مسرحية قصيرة يقول لنا في معرض حديثه عن الدوافع وراء كتابته مسرحيته الأولى عن فلسطين (**شيلوك الجديد**) التي توقع فيها قيام دولة إسرائيل، يقول:

«كان ذلك في غضون سنة ١٩٩٤م، قبل نكبة فلسطين الكبرى بثلاثة أعوام، كانت القضية تشغلني وكنت أتابعها باهتمام سواء فيما نشر عنها في الصحف أو ما يوضع عنها من الكتب. وذات يوم قرأت فيما قرأت أن الزعيم الصهيوني جابو تنسكي خطب مرة في مجلس العموم البريطاني فضرب المنضدة بيده وهو يقول: «أعطونا رطل اللحم، لن تنزل أبدا عن رطل اللحم»، مشيراً بذلك إلى الوطن القومي الذي تضمنه وعد بلفور، فقلت في نفسي: قد وجدت الضالة التي كنت أنشدها، هذه الكلمة حجة على الصهيونية لا لها، وسأتخذها الفكرة الأساسية لمسرحيتي، واستحضرت في ذهني رواية تاجرالبندقية لشكسبير، ثم أعدت قراءتها فلمحت الخطوط الأولى للموضوع الملائم للفكرة، ولم ألبث أن وضعت تصميم المسرحية، ثم أخذت في كتابتها بسهولة فائقة حتى أتممتها»(كتابه فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، ص٢٢).

والفكرة التي عبر عنها (باكثير) في هذه المسرحية: هي أنه لا يمكن أن تقوم لليهود دولة في فلسطين العربية دون أن يسيل الدم من الشرق العربي كله. وذلك مثله مثل رطل اللحم الذي اشترطه اليهودي المرابي شيلوك – في مسرحية شكسبير تاجر البندقية – على التاجر أنطونيو، فلا يمكن لشيلوك أن يقطع رطل اللحم من جسم أنطونيو دون أن يسيل له دم ويموت، وكما أن القوانين الإنسانية تمنع شيلوك من تحقيق هذا الشرط رغم موافقة أنطونيو عليه، وتوقيعه صك العقد، فإنه أيضا يستحيل تنفيذ وعد بلفور في مسرحية (باكثير) لسببين أولهما: أنه يخالف القوانين الإنسانية، لأنه يقر إبادة شعب بأكمله لحساب أقلية إرهابية، وثانيهما أنه وعد أعطاه من لا يملك لمن لا يستحق. والخلاف بين مسرحية شكسبير ومسرحية (باكثير) أن أنطونيو عند شكسبير – كان يملك أن يكتب الصك على نفسه، بينما لا يملك أحد أن يكتب مثل هذا الصك عن فلسطين!. والموضوع بهذا الشكل كما رأينا قد استعاره (باكثير) من شكسبير، واعتمد فيه على أوجه التشابه بين القضيتين بوجه عام وفي بعض التفصيلات حتى تنتهي مسرحية (باكثير) ببطلان دعاوى الصهاينة، كما بطلت دعاوى المرابي شيلوك في مسرحية شكسبير.

وقد تنبأ باكثير في هذه المسرحية بقيام دولة إسرائيل في فلسطين وخروج أهلها منها، كما اقترح أن الحل الوحيد أمام العرب هو فرض الحصار الاقتصادي على هذه الدولة حتى تموت.

وبعد هذا العمل الرائد كتب باكثير مسرحيته الطويلة الثانية (شعب الله المختار) التي كتبها سنة ١٩٥٦م، ومثلها فرقة المسرح الشعبي المصري من إخراج كرم مطاوع سنة ١٩٥٨م، وهي كوميديا من أربعة فصول يكشف فيها باكثير حقيقة شعب الله المختار.

ويحلل هذا المجتمع اللقيط، فالأحداث تدور داخل الفندق في تل أبيب، وشخصيات المسرحية من مختلف يهود العالم العربي والأجنبي، فهناك اليهودي المصري، واليمني، والأمريكي، والروسي، والإنجليزي، ومن خلال حياة هذه الشخصيات داخل الفندق نشهد صوراً من الحياة في قلب إسرائيل، وتكتشف الحياة المادية الداعرة التي يعيشها الإنسان هناك، في عالم تقطعت بينه الصلات، ويعيش في خواء روحي وقلق واضطراب. ويكتشف فيه اليهود الذين جاؤوا جريا وراء الأسطورة الصهيونية لخديعتهم، حتى إنهم ليؤثرون الانتداب البريطاني على الحكم الصهيوني، ونشهد صوراً من الانحلال الخلقي داخل المجتمع الإسرائيلي، حيث نرى الأم- صاحبة الفندق -تدفع ابنتها إلى مضاجعة الرجال، وابتزاز أموالهم. كما نشهد التفرقة العنصرية داخل هذا المجتمع حين يكتشف اليهودي الشرقي العربي أن لا مكان له بين يهود أوروبا، ثم يكون الصراع وتبادل التهم بين يهود الشرق والغرب، وكيف أن يهود الشرق حين يدافعون عن أنفسهم يعدون يهود أوروبا ليسوا من سلالة «شعب الله المختار».

أما المسرحية الطويلة الثالثة فهي (إله إسرائيل) كتبها سنة ١٩٥٩م، يقول باكثير عن هذه المسرحية في مقدمتها: إنه استمد حقائقها من الكتب المقدسة «التوراة»، و«الإنجيل»، و«القرآن»، ومن «التلمود»، ومن مصادر أخرى كثيرة لليهود أنفسهم، أو لغيرهم من المؤرخين في مختلف العصور. وقد ظلت فكرة هذه المسرحية مختمرة في ذهنه أكثر من خمسة عشر عاما.

وعلى هذا فقد استوعبت مسرحيته المشكلة اليهودية منذ أقدم عصورها. وتنقسم المسرحية إلى ثلاثة أجزاء تكاد تكون متكاملة، لأن كل جزء تمثل حقبة من حقب العصيان اليهودي عبر التاريخ، فالأول عنوانه «الخروج» تجري أحداثها في عهد «موسى» عليه السلام – في تصوير فني شيق- كيف يتحالف اليهودمع الشيطان؟ وكيف عصوا «موسى» عليه السلام؟، كما أبرز ظاهرة حب اليهود الطاغي للذهب والأموال، فنرى اليهوديات يحتلن على المصريات لسرقة حليهن، ثم إن هذا المسلك الدنيء دفعهم لصنع عجل من الذهب يعبدونه من دون الله! وإذا كانت المسرحية الأولى تصور لنا العذاب الذي لقيه (موسى) عليه السلام مع اليهود، فإن الجزء الثاني «ملكوت السماء» يصور «يحيى» نبي الله يدعو بني إسرائيل ليطهرهم، ويصور هيام مريم المجدلية به، ويبدع «باكثير» في رسم النفس الإنسانية، وتأرجحها بين الضعف والقوة، والرفض والقبول، والهداية والغواية. فما زالت المجدلية تغري «يحيى» متبعة تعليمات «إبليس».. لكن «يحيى» لا يستجيب، ثم نشهد الإرهاصات بظهور «المسيح». وحين يقتل «يحيى» تحمل سالومي رأسه في طبق. ويظهر المسيح بالفعل ويتصدى لإبليس، ويستمر الصراع في داخل النفوس وخارجها، حين نجد إبليس يزين للكهنة قتل المسيح، وحين أرادوا استخدام المجدلية كانت قد شربت من نور الله، وأشرقت بالإيمان، ولكن إبليس لا يعدم الحيلة فيتنكر لها في شكل «إله إسرائيل» ومع ذلك نجدها تتعرف عليه وتكشف أمره، وفي الأخير نشهد «يهوذا الأسخريوطي» شبيه المسيح يحاكم ويصلب ظنا أنه المسيح.

أما الجزء الثالث فبعنوان «الحية» وأحداثه تدور في العصر الحديث، وعن منشأ الحركة الصهيونية التي بدأ بانعقاد (مؤتمر بال) بسويسرا عام ١٨٩٧م، و«باكثير» يحدد رمز «الحية» هنا حين تظهر على جدار المسرح خريطة العالم وقد التفت حول أقطاره حية صفراء ضخمة، ويبدو رأسها متجهاً نحو فلسطين، على

وشك التهامها، ولعل «باكثير» ينبه في هذا إلى الخطر الصهيوني على العالم كله، وليس فلسطين وحدها، وقد تحققت نبوأة باكثير وخاصة ونحن نرى الصهيونية اليوم تقف خلف العديد من الأبواب الكبيرة في العالم، وتجلس القرفصاء تحت العديد من مقاعد الحكم فيه. ثم نعيش مع «باكثير» في هذه المسرحية تفصيلات الحوار بين الزعامات الصهيونية في ذلك المؤتمر، فنتعرف على الآراء التي طرحت فيه، وعلى علاقة الصهيونية بالماسونية. ثم يتابع «باكثير» بذكاء وحس سياسي يقظ خط العلاقة بين الصهيونية و «إبليس».

ومن خلال العديد من الصور والمفارقات يقدم لنا الكثير من الحقائق التي تؤكد أن الصهيونيين قد تفوقوا على الشياطين. وهذا ما يقوله إبليس في المسرحية لشياطينه، فيحس الشياطين بعجزهم، بل إننا نجد «إبليس» نفسه يخدع من تلاميذه الصهاينة، عندما يقابل بالنكران والجحود حين ينفون وجوده أصلاً. ويحس إبليس بالقهر وبأن الصهيونية قد استنفدت كل أبواب الشر، ولم يبق له شيء. فيفكر في التوبة إلى الله، ولكن كيف تقبل توبته وملايين الصهاينة يفسدون في كل بقاع الأرض؟ هنا يضعنا «باكثير» أمام حقيقة كبيرة تقول: إن بني إسرائيل هم بنو إبليس، وفي نهاية المسرحية نرى إبليس يعمل على تزويج الشياطين من اليهوديات، والعكس. حتى يرتفع الشياطين إلى مستوى اليهود وينخفض اليهود قليلاً عن مستواهم فيكون هو وحده لا مثيل له.

وعلى هذا تتحقق فكرة «باكثير» في المسرحية - وهي أن (إله إسرائيل) الحقيقي هو (إبليس)، وهم أيضاً (شعبه المختار). وأهم ما يميز المسرحية هو استخدام «باكثير» لرمز الشيطان وهو الرمز الذي



امتد عبر المسرحيات الثلاث للتأكيد على ارتباط الحركة الصهيونية منذ البداية بالشر وبالإغواء والعصيان، فالذي عذب «موسى» وقتل «يحيى» وحاول صلب المسيح (عليهم السلام) هو الذي أقام المذابح في فلسطين، وهو الذي يلتهم الأرض العربية قطعة بعد قطعة، على مرأى ومسمع من العرب والمسلمين والعالم.

ومن الناحية الفنية فإن توظيف «باكثير» للشيطان في هذه المسرحية يطرح رؤية جديدة تحفز على المقارنة بين هذا العمل والوسائل التي وظف فيها الشيطان في المسرح العربي والعالمي، ابتداء من شيطان «فاوست» عند (مارلووجوته) إلى شيطان محمد فريد أبو حديد في «عبد الشيطان»، وشيطان تيمور في «أشطر من إبليس» وشيطان باكثير نفسه في (فاوست) الجديد. وإذا كانت كل تلك المعالجات تبحث علاقة الشيطان بالإنسان عموماً فالجديد أن باكثير قد خصص الدائرة في مسرحية «إله إسرائيل» حين قصرها على علاقة اليهود بالشيطان، ثم قام بتحليل سلوك هذا الجنس البشري عبر تاريخه الطويل، حين انبثقت من روحه الصهيونية، فخرج من دائرة «الإنسانية» ليقف على دائرة الشيطانية».

وفي سنة ١٩٦٣م يكتب مسرحيته الطويلة الرابعة (لباس العفة) عندما دعا الحبيب بورقيبة إلى الصلح مع إسرائيل، وتخيل باكثير في هذه المسرحية زيارة بورقيبة لإسرائيل في كوميديا هزلية وهي نبوءة بزيارة السادات التي تمت بعد ذلك بأكثر من عشرين سنة.

و(التوراة الضائعة) هي المسرحية الخامسة الطويلة التي ختم بها باكثير متابعته لقضية فلسطين وختم بها حياته، فقد كتبها سنة ١٩٦٨م في أعقاب هزيمة ١٩٦٧م، وظهور المقاومة الفلسطينية، وطبعت سنة ١٩٦٩م، بعد وفاته بشهر.

تسجل هذه المسرحية تطوراً فنياً في تقنية باكثير المسرحية باستخدامه بعض الوسائل الفنية الحديثة على مدى فصولها الثلاثة بين مشاهد واقعية تدور أحداثها في القدس، ومشاهد خيالية (مجال إبداع وسائل الإخراج الحديثة)، يلتقي في هذه المشاهد أبطال التاريخ مثل «صلاح الدين الأيوبي» و«ريتشارد قلب الأسد».. إذن ففي المسرحية عالم الواقع وعالم الخيال. ويحرك باكثير هذين العالمين في مسرحيته ، بحيث يعبر كل منهما عن رؤية، فعالم الواقع يصور لنا كوهين اليهودي الأمريكي ـ الألماني الأصل ـ الذي جاء إلى فلسطين بعد أن تبرع بمليون دولار، ثم سحب كل أمواله إلى فلسطين لخدمة الصهيونية، ثم يكشف لنا في عدة مشاهد عما تمور به نفوس اليهود من حقد على العرب والمسلمين، فنرى ما وصل إليه كوهين ـ الذي جاء من أمريكا يحمل وجه الحضارة القبيح ـ حين يتلذذ برؤية الأجساد المشوهة بالنابالم، وبرؤية الإنسان العربي الفلسطيني وهو يتعذب على أرضه. ثم يستبطن لنا باكثير ـ في مشهد رائع ـ أعماق هذا الصهيوني الأمريكي الذي يدفن في أعماقه الخسة والجشع والخيانة، والتحلل الخلقي والتعصب، فما أن يصل إلى القدس حتى يعمل على الكشف عما في نفسه، وينزع عن وجهه قناع الحضارة والإخاء الإنساني، ليحل محله الوجه الصهيوني القبيح، فيبدأ بتوظيف كاهن يهودي ليعيد زوجته المسيحية إلى اليهودية، وفي نفس الوقت يبدأ كوهين بمراودة خطيبة الكاهن الشابة، ولما كان الكاهن شاباً أيضاً، فكان للزوجة أن تتساق خلفه، ثم نشاهد هذا يتم صراحة، في مشهد تبادل الزوجتين بين كوهين والكاهن!



روزفلت

أما المشاهد الخيالية فإن «باكثير» يعبر فيها عن رؤيته الإنسانية، من خلال الجمع بين شخصيات تاريخية لها صلة بالحركة الصهيونية، فنرى ريتشارد قلب الأسد، الزعيم الصليبي الذي حاربه صلاح الدين الأيوبي يرفض الوجود الصهيوني في الأراضي المقدسة. ويتحالف مع صلاح الدين في استنكار سكوت العرب والمسلمين على ما تفعله الصهيونية في فلسطين، ثم نرى مشهداً يعذب فيه «هتلر» و «هرتزل» زعيما الحركة العنصرية في العالم حين ميز الأول «الجنس الجرماني» عن بقية الجنس البشري، وحين تزعم الثاني «فكرة الصهيونية العنصرية تحت ما يسمى بشعب الله المختار».

المسرحيات السياسية القصيرة:

كانت سنة ١٩٤٥م السنة التي انتهت فيها الحرب العالمية الثانية مزدحمة بالأحداث على الساحة الدولية وكان معظمها إن لم يكن كلها لخدمة التعجيل بقيام دولة إسرائيل: في أبريل مات الرئيس الأمريكي المعتدل فرانكلين روزفلت (١٨٨٤-١٩٧٢م) بعد أن أبدى قناعة بالحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وحل محله هاري ترومان (١٨٨٤-١٩٧٢م) الذي كان من أكثر المؤيدين للصهيونية، وكان له أكبر الأثر في تهيئة المسرح الدولي لقيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م، وهو الذي طالب الحكومة البريطانية أثناء انتدابها بالسماح لمئة ألف يهودي مهاجر بدخول فلسطين وضغط على الأمم المتحدة لإصدار قرار التقسيم لصالح إسرائيل، وهو الذي اعترف بإسرائيل فور إعلانها، وكان متعصبا لليهود في كل ما يخص صراعهم مع العرب، الأمر الذي جعل باكثير يسخر منه ويكشفه في عدد من مسرحياته السياسية القصيرة.

صور باكثير هذه الأحداث جميعا بنتائجها وانعكاساتها على قضية فلسطين في سلسلة مسرحيات قصيرة بدأ في كتابتها سنة ١٩٤٦م واستمر ينشر كل أسبوع مسرحية ساخرة إلى سنة ١٩٥٤م. وتقضي هذه المسرحيات عن اهتمام واع عميق بقضية فلسطين، وفهم دقيق لها، ومتابعة بمجلة أسبوعية لمستجدات أحداثها.

يصف لنا باكثير كيف دلف إلى ميدان كتابة المسرحية السياسية الساخرة بعد ما كان يظن أنه أبعد ما يكون عن كتابة الملهاة يقول:

(وقد يبدو غريباً أن الفكاهة والسخرية تتبعان أول ما تتبعان من السخط والحقد، ولكن تجربتي الشخصية على الأقل قد أثبتت لي هذه الحقيقة، فقد ظللت برهة بعد أن زاولت الكتابة المسرحية، أعتقد أنني من أبعد الناس عن الفكاهة، وأقلهم قدرة على الإضحاك والتنكيت، إلى أن اشتعل السخط في نفسي على القوى الاستعمارية، فإذا الفكاهة والسخرية طوع بناني. وكانت مسرحية (سأبقى في البيت الأبيض) وهي ذات فصل واحد، أول مسرحية هزلية يكتبها «باكثير» وموضوعها السخرية من الرئيس الأمريكي (ترومان) الذي تمت على يده مأساة فلسطين، ثم كان نجاح هذه المسرحية دافعه إلى مواصلة الكتابة في هذا الاتجاه، فكانت العشرات من المسرحيات القصيرة - وقد سبق ذكر بعضها - إضافة إلى مسرحياته الطويلة. ويروي «باكثير» تجربته الشخصية مع كتابة ملاهيه السياسية فيتحدث عن الظروف الذاتية والخارجية التي أحاطت به فيقول: «كانت المشكلة الفلسطينية على أشدها في الأمم المتحدة، وكان سكرتيرها العام المستر (تريجفي لي) يتحيز لليهود تحيزا صارخا


تشرشل

يستفز الأعصاب، حتى كأنما كان مندوباً لهم في الهيئة، إذ كان صهيونياً أكثر من الصهيونيين أنفسهم، فكان قلبي يمتلئ قيحا كلما قرأت اسمه، أو رأيت صورته في الصحف. وتضاعف حقدي عليه فأخذ يؤرق منامي، ويفسد علي سكينتي، ويدفعني للانتقام منه بقلمي، إذ لا سبيل لي للانتقام منه بغيره. وقلت في نفسي: لأسخرن به سخرية تمزقه وتمرغه في التراب. ولكن كيف؟ كيف أكتب عنه؟ وماذا يكون محور التمثيلية التي سألخصها له؟ وأؤكد لكم أن التفكير لم يقف بي طويلاً، إذ ما لبثت الفكرة أن انقدحت في ذهني، وانبعثت عن صورة خيالية بالغة في السخرية.. وأسفرت هذه التجربة عن تمثيلية بعنوان: (نقود تنتقم)(فن المسرحية، ص٢٥).

مسرحيات سنة ١٩٤٦م:

وبتصنيف ما عثرت عليه من مسرحيات باكثير، وجدت له ثلاث مسرحيات تنتمي لسنة ١٩٤٦م وهي (سأبقى في البيت الأبيض) نشرت في ١٩٤٦/١٠/٢٦م، يسخر فيها من الرئيس الأمريكي ترومان ودعمه المطلق للصهيونية بمقابل تأييد اليهود له في الانتخابات المزمعة سنة ١٩٤٨م. ومسرحية (أضغاث أحلام) نشرت في ١٩٤٦/١١/٣٠م التي سخر فيها من رئيس الوزارة البريطاني ونستون تشرشل (١٨٧٤-١٩٦٥م) لممالأته لليهود وغرامه بهم وتمكينه لهم في فلسطين. أما مسرحية (رسالة الرجل الأبيض) التي نشرت في ١٩٤٦/١٢/٢٨م فهي أول مسرحية يسخر فيها من دور الأمم المتحدة ويصور الهيمنة الأمريكية عليها منذ نشأتها.

وهذه المسرحية ردة فعل لصدور قرار الأمم المتحدة الجائر بتقسيم

فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩م.

مسرحيات سنة ١٩٤٧م:

ومن المسرحيات التي نشرها سنة ١٩٤٧م عثرت على ست مسرحيات فقط، وهي (ثماني عشرة جلدة) نشرت في ١٩٤٧/١/١١م تصور الإرهاب الذي تمارسه الجماعات اليهودية المسلحة ضد الإنجليز وخاصة جماعة الأرغون التي يقودها مناحم بيجين باختطاف الجنود والضباط الإنجليز وضربهم. ومسرحية (مصرع مادلين هيتكليف) نشرت في ١٩٤٧/٢/٨م تدور أحداثها في فندق الملك داود بالقدس تفضح الموقف التركي المؤيد لإسرائيل وتصور خيانة بعض الشيوخ الفلسطينيين من ضعاف النفوس أمام إغراء الجنس والمال، و(جلسة مع الشيطان) نشرت في ١٩٤٧/٢/٢٨م تدور أحداثها في مكتب أرنست بيغن (١٨٨١-١٩٥١م) بلندن الذي تولى وزارة الخارجية البريطانية في عهد ونستون تشرشل من سنة ١٩٤٥م إلى وفاته، وقد أثار تأييده الصريح للصهيونية سخط العرب عليه وحملاتهم الإعلامية ضده، وكانت هذه المسرحية صورة فنية عبرت عن هذا السخط وكشفت عن اتفاق تشرشل مع ترومان على السماح بإدخال مئة ألف يهودي لفلسطين بمقابل مساعدة مالية لبريطانيا!

أما مسرحية (إمبراطورية في المزاد) نشرت في ١٩٤٧/٣/٢٣م (يوم المزاد الدولي) نشرت في ١٩٤٧/٥/٦م ففيهما يسخر باكثير من الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس.. بريطانيا العظمى، ويصور إفلاسها حيث تعرض على المزاد العلني لسداد ديونها برعاية الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية التي حلت محلها في قيادة الظلم في العالم بتبني دولة إسرائيل.

مسرحيات سنة ١٩٤٨م:

ومن حسن الحظ أنني عثرت على معظم المسرحيات القصيرة التي كان ينشرها أسبوعياً سنة ١٩٤٨م. ولاشك في أن ما كتبه في هذه السنة الحاسمة القاصمة في تاريخ العرب والمسلمين أكثر مما نشره في السنوات السابقة. حصلت مما نشره قبل النكبة بقيام دولة إسرائيل على ثلاثة عشر عملاً تعد بحق سجلاً فنياً رائداً وفريداً للأحداث التي شهدتها الساحتان العربية والدولية قبل قيام دولة إسرائيل، وصورت التسابق المحموم الذي قادته أمريكا وبريطانيا وروسيا للتعجيل بإعلان دولة إسرائيل عبر توظيف المنظمة الدولية وأمينها العام لخدمة هذا الهدف. كما حصلت أيضاً على ثلاثة عشر عملاً آخر مما نشره بعد النكبة وقيام دولة إسرائيل، وأعتقد أن ما نشره في تلك الفترة أكثر من ذلك مما لم نحصل عليه، فقد ذكر في أحد أحاديثه الصحفية أنه كتب سبعين مسرحية سياسية قصيرة عن قضية فلسطين.

مسرحيات سنة ١٩٤٨م قبل النكبة:

أولى مسرحيات ما قبل النكبة سنة ١٩٤٨م مسرحية (الهدية المسمومة) نشرت في ١٩٤٨/١/١١م عقب قرار بريطانيا الانسحاب من فلسطين، ومكانها دار المندوب السامي بمدينة القدس، حيث يقوم المندوب السامي بالدور المزدوج فيعد الدكتور حسين الخالدي مندوب الهيئة العربية العليا بأن هدف الانسحاب إتاحة الفرصة لإقامة دولة عربية، ثم يستقبل بن جوريون ويعده الوعد نفسه لأجل دولة يهودية. وفي مسرحية (ماخور الأمم المتحدة) نشرت في ١٩٤٨/١/١٨م يصور باكثير بسخرية مريرة مدى استغلال الدول الكبرى للمنظمة الدولية وتسخيرها لتحقيق الحلم الصهيوني. وفي مسرحية (في سبيل راشيل) نشرت في ١٩٤٨/١/٢٥م يسخر من التصويت على قرار التقسيم في الأمم المتحدة التي تحولت إلى ماخور صهيوني يشتري أصوات مندوبي الدول الأفريقية بممارسة الجنس مع راشيل رمز الدعارة الصهيونية في مسرح باكثير. وفي مسرحية (راشيل والثلاثة الكبار) نشرت في ١٩٤٨/٢/١١م يصور رمزياً

علاقة الصهيونية العالمية بالشيوعية ومدى استغلال إسرائيل للدول الثلاث الكبرى أمريكا وبريطانيا وروسيا لخدمة يوم ميلادها الموعود في فلسطين. ويستكمل باكثير الفكرة الرمزية نفسها في مسرحية (**راشيل في المخاض**) نشرت في ١٩٤٨/٤/٢م حيث يحذر من اقتراب موعد ولادة دولة إسرائيل، وتصور الداعرة اليهودية راشيل حاملاً، وأثناء المخاض في بيت لحم يداهمها المجاهد فوزي القاوقجي ورجاله فيقتلون المولود عند وضعه وهو تجسيد لأمنية كل العرب والمسلمين التي لم تتحقق.

وفي مسرحيتي (**السكرتير الأمين**) نشرت في ١٩٤٨/٣/٧م و(**نقود تنتقم**) نشرت في الأسبوع الذي يليه ١٩٤٨/٣/١٤م سخر من السياسي النرويجي تريجفي لي (١٨٩٦ ـ ١٩٦٨م) الذي انتخب أول أمين عام للأمم المتحدة، وظل فيه من ١٩٤٥م حتى ١٩٥٢م، ولعب دوراً شريراً في مناصرة قيام دولة إسرائيل، وكان صهيونياً أكثر من الصهيونيين أنفسهم، وقد أرق هذا الصهيوني باكثير وأثار غيظه بمواقفه ولا يجري ذكره على لسانه إلا ويلعنه، قال عنه في أحد أحاديثه الصحفية: «لعنة الله عليه، قبحه الله. هذا الرجل كم أثارني وكم أسهدني طوال الليالي بسبب تحمسه للصهاينة في ذلك الوقت، وكنت أصوره تصويراً كوميديا بارعاً جداً أملاه علي الغضب الشديد (من حوار معه أجراه فاروق شوشة بإذاعة البرنامج الثاني، القاهرة ١٩٦٦/١١/١٥م).

وفي مسرحية (**شهيد القسطل**) التي نشرت في ١٩٤٨/٤/٢٥م قبل قيام دولة إسرائيل بعشرين يوماً يصور باكثير استشهاد المجاهد البطل



الشهيد عبدالقادر الحسيني

عبدالقادر الحسيني أثناء اشتباكه مع الصهاينة في معركة فاصلة في قرية القسطل يريد بها تحقيق هدف استراتيجي يقطع الطريق على الصهاينة من الوصول إلى القرى العربية قبل يوم ١٥ مايو. أما في مسرحية (**الطابور الخامس**) التي نشرت في ١٩٤٨/٥/٩م قبل إعلان قيام دولة إسرائيل بستة أيام يصور باكثير خيانة بعض اليهود المصريين وذهابهم إلى فلسطين للاشتراك في ارتكاب الجرائم مع الصهاينة هناك، مع الاعتراف بوجود يهود مصريين يرفضون الصهيونية ويدينون بالولاء للوطنية المصرية.

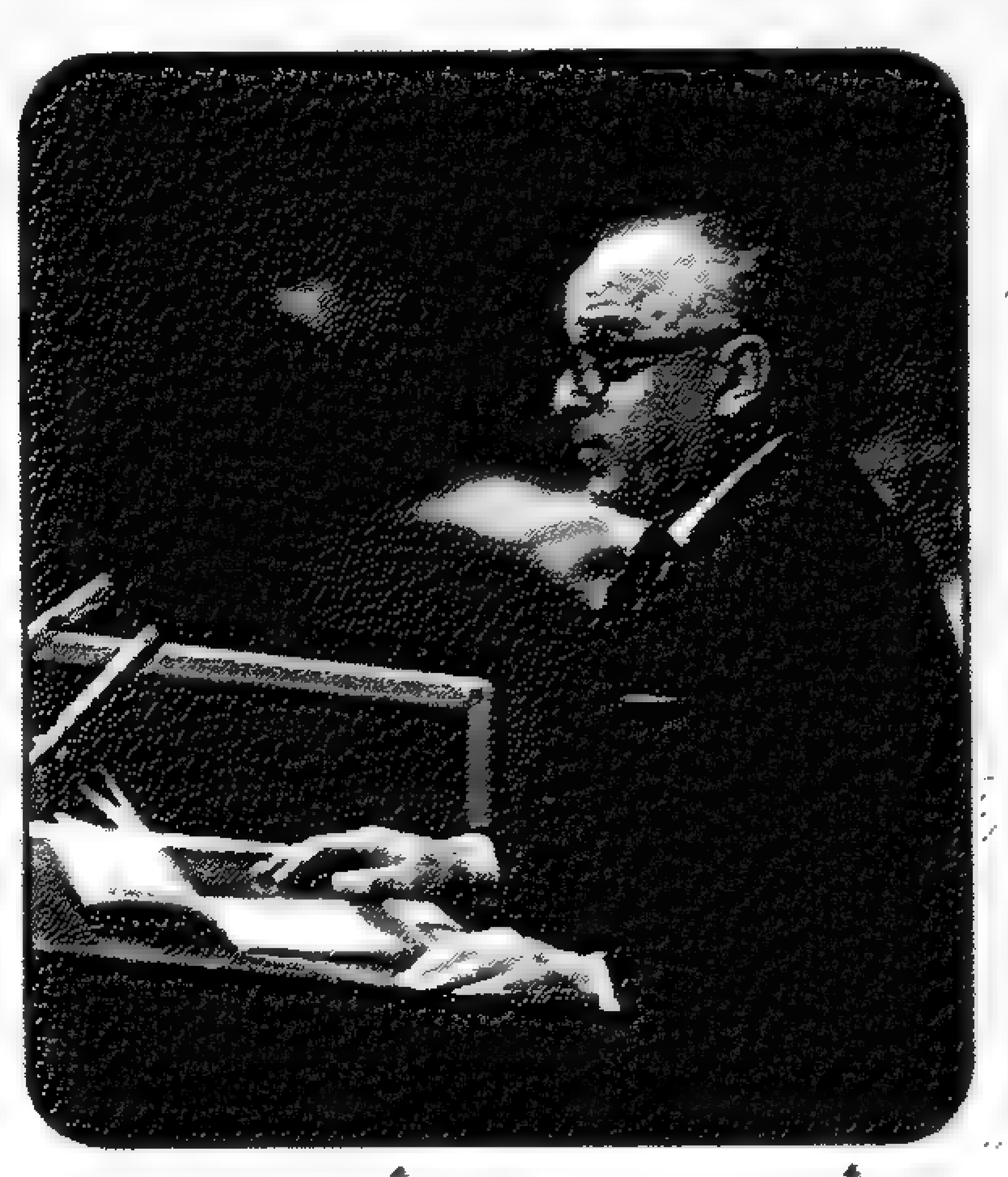
مسرحيات سنة ١٩٤٨ بعد النكبة:

وفي الفترة ما بين إعلان قيام دولة إسرائيل إلى ما قبل الهدنة وهي أقل من شهر، كتب باكثير مسرحيتين متفائلتين بانتصار الجيوش العربية والقضاء على دولة إسرائيل في المهد، الأولى بعنوان (**ليلة ١٥ مايو**) نشرت في ١٩٤٨/٥/٣٠م وهي رمزية ساخرة تدور أحداثها في تل أبيب، أبطالها ممثلو الدول الكبرى الثلاث جاؤوا يهنئون بن جوريون وراشيل مولودها اللقيط الذي حملت به سفاحاً منهم، وتنتهي بقصف الطائرات العربية لهم وتعالي صوت بن جوريون في الإذاعة يطلب النجدة لدولة إسرائيل. والمسرحية الثانية تتمة لها عنوانها (**معجزة إسرائيل**) ورغم أن موضوعها يدل على أن باكثير كتبها مباشرة بعد الأولى إلا أنها نشرت بعد الهدنة بتاريخ ١٢/ ١٩٤٨/٦م تدور أحداثها في المكان نفسه وبالشخصيات نفسها بإضافة مندوب جواتيمالا الموالي لإسرائيل وحضور مندوب بابا الفاتيكان الذي استنكر فحش راشيل وبراءة المسيح من مولودها السفاح، وتنتهي نهاية متفائلة حيث تضرب الطائرات العربية القصر ومندوب البابا يقول: «إن قنابل العرب لهي صواعق الرب».

وآخر مسرحيتين عثرت عليهما مما نشره سنة ١٩٤٨م هما (الخطة المزدوجة) نشرت في ١٩٤٨/٧/٤م، وتدور أحداثها في مقر الوكالة اليهودية بتل أبيب، وأبطالها مناحيم بيجين زعيم عصابة أرجون، وجاكوب زعيم عصابة شتيرن في حديث مع بن جوريون عن خطة الصهيونية المزدوجة في ضرب الأديان بعضها بعضاً، واصطناع المذاهب الهدامة مثل الشيوعية والماسونية حتى يخلو لهم وجه العالم ليحكمه صهيون. أما المسرحية الثانية فعنوانها (ترمن وجردس) نشرت في ١٩٤٨/٩/١٥م وكلمة ترمن مشتقة من اسم الرئيس الأمريكي ترومان وجردس مشتقة من اسم مندوب جواتيمالا (في أمريكا الجنوبية) جرانادوس، وكلاهما كان نصيراً للصهيونية بحماسة منقطعة النظير، وتدور أحداثها في عاصمة جواتيمالا بمناسبة زيارة وفد فلسطين برئاسة أكرم زعيتر الذي شرح لرئيس ولشعب جواتيمالا هناك حقيقة القضية الفلسطينية وكشف لهم عن الدور الذي لعبه مندوبهم في مناصرة الصهيونية، وقيام دولة إسرائيل مما حدا بهم إلى القبض عليه ومحاكمته، والاعتذار للشعب الفلسطيني والأمة العربية.

المسرحيات التي كتبها بشأن فلسطين بعد سنة ١٩٥٢م

انشغل باكثير بعد قيام الثورة المصرية في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م بكتابة عدة مسرحيات تمس مستجداتها على الساحة المحلية والعربية والدولية، وتأثير ذلك على إسرائيل وتخوفها منه، وابتداءً من



أكرم زعيتر في الأمم المتحدة

سنة ١٩٥٣م عاد للكتابة عن قضية فلسطين واليهود بشكل مباشر.

وقد عثرت على ثماني مسرحيات مما نشره في (الدعوة) سنتي١٩٥٣- ١٩٥٤م يوم الثلاثاء من كل أسبوع:

مسرحية (في سبيل إسرائيل) نشرت في ١٩٥٣/١٠/١٩م وتدور أحداثها الساخرة في قاعة محكمة بلندن تصور موقف الحكومة البريطانية المؤيد للصهيونية من خلال قرار المحكمة بتبرئة مواطن بريطاني يهودي هتف بسقوط بريطانيا إن هي انسحبت من قناة السويس لأن في ذلك إضرارا بأمن إسرائيل، وكان ونستون تشرشل أحد الشهود له بالبراءة. ومسرحية (الجولة الثانية) نشرت في ١٩٥٣/١٠/٢٦م تدور أحداثها في مكتب بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل حيث يتم الاتفاق مع عملاء الصهيونية ممثلي أمريكا وبريطانيا وروسيا على أهمية عقد اتفاق سلام مع العرب من خلال الأمم المتحدة خشية أن يشنوا حرباً على إسرائيل، فمثلما انتصرت إسرائيل في الجولة الأولى بالحرب فتنتصر بالجولة الثانية بالسلم حتى تتهيأ لحرب العرب وابتلاع فلسطين كاملة.

أما مسرحية (الملك برنار باروخ الأول) نشرت في ١١/٢/ ١٩٥٣م، وتدور أحداثها الساخرة بعد منتصف الليل في حجرة نوم الرئيس الأمريكي بالبيت الأبيض، وتصور حجم الضغط الصهيوني على الرئيس داويت أيزنهاور الذي تولى الرئاسة في تلك السنة (استمر إلى سنة ١٩٦٠م) وقراره بوقف الدعم الأمريكي لإسرائيل موقتا ترضية للعرب ولحين تتراجع إسرائيل عن قرارها بتحويل مجرى نهر الأردن، وكان

باروخ اليهودي وإلينور روزفلت قد أيقظاه عند منتصف الليل ليعدل عن قراره!

وفي مسرحية (**نصير السلام**) نشرت في ١٩٥٣/١١/٢٣م يسخر باكثير من الصهيوني المتعصب ونستون تشرشل الذي كان ينزل مع ابنته سارة في فندق ببرلين الغربية، وتصور حقده على الأمريكان الذين سيطروا على العالم، وكراهيته للألمان، وحرصه على إرضاء الصهاينة لدرجة أنه يحث ابنته أن لا تضاجع أحداً إلا إذا كان يهودياً!

وينتقل باكثير إلى الصهيوني الآخر صاحب اليد الطولى في قيام دولة إسرائيل، وأراد أن ينتقم منه ويمرغ كرامته في التراب رغم مغادرته البيت الأبيض، ويصوره في مسرحيتين متاليتين يتعرض للمحاكمة والإهانة وتثبت عليه تهمة التواطؤ لصالح دولة إسرائيل على حساب المصالح العليا للولايات المتحدة الأمريكية وذلك في مسرحيتي (**في بلاد العم سام**) نشرت في ١٩٥٣/١٢/١٤م، و(**أخيرا نطق**) نشرت في ١٨/ ١٢/ ١٩٥٣م، ودارت أحداثها في قاعة المحكمة العليا بواشنطن.

وفي مسرحية(**على خشبة المسرح**) نشرت في ١٩٥٤/١/٤م يواصل باكثير فضحه لعملاء الصهيونية الذين يقدمونها على مصالح أوطانهم، وبطل هذه المسرحية السياسي الإنجليزي أنورين بيفان (١٨٩٨ ـ ١٩٦٠) المختص بشؤون الشرق الأوسط الذي كان يؤدي مهمة شبيهة بمهمة الكونت برنادوت من حيث التظاهر بمجاملة العرب، ويظهر في حوار مع الصهيوني الإنجليزي إيمانويل شنويل للاتفاق معه على الدور



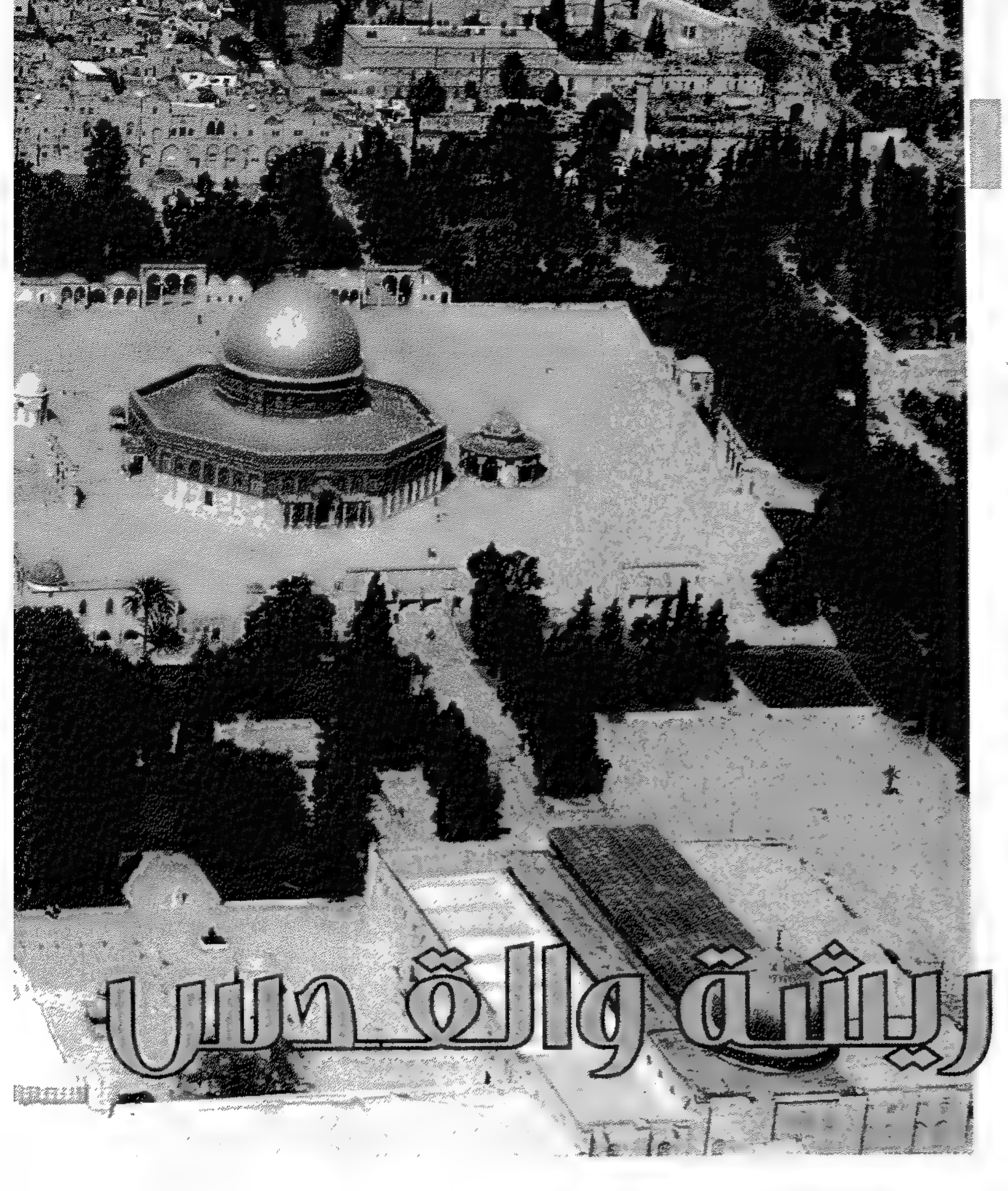
الملك سعود

الذي يؤديه على مسرح الشرق الأوسط.

وفي مسرحية (**الملك عبدالعزيز لم يمت**) نشرت في ١٩٥٤/٣/٢٢م ينتقل باكثير إلى مكتب وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر ودالاس (١٨٨٨ـ ١٩٥٩م) ليكشف مدى خضوع الساسة الأمريكان حتى المعتدلين منهم للمطالب الصهيونية، حيث يدور حوار ساخر بينه وبين برنار باروخ وإلينور روزفلت يطالبان فيه بالاحتجاج على تصريح الملك سعود بأن إسرائيل سرطان يجب استئصاله وإلغاء بيع صفقة الأسلحة المزمعة أو الاشتراط على السعودية عدم استخدامها ضد إسرائيل، وتنتهي المسرحية بخبر قرار الملك سعود بعدم شراء صفقة الأسلحة الأمريكية.

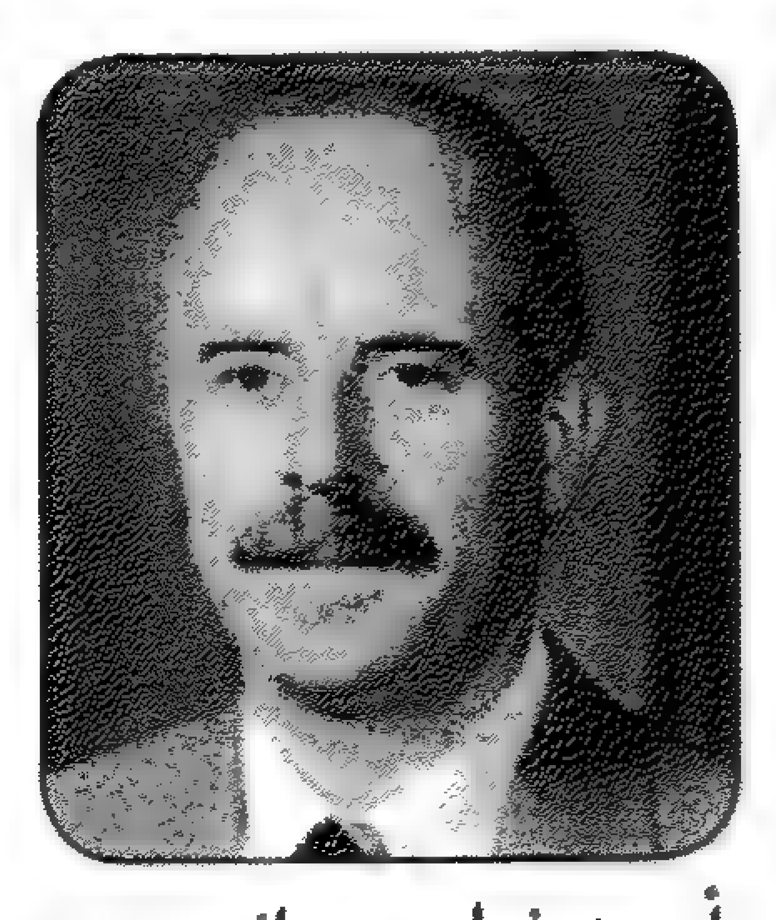
وبهذا نخلص إلى أن علي أحمد باكثير كان الأديب العربي الوحيد الذي حمل عبء متابعة مأساة فلسطين قبل حدوثها بسنوات، وصور أحداثها وتطوراتها من خلال كفاح فني طويل استغرق كل حياته، وقبل وفاته بخمسة أيام طلب باكثير في الخامس من نوفمبر سنة ١٩٦٩م من خيري حماد ترتيب زيارة له لمنطقة الأغوار ليعيش أياماً على خط المواجهة مع إسرائيل على نهر الأردن لأنه ينوي كتابة مسرحية عن المقاومة الفلسطينية. فقال له خيري حماد: «ومن أحق منك يا أخي بالذهاب إلى هناك؟ ولكن المنية سبقتنا، واختاره الله إلى جواره في الوقت الذي عزم فيه على المواجهة بنفسه، فليحتسبه الله عز وجل شهيدا من شهداء فلسطين، فلقد جاهد بقلمه ونفسه طوال حياته، ونسأل الله أن يجمعه بمن أراد لقياهم من الشهداء والصديقين والأبرار» ■





حظيت القدس في شعر عمر أبو ريشة (١٩١٠- م١٩٩٠) بكثير من اهتماماته ومشاعره وعواطفه. مثلما حظيت من شعره وقصائده بأكثر مما حظيت به أي مدينة أخرى. حتى مدينته حلب نفسها، التي فيها نشأ وترعرع وأمضى معظم سني شبابه. وفيها دفن.

عمر أبو ريشة والقدس



د . أحمد زياد محبك - سورية

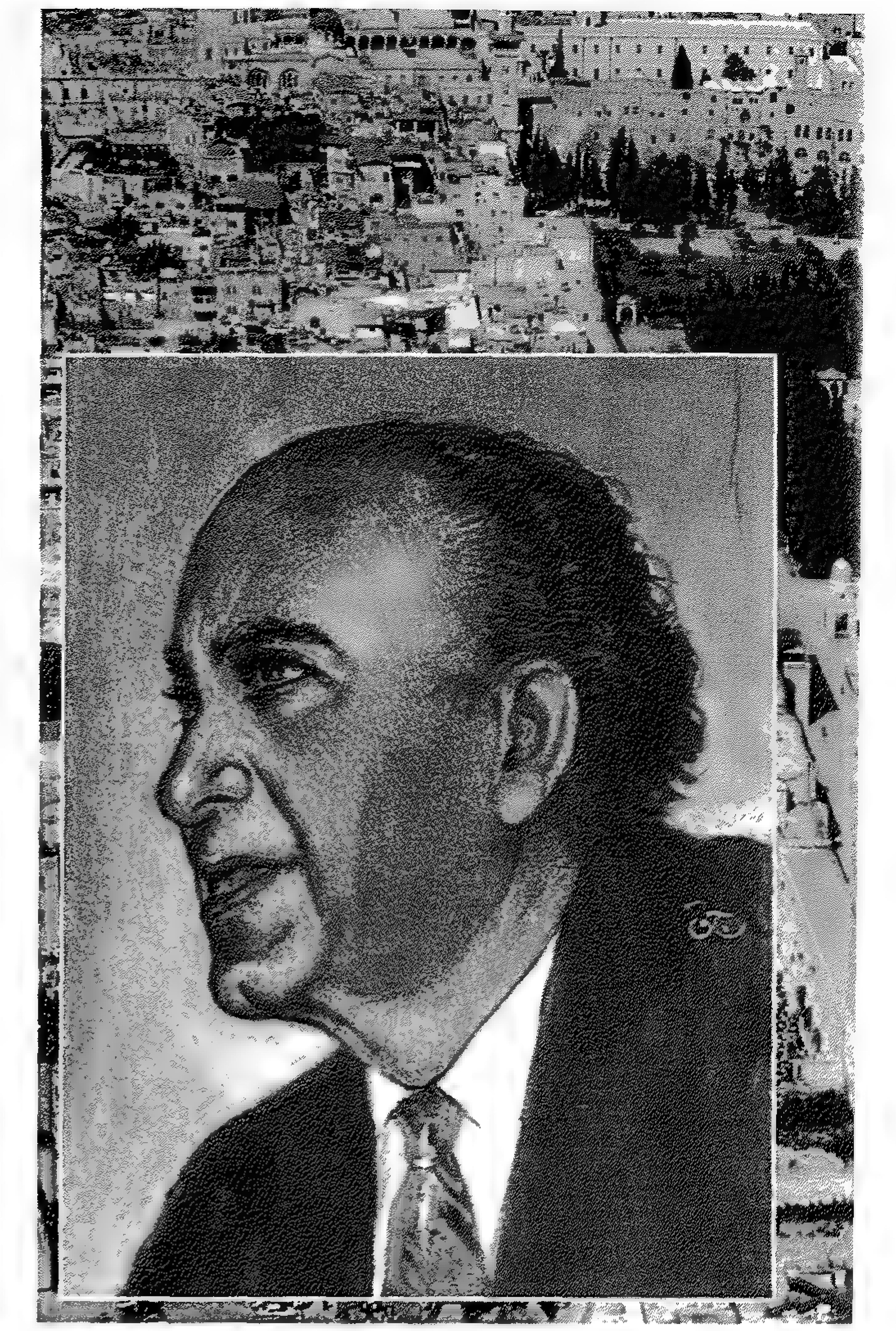
لقد كانت القدس بالنسبة إليه طوال حياته المنطلق الذي يقوّم من خلاله أي موقف، فهي القيمة التي تثبت مقدار الإيمان بالإسلام، والتمسك بالعروبة، والإخلاصِ لهما، والموقفُ منها هو الموقف الذي يثبت مقدار الوفاءِ للشعب، وتحقيقِ أهدافه وأحلامه في الحرية.

وكان الشاعر في كل مناسبة وطنية أو قومية، يذكر القدس، لأنها حاضرة دائماً في وجدانه، وفي وجدان كل عربي، فهي اللحمة والسدى، لأن قضيتها لاتنفصل عن أي قضية عربية أخرى.

وليس ذلك الموقف من القدس بغريب، فالقدس هي قلب المسلمين النابض، وعاصمة فلسطين، ومهد السيد المسيح عليه السلام، ومسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وهي التي دخلها عمر بن الخطاب، وأرسى فيها قواعد السلام، بل جعلها مدينة السلام، ثم غزاها من بعد الصليبيون، وظلوا فيها مئتي عام، حتى حررها فيما بعد صلاح الدين الأيوبي.

فالشاعر يتغنى ببطولات الشعب السوري، وعلى رأسه المجاهد إبراهيم هنانو وهو يقارع المحتل الفرنسي، وينشد في حفل تكريمه قصيدة مطولة عنوانها قيود، وفيها يقول [١]:

وطن عليه من الزمان وقار
النور ملء شعابه والنار
تغفو أساطير البطولة فوقه
ويهزها من مهدها التذكار



فتطل من أفق الجهاد قوافلٌ

مضر يشدّ ركابها ونزار

وفي سياق الفخار بالبطولة وربط الماضي بالحاضر، ينعطف الشاعر إلى القدس، ليندد بالمستعمر الإنكليزي، ويقرنَه بالغزو الصليبي، ويصورَ ماألحقَ بالشعب العربي في فلسطين من أذى، فيقول [٢]:

والقدسُ ما للقدسِ يخترق الدّمَا

وشراعُه الآثامُ والأوزار

أيُ العصور هوى عليه وليس في

جنبيه من أنيابه آثار

عهد الصليبيين لم يبرح له

في مسمع الدنيا صدى دوار

ويستشهد في جبل النار بفلسطين المناضل سعيد العاص، وهو ابن حماة، مما يؤكد وحدة الشعب العربي، ووحدة النضال ضد المستعمر، أيّاً كان، وأينما كان، سواء في سورية أو فلسطين، فهما بلد واحد، والشعب شعب واحد، وتقام له في دمشق وحماة حفلات التأبين، ويقف فيها عمر أبو ريشة ليرثيه بقصيدة مطولة عنوانها شهيد، وفيها يقول [٣]:

ياشهيد الجهاد ياصرخة الهول

إذا الخيل حمحمت في الساح

كلما لاح للكفاح صريخ

صحت لبيك ياصريخ الكفاح

تحمل الحملة القوية والإيمان

أقوى في قلبك المفراح

فكأن الحياة لم تلق فيها

مايروّي تعطش الملتاح

هبةً في يديك كانت ولما

رامها المجد عفتها بسماح

ويذكر بوعود الحلفاء للعرب، ووقوف العرب إلى جانبهم في الحرب العالمية الأولى، وتقديم العون لهم، على أمل نيل الحرية والاستقلال، ثم يندّد بنكث الحلفاء لتلك الوعود، وما جرّ على العرب من احتلال أقطارهم، وسلبهم الحرية، يقول مخاطباً سعيد العاص [٤]:

أي فتى المجد، إنه العمر، يومٌ

لخسار وآخرٌ لرباح

إن من سامك المنون لقوم

لم يحيّوا على الحجا والفلاح

خفروا ذمة العهود وصمُّوا

الأذن عن صرخة الهضيم اللاحي

كم وعود معسولة سكبوها

في فؤاد العروبة المسماح

فحشدنا لهم جيوش ولاء

ومددنا أكفنا للصفاح

وسفكنا الدم الزكي وزيّنّا

جبين الرحى بغار النجاح

وأردنا الأسلاب منهم فكنا

نحن أسلابهم ونحن الأضاحي



والشاعر لايضعف، ولا يدخل اليأس إلى قلبه، بل يظل متمسكاً بالحق، وهو يؤكد أن العرب لن يتخلوا عن فلسطين، حيث استشهد سعيد العاص في جبل النار، بل يؤكد أن مأساة فلسطين ستظل منارة تضيء للعرب طريق الكفاح، حيث يقول (٥):

جبلَ النارِ لن ننام كما نمت
جريحَ العلى كسيحَ الطِماح
لك حبٌ في قاسيونَ وصنّينَ
وسَيْناء مالَهُ من براح
أنت للعرب كالمنارة في الساحل
لاحت لأعين الملاح

والشاعر يبدع في القصيدة نفسها تصوير الصراع بين العرب في فلسطين والعداة المحتلين، ويقدم لوحة فنية متميزة، إذ يصور جبل النار في فلسطين يهتز غضباً من ظلام الطغاة، وتنطلق النسور العربية، تاركة فراخها، لتصارع قوى الظلام، ولكن هذه القوى تسلط نيرانها على النسور، فتحترق أجنحتها، وهي تنشب مخالبها في جسد الظالم، وتأبى إلا أن تسلم الروح وتروي الأرض بدمائها. يقول (٦):

ياظلام الأجيال قصّ جناحيك
فهذي طلائع الإصباح
مرود كحَل الجفون الكسالى
فأفاقت على السنا اللمّاح
فصحا من عليائه الجبل الهاجع
واهتزَّ مفعم الأتراح
وتعالى صياحه يتوالى
فاشرأبت نسوره للصياح
تركت في الوكون أفراخها الزغب
وهبت على أزيز الرياح
وتبارت عصائبا فالفضا الرحب
بساط من مخلب وجناح


سعيد العاص

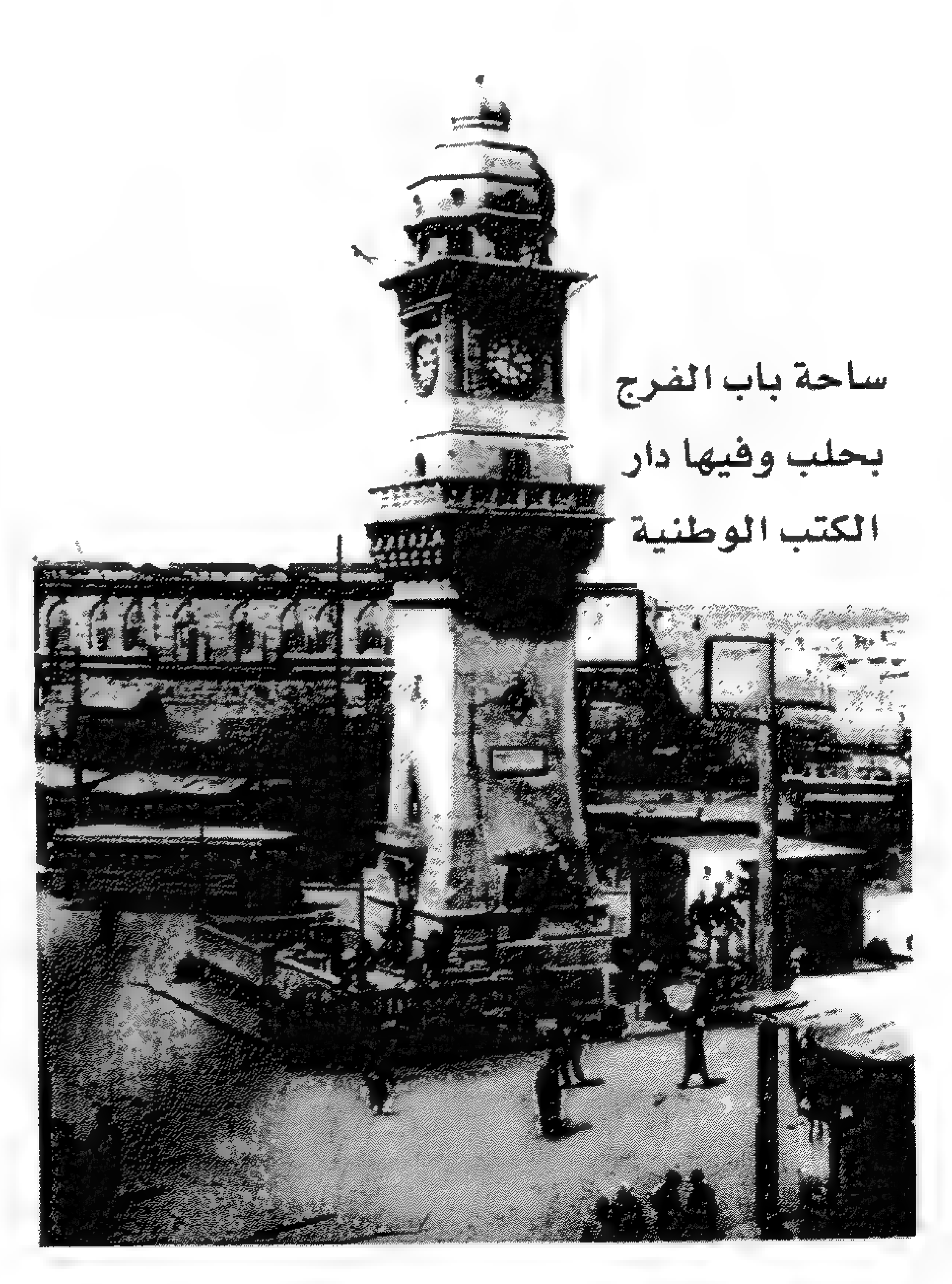
غضب البغي فانبرى يحشد الهول
ويرنو إلى الأذى بارتياح
شقّ فكّي جهنم فأسالت
في الروابي لعابَها والبطاح
فاقشعرت من وهجه القلل الصمّ
وأجّت شوامخ الأدواح
وتدجّى الدخان يحجب عين الشمس
عن مأتم الثرى المستباح
فتهاوت تلك النسور وأزرت
بالمنايا على اللظى المجتاح
تنشب المخلب المعقّف في البغي
وتزجي المنقار في إلحاح
ولسان اللهيب يلعب بالريش
ويطوي الجراح فوق الجراح
غضبة للنسور لا النصر فيها
بمتاح ولا الونى بمباح
لم تُزَحْزَحْ تلك المخالب إلا
بعدما جُرِّدَتْ من الأرواح
فتلاشى الدخان عن وَثَبات البغي
في بركة الدم النضاح

وسرى الليل مالئاً جبل النار

سكوناً لولا نشيد الأضاحي

فالشاعر يبدع في تصوير الصراع بين قوى الحق والباطل، الخير والشر، العرب والصهاينة، وهو يستعير صورة الليل والظلام والنيران تغالبها النسور وتنشب فيها مخالبها وتبذل الروح والدم لتسقي الأرض العطشى، والشاعر يؤكد أن قوى الحق على استعداد دائم للتضحية والفداء، وإن كانت تعلم أن الغلبة لن تكون لها، وحسبها فخراً وشرفاً أنها تثبت بطولتها، وتؤكد حقها، كما يؤكد الشاعر أن هذا الدم لن يضيع عبثاً فهو الذي سينبت شجرة العزة.

وصورة الصراع مبتكرة، وهي حافلة بالصور الجزئية البديعة، فالبغي يشق فكي جهنم، والثرى في مأتم مستباح، والنسور تنشب المخلب في البغي وتزجي المنقار، والعز بعد ذلك سرحة.



ساحة باب الفرج بحلب وفيها دار الكتب الوطنية

إن القصيدة مبنية على فنية عالية، وصور جديدة، ومعان بعيدة، وليس فيها إلا قدر قليل من المباشرة والخطابة ، على الرغم من أنها قيلت في مناسبة، وأنشدت في حفل، وكانت موجهة إلى جمهور حاشد من المتلقين.

وإذا دلّ هذا على شيء، فإنه يدل على أن الشاعر يأبى إلا أن يجوِّد فنه، ولو كانت قصيدته في مناسبة، فهي تصدر عن موهبة، لايمكن إلا أن تعبر عن ذاتها.أقوى مايكون التعبير.

وفي عام ١٩٤٥ قبل أن يتم لسورية الاستقلال، تفتتح دار الكتب الوطنية بحلب، وفي حفل الافتتاح يلقي الشاعر قصيدة مطولة عنوانها «هذه أمتي»، وفيها يعتز بالعروبة وقدرتها على نفض غبار الأيام، والنهوض ثانية لتصنع العزة، ثم يلتفت إلى القدس، ليشير إلى غدر الأحلاف بالعرب، ونكثهم بعهودهم لهم، وتشجيعهم اليهود على الهجرة إلى فلسطين، فيقول (٧):

وسلوا القدس هل غفا الشرق عنها

أو طوى دونها شبا مُرّانه

أهتاف خلف البحار بصهيون

وحدب على بناء كيانه

ومن الهاتف الملح؟ أحرٌّ ؟

أين صدق الأحرار من بهتانه

أين ميثاقه؟ أتنحسر الرحمة

في دفتيه عن عدوانه ؟

يالذل العهود في فم من

أجرى على عزّها دما فرسانه

وأقيمت حفلة ثانية في دار الكتب الوطنية بحلب، عام ١٩٤٧ في ذكرى جلاء المستعمر عن سورية، فيلقي عمر أبو ريشة قصيدة مطولة عنوانها: «عرس المجد» يفخر فيها بمجد العرب، ويعبر عن فرحة كبيرة بالاستقلال، يقول في مطلعها (٨):

ياعروس المجد تيهي واسحبي
في مغانينا ذيول الشهب
لن تري حفنة رمل فوقها
لم تعطر بدما حرَ أبي
درج البغي عليها حقبة
وهوى دون بلوغ الأرب

ثم يخاطب في تضاعيف القصيدة القدس الشريف فيتغنّى بطهر أرضه ثم يؤكد أن المصاب في فلسطين قد وحّد العرب ولمّ شملهم وأنهم جميعاً لن يتخلوا عن الحق، فيقول [٩] :

ياروابي القدس يامجلى السنا
يارؤى عيسى على جفن النبي
دون عليائك في الرحب المدى
صهلة الخيل ووهج القضب
لمت الآلام منا شملنا
ونمت مابيننا من نسب
فإذا مصر أغاني جلّق
وإذا بغداد نجوى يثرب
ذهبت أعلامها خافقة
والتقى مشرقها بالمغرب
كلما انقضّ عليها عاصف
دفنته في ضلوع السحب
بورك الخطب فكم لف على
سهمه أشتات شعب مغضب

ولكن هذه الرؤية الواثقة المتفائلة، ماتلبث أن تصاب بفاجعة كبيرة، عندما ترتد القوى العربية على أعقابها عام ١٩٤٧، ويعلن الكيان الصهيوني في ١٥ أيار ١٩٤٨ عن قيام دولة إسرائيل، فينفجر الغضب في قلب الشاعر، ويعاتب أمته بقسوة، منكراً عليها تقصيرها في الدفاع عن الحق في قصيدة له شهيرة عنوانها «أمتي» يقول في مطلعها [١٠]:

أمتي، هل لك بين الأمم
منبر للسيف أو للقلم
أتلقاك وطرفي مطرق
خجلاً من أمسك المنصرم
ألإسرائيل تعلو راية
في حمى المهد وظل الحرم
كيف أغضيت على الذل ولم
تنفضي عنك غبار التهم

وسرعان مايصب الشاعر نقمته على القادة العرب آنئذ ويحملهم المسؤولية، ويعاتبهم بحدّة بالغة، فيقول عنهم:

ربّ وامعتصماه انطلقت
ملء أفواه البنات اليتم
لامست أسماعهم لكنها
لم تلامس نخوة المعتصم

ثم يلتفت إلى أمته ليحملها المسؤولية كلها، ويلومها على سكوتها عن بعض حكامها، فيقول:

لايلام الذئب في عدوانه
إن يك الراعي عدو الغنم

والقصيدة مفعمة بالحدة وشدة الانفعال، وهي تضج بالأسئلة والنداءات، وقد عني الشاعر فيها بالطرافة والإدهاش، وتعدّ إحدى قصائده المتميزة، وقد لقيت في حينها رواجاً كبيراً، وحسبها أنه استهل بها ديوانه الذي أصدره عام ١٩٧١.

وينتاب الشاعر بعد ذلك قدر غير قليل من الاكتئاب والحزن، وهو يرى القدس تنتهك، وقوافل اللاجئين تجرّ خطا الألم والشقاء والعذاب، والعرب لاهون عنهم عابثون، فيطلق قصيدة مطولة عنوانها «حماة الضيم»، وفيها يقول [١١]:

هل في روابي القدس كهف عبادة
تحنو جوانبه على أحباره
خشب الصليب على الرمال مخضب
بدماء من نعموا بطيب جواره
فإذا سبيل الحق منفض الصوى
تاهت به الطلقاء من زواره


جموع من النازحين إثر النكبة

وإذا قوافله العجاف طريدة
والبغي يقذفها بمارج ناره
كم متعب جرَ السنين وراءه
ومشيبه يبكي جلال وقاره
متلفتاً صوب الديار مودّعا
وخطاه بين نهوضه وعثاره
كم حرّة لم تدر عين الشمس ما
في خدرها أغضت بطرف كاره
وبناتها وجلى تضج أمامها
والرجس يدفعها إلى أوكاره
بمن استجارت هذه الزمر التي
مد الزمان لها يد استهتاره
العري ينشرها على أنيابه
والجوع يطويها على أظفاره

وعلى الرغم من هذا الألم، وما يراه الشاعر من مظاهر الضعف والبؤس والتشرد، فإنه لايفقد الأمل، ويظل على ثقة بأن فجر الخلاص قادم، فيقول:

مهلاً حماة الضيم إن لليلنا
فجراً سيطوي الضيم في أطماره
مانام جفن الحقد عنك وإنما
هي هدأة الرئبال قبل نفاره

ومما لاشك فيه أن هذه الثقة بالنهوض إنما هي مستمدة من التمسك بالحق العربي، ومن قوة هذا الحق نفسه.

وها هو ذا العيد يمرّ بالشاعر، فلا يهنأ به، ولا يحس فيه بسعادة، لأن روابي القدس مستباحة، ولكنه يثق بأن خلاصها قادم، ويعبرّ عن ذلك في قصيدة « ياعيد» وفيها يقول [١٢]:

ياعيد، مافترّ ثغر المجد، ياعيد
فكيف تلقاك بالبشرى الزغاريد
طالعْتَنا وجراح البغي راعفة
وما لها من أساة الحي تضميد
فتلك راياتنا خجلى منكسة
فأين من دونها تلك الصناديد
ياعيد كم في روابي القدس من كبد
لها على الرفرف العلوي تعبيد
سالت على العز إرواء لعفته
والعز عند أباة الضيم معبود
سينجلي ليلنا عن فجر معترك
ونحن في فمه المشبوب تغريد

والقصيدة تدل على حزن يحزّ في أعماق الشاعر، لما نال القدس من عدوان، ولما هو عليه حال العرب من تقصير تجاهها، كما تدل القصيدة على تضحيات العرب في فلسطين ونيلهم الشهادة، والشاعر يمجّد أرواحهم، ومن خلال هذه التضحيات يمتلك الثقة بالنصر.

إن الحزن حالة لابدّ منها، تزيد الحسّ رهافة، والوعي قوة، ولا تعدم الرجاء، ولا تفني الأمل، بل لعل تلك الحالة تزيد الأمل قوة.

وتمر على النكبة عشر سنوات، ويطل العام الجديد ١٩٥٩، فيجد الشاعر المأساة ماتزال كما هي، احتلال، وتشريد، وقهر، فلا يهنأ الشاعر بقدوم العام الجديد، ويجد غرفته كئيبة خاوية، على الرغم من امتلائها ببطاقات التهنئة التي يراها فارغة من معناها، وهذا مايعبر عنه في قصيدة عنوانها «عام جديد» وفيها يقول [١٣]:

وحدي هنا في حجرتي
والليل والعام الوليد
وحدي، وأشباح السنين
العشر ماثلة الوعيدْ
كم حطّمتْ مني ومن
زهوي ومن مجدي التليدْ
وقفت لتنثر كل جرح
كان في صدري وئيدْ
من صيحة الوطن الطعين
ورقدة الوطن الشهيد
وكآبة الشيخ الطريد
ودمعة الطفل الشريد
وتململ الأحرار في
أغلال حكام عبيد
وتكالب الأقزام فوق
ذيول عملاق عنيد
وحدي هنا في حجرتي
والجرح والفجر الجديد
ورسائل شتّى تقول
جميعها عاماً سعيد

ويصعب على الشاعر أن يسمع أن أحد الأغنياء العرب قد أنفق مبلغاً كبيراً على ملذاته، في الوقت الذي تعاني فيه القدس من جراحها فيثور غضب الشاعر، وينقم، ويمضي ليرسم لوحة لذلك الغني، يسخر فيها منه، ويهزأ، في قصيدة له عنوانها «هكذا» وفيها يصور جود ذلك الغني وإنفاقه على ملذاته، فيقول [١٤]:

قال: ياحسناء ماشئت فاطلبي
فكلانا بالغوالي مولع
أختك الشقراء مدت كفها
فاكتسى من كل نجم إصبع
فانتقى أكرم مايهفو له
معصم غضّ وجيد أتلع
وتلاشى الطيب من مخدعه
وتولاه السبات الممتع

ثم يعلّق على موقف الغني، ساخراً، في تفجع مرّ، فيقول في ختام القصيدة:

هكذا تقتحم القدس على
غاصبيها هكذا تسترجع

وفي هذا الختام مايحزّ في الأعماق، ويثير الشعور بالمرارة والألم، بالإضافة إلى مافيه من سخرية وإدانة.

ويعلّق الشاعر الأمل على الملك فيصل - رحمه الله- عندما يعلن عام ١٩٧٥ عن عزمه على تحرير القدس، فيتمثل فيه صلاح الدين محرّر القدس، ويتوجه إليه في قصيدة مطولة عنوانها " أنا في مكة "، فيقول [١٥]:

ربعُ حطين موحش ياصلاح الدين
إلا من ذكريات غوال
سرِ بنا صوبه وصلْ بنا في القدس
واضرب حرامه بالحلال

ولكن فجأة يغتال الملك فيصل عام ١٩٧٥، فيرثيه الشاعر بقصيدة مطولة عنوانها "أمرك يارب" (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، وهما الكلمتان اللتان نطق بهما الملك فيصل وهو يجود بروحه، وقد جعل الشاعر القصيدة على لسان الملك، وصوره وهو يودّع الدنيا، ويتوجه إلى ربه بالنداء، معبراً عن أمنيته الأخيرة، وهي تحرير القدس، فيقول(١٦):

لي بعدُ يارب من دنياي أمنيةٌ
تقتات بالوعد منها كلَّ أشجاني
أردت أختم فيها العمر مقتحما
أحقادَ حطين في مضمارها الثاني
وأن أصلّي وكف القدس تحمل لي
رضاك في المسجد الأقصى وترعاني
ماكان أكرمها في العمر أمنية
ماكنت أحسبها تمضي وتنساني

والشاعر يدرك أن الملك فيصل لم يفقد الأمل، كما أن الشاعر نفسه لم يفقد الأمل فكلاهما يثق بعد الله بهذه الأمة، ويعرف أن المسلمين لن يتخلوا عن الحق، ولن ينسوا الأمانة، ولا بد من تحرير القدس، ولو طال الأمد، يقول الشاعر على لسان الملك فيصل وهو يجود بروحه:

يارب ماضاع عهد القدس إن له
قومي الأباةَ أعادي كلِّ عدوانِ
أمانة لك لن يرموا بحرمتها
ولن يجروا عليها ذيل نسيانِ
أكاد ألمحهمْ في ظل مسجدها
وخالدٌ من سنا محرابه دانِ

وبذلك يعبر الشاعر عن رؤية قوامها التمسك بالحق، والثقة بالأمة، والتفاؤل بالمستقبل، والأمل بتحقيق النصر.

وتلك الرؤية، هي رؤية كل مسلم يؤمن بالحق ويتمسك به ويناضل لأجله، وتلك المعاناة هي معاناة


الملك فيصل


الملك فيصل في القدس

الشعب العربي والإسلامي كله، من المحيط إلى الخليج. وهي معاناة شعب، ورؤية شعب، تعدّ قضية فلسطين بالنسبة إليه قضية حق ووجود، وهي قضية حاضر ومستقبل، ولذلك لايفقد المرء الأمل، ولو وافاه الأجل، لأنها قضية شعب وتاريخ ووطن.

ولعل في هذا كله مايؤكد عمق انتساب الشاعر إلى أمته وشعبه وتاريخه، فهو انتساب شاعر وعى القضية، وعاش تاريخها، وعرف أبعادها، ذاق فيها المرّ، ورأى النكبة والنكسة، ولكنه لم يقنط، وظل متعلقاً بالقضية.

ومثلما أخلص أبو ريشة للقضية في فكره ووجدانه

ومواقفه، كذلك أخلص لها في فنّه، فكان يجوّد شعره، ويتقنه، ويعنى بصوره، ويجدّدها، وينتقي ألفاظه، ويجوّدها.

ولعلّ أهم ماسيذكر له جرأته في انتقاد الحكام العرب، في ضياع القدس وفلسطين، كما سيذكر له دائماً ثقته بشعبه، وأمته، وتعليقه الأمل دائماً على الجندي والمقاتل والفدائي، وحماة الوطن، وإدراكه أن القوة دائماً هي السبيل إلى النصر.

ومن أهم المعاني التي كان يردّدها طهر القدس ونقاؤها، وإشارته إلى مكانتها لدى المسيحيين والمسلمين، فهي مهد عيسى ومسرى محمد، عليهما السلام، وكان يراهما دائماً متعانقين.

كما كان يرى في الصهاينة دائماً شرذمة من اليهود الكاذبين الظالمين الطغاة صانعي الأكاذيب مدنسي الحرم المقدس.

وفي هذا السياق كان يندّد دائماً بالإنكليز، لنكثهم وعودهم للعرب، ومنحهم العهود لليهود.

وكان مايفتأ يمجد الشهداء، ويأسى لآلام المشرّدين، واللاجئين، ويؤكد انتصار الحق بالقوة. وما كان يهنأ بعيد بل كان في كل عيد يذكر القدس، كما يذكرها في كل مناسبة، لأنه كان يحمل القضية في وجدانه.

وأمل الشاعر بالمستقبل، وثقته بالشعب، وتفاؤله بالنصر، ماكان ليمحو نغمة حزن كانت تشيع في كل ماقاله عن القدس وفلسطين، مثلما هي شائعة في شعره كله. كذلك لايغيب التاريخ عن شعره في القدس، ففي كل حين تأتلق أسماء خالد وصلاح الدين وكتائب الفتح، مثلما تألقت في شعره قصائده عن محمد ﷺ وخالد والمتنبي والمعري. وإذا دلّ شيوع الحزن في شعره كله وتألق التاريخ على نزوع رومانتيكي، فإنه يدل على ماهو أهم من ذلك، ألا إنه الصدق والأصالة وتميز الصوت وخصوصيته.

ويلاحظ أخيراً أنه كان يعالج تلك المعاني بلغة شعرية راقية، فيها قوة وفيها متانة، وفيها صور جديدة، وإشارات بعيدة، شفيفة، حتى في القصائد التي يعرف أنه سيلقيها في مناسبة، وأمام جماهير حاشدة. لقد كانت المناسبات تقدح زناد قريحته، وتثير فيه شاعريته، وتحرضه على القول، فيجود فيها مثلما يجوّد في غيرها، يدل على أنه شاعر صادق، مخلص لشعره وفنه، في الحالات كلّها.

ويبقى عمر أبو ريشة بعد ذلك كله واحداً من مئات الشعراء العرب، الذين اعتنقوا القضية الفلسطينية، وعشقوا القدس، وتمسكوا بالحق العربي والإسلامي، وناضلوا بشعرهم وفنهم، وأحياناً بدمهم وأرواحهم، في سبيل النصر، وما التزام الشعراء القضية الفلسطينية إلا جزء من التزام الشعب العربي في كل مكان وكل قطر لهذه القضية، التي هي قضية العرب والمسلمين، ومقياس انتمائهم إلى أمتهم وأرضهم وشعبهم وتاريخهم ■

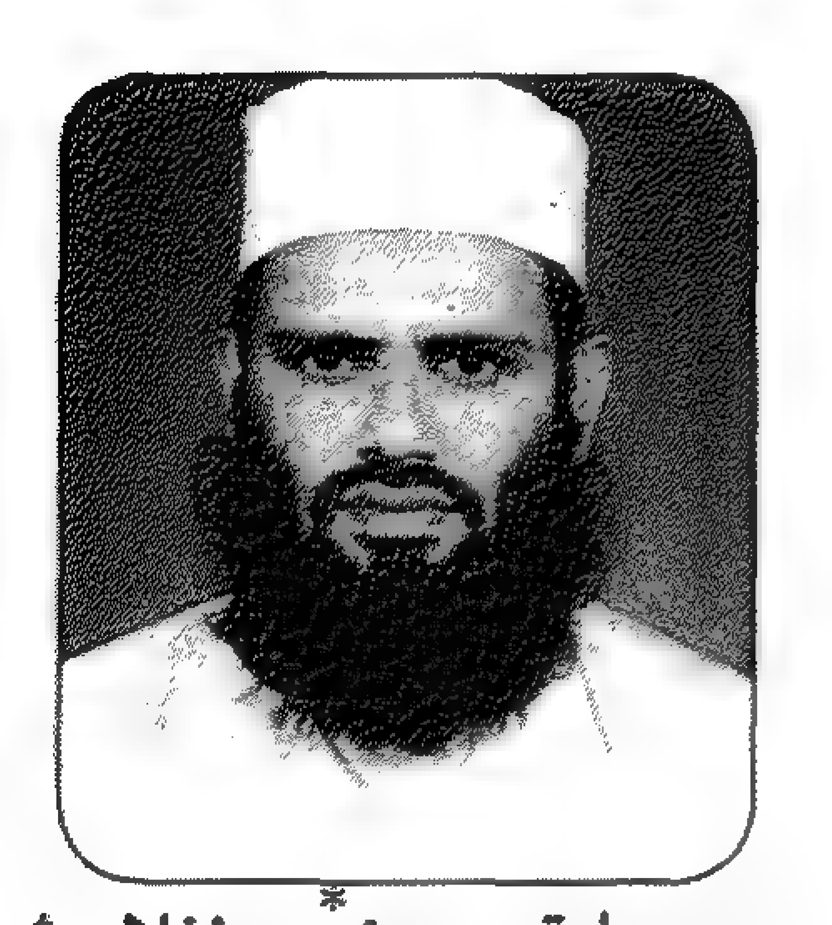
الهوامش:

(١) ديوان عمر أبو ريشة، الأعمال الكاملة، ج١، ص٥٥٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧١م.
(٢) السابق، ص ٥٥٧ - ٥٥٩ .
(٣) السابق، ص ٥٦٩ - ٥٧١ .
(٤) السابق، ص ٥٧٢ - ٥٧٤ .
(٥) السابق، ص ٥٧٤ - ٥٧٥ .
(٦) السابق، ص ٥٦٤ - ٥٦٨ .
(٧) السابق، ص ٥٢٦ - ٥٢٧ .
(٨) السابق، ص٤٣٧.
(٩) السابق، ص٤٤٧ - ٤٤٨ .
(١٠) السابق، ص٧.
(١١) السابق، ص١٧ - ٢٠
(١٢) السابق، ص٩٣-٩٥.
(١٣) السابق، ص٦٤.
(١٤) السابق، ص٢٦-٢٧.
(١٥) ديوان(أمرك يا رب)، ص٥٧، دار الأصفهاني ، جدة، ١٣٩٨هـ.
(١٦) السابق، ص١٤.



فلسطين في الشعر البنغالي

يحظل الأدب البنغالي بالمعاني الدينية والمشاعر الإسلامية منذ أمد بعيد. والشعب البنغالي المسلم يعتز بالتراث الإسلامي، ويتألم لآلام الأمة المسلمة، ويهمه أمر المسلمين، لذلك فهو يحب فلسطين حبا جما لما فيها من أماكن مقدسة ومعالم تاريخية إسلامية لاسيما القدس الشريف والمسجد الأقصى، ويدل على ذلك احتجاجاتهم الصارمة ضد كل ظلم وعدوان يقع على فلسطين، كما يشهد به القصائد الجياشة للشعراء وأناشيدهم المتحمسة، فضلا عن المقالات الأدبية والروايات والقصص وغير ذلك من فنون الإبداع الأدبي، حيث احتلت القضية الفلسطينية بملابساتها مساحة فسيحة في الأدب البنغالي الإسلامي المعاصر.



محمد صادق حسين* - بنغلاديش

وإذا تصفحنا دواوين الشعراء البنغاليين الإسلاميين المعاصرين أمثال الشاعر الثائر نذر الإسلام، والشاعر فروخ أحمد، والشاعر إسماعيل حسين سراجي، والشاعر علاؤل، والشاعر قعقوباد، والشاعر المحمود.. وغيرهم كثير، وجدناها مليئة بحب فلسطين والشغف بالقدس الشريف، حتى نرى في قصائد بعضهم تاريخ فلسطين مجملا بلغة منظومة شعرية رشيقة من عهد سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى الفاتح صلاح الدين الأيوبي، مثل «قصيدة حضرة عمر» للشاعر نذر الإسلام.

وهذه القصيدة تعد من أجمل قصائد الشاعر نذر الإسلام، إذ ألقى الضوء على سيرة سيدنا عمربن الخطاب، رضي الله عنه، بلغة عذبة، وخص الشاعر جزءا كبيرا من القصيدة لحكاية سفر سيدنا عمر.. التاريخي إلى بيت المقدس، و«العهدة العمرية» التي أعطاها للبطريرك صفرانيوس.

* طالب دراسات عليا بجامعة الملك سعود بالرياض.

هكذا شهد الأدب البنغالي المعاصر قصائد رائعة، يؤكد فيها الشعراء أن العرب هم السباقون في تشييد مدينة القدس وبنائها عبر القرون، وأصبحت منذ فتحها في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.. مدينة إسلامية- عربية بمعالمها التاريخية والحضارية، وظلت كذلك منذ ذلك الوقت إلى عام ١٩٤٨م، إذا استثنينا مدة الحروب الصليبية ما بين ١٠٩٩م-١١٨٧م، إذ استطاع المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي تحرير المدينة المقدسة في معركة حطين الخالدة يوم الجمعة ١٢ أكتوبر ١١٨٧م،.. وما بعدها.

وقد بين الشعراء البنغاليون الإسلاميون في غضون قصائدهم عن فلسطين.. كيف خص الله عز وجل المسجد الأقصى المبارك بمعجزة الإسراء والمعراج، وجعله سبحانه قبلة الإسلام الأولى، فهو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وأعلى ذكره في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (سورة الإسراء).

وكلما هجم الأعداء على فلسطين هجوما عنيفا، وأسالوا دماء سكانها كبارا وصغارا، وقامت الدولة العبرية الغاشمة بحفر الأنفاق حول الحرم الشريف وتحته، وعملت لتهويد مدينة القدس ظلما وقهرا فصمت العالم أمام هذه الجريمة صمتا مريبا، استفز ذلك ضمير الشعراء البنغاليين مع قرنائهم في العالم الإسلامي، فأبوا السكوت على الباطل، وحاولوا كسر ذلك الصمت بتحريض قلوب المؤمنين على الجهاد ضد هذه الاعتداءات، فأبدعوا أشعارا نبيلة، وقصائد لا تقل روعة عن مثيلاتها في آداب الشعوب الأخرى، واستطاعوا التعبير عما يجيش في صدورهم نحو إخوانهم الفلسطينيين المظلومين.

ولضيق المساحة المتاحة أختار من روائع الشعراء البنغاليين المعاصرين نموذجين: أحدهما قصيدة «الدماء كلها تتحول إلى أحجار» للشاعر فضل شهاب الدين. وثانيهما قصيدة «فلسطين» للشاعر محمد نور الهدى. وكلتاهما طافحتان بحب فلسطين وشعبه المظلوم.

ففي قصيدة "الدماء كلها تتحول إلى أحجار"، يستنكر الشاعر صمت العالم على ظلم اليهود الذين يلعبون بدماء شعب فلسطين، ويتجاوزون كل حدود في العدوان، فيقول معبرا عما في ضمائرهم بأسلوب السخرية والاستهزاء من صنيعهم:

«هذا وقت اللعب،
هيا بنا نمارس لعبة القتل والفتك،
في فلسطين ولبنان،
وفي مناطق مجاورة حتى القاهرة،
وتلك الجهة حيث تقع غزة، أرض الظلال الوارفة،
في بلاد «حماس» المنتخب،
أما العلم الفلسطيني فنمزقه كله،
في مرح لا يتخيله المتخيلون،
حيث نقتل أناشيد السلام قاطبة
(نقتل) الأغاني الجميلة والألفاظ الجياشة.
نجري الدماء في كل جهة- دماء طازجة.. دماء فقط.»

ثم يكشف الشاعر عن حقيقة اليهود الغاشمين وعاقبتهم الوخيمة، ويندد بانشغال المسلمين بأنفسهم عن واجبهم في إنقاذ فلسطين ومدينة القدس الشريف من براثن اليهود الظالمين، متوعدا بأن كل ظلم تعقبه الهزيمة العاجلة، وسوف يواجه اليهود هزيمة وخيبة.. فيقول:

«اليهودي في مستوطنته غاضب شرس يلعب بالدماء
ونحن مشغولون بأنفسنا أيضا،
آه! لا يعلمون ولا يدركون
ولن يدركوا أبدا، لأنهم لا يريدون الإدراك.
إنما الدماء دماء الخلود.. لن تضيع أبدا،
مهما سالت تتحول إلى أحجار، ولا غير!

على مر الأيام تتحول إلى أحجار حتما،
ومن تلك الأحجار تصنع الأسلحة بعدد لا يحصى،
وهم لا يعلمون أن كل ظلم واعتداء يورث
هزيمة نكراء في نهاية المطاف،
آه! إنهم لا يعلمون.. آه! ولن يعلموا أبدا».

أما قصيدة «فلسطين» فهي تتم على حقيقة مسماها، حيث يحلم الشاعر محمد نور الهدى بمستقبل زاهر لفلسطين، فيشهد بكل ثقة وإيمان بأنها سوف تحرز حريتها المنشودة، كما يكشف عن أعداء أرض فلسطين وشعبها ومن يحالفونهم في الظلم والاحتلال، فيطمئن الشاعر الفلسطينيين بأن السعادة سوف تطرق الأبواب، وسينقضي عن طريقهم كل ضباب، ثم يتقدمون إلى الأمام، وإلى الأمام فقط. يقول الشاعر:

«فلسطين! فلسطين لا تقهر، ستحرر
ستنتهي أيام اليهودية الغاشمة،
فلسطين! فلسطين ستكون مطلقة ومحررة
وتعود السعادة إلى كل بيت من بيوتكم
ستعود الأيام السعيدة، ستعود الأيام السعيدة
الذين حولوا غزة إلى وادي الموت
هما «بوش» و«أولمرت» حاكمان قاتلان
سيحكم عقلاء العالم بالنكال عليهما
وفي الحقيقة هما مختلان عقليا دائما
فلسطين.. فلسطين..!
والذين يضحكون مكرا ومؤامرة هم أحلاف القتلة
وهم ثرثارون أتباع الغاشمين
سيحفر الزمان لهم قبورا
وستطمس عاصفة صحراوية مساكنهم
فلسطين.. فلسطين..!
كأن الأمم والشعوب صارت خرساء، لا يشعرون بمن
ينشر الأحقاد في الأرض المقدسة،
وبذلك تفور الدماء في شرايينكم
الاستشهاد سلاح النصر، ستكونون أحرارا إلى الأبد
فلسطين.. فلسطين..!».

وفي الأخير يثير الشاعر حماسة كل الناس الذين يحبون الإنسانية والسلام، فيحثهم رجالا ونساء، حتى يهبوا من غفوتهم ويقوموا لإقرار الأمن والسلام في الأرض المقدسة، فيقول:

«قوموا، واستيقظوا، يا سكان العالم، قوموا رجالا ونساء
للحرب دفاعا عن السلام متقلدين بسيوف العدالة
في ضفة البحر المتوسط، بين صفوف أشجار الزيتون
واعلموا أن الإنسانية حية لا تموت، كالأعراب يتجولون دائما.
فلسطين.. فلسطين، ستكون مفتوحة ومحررة
وستعود السعادة إلى كل بيت من بيوتكم
ستعود الأيام السعيدة، ستعود الأيام السعيدة!■



دراسة

من الخصائص التي تسم الشعر الأمازيغي، أنه شعر إسلامي بامتياز، ففيه تنعكس شخصية الإنسان الأمازيغي المتشبع بقيم المحجة البيضاء، وفيه تتلألأ صورة المؤمن الأمازيغي الذي يعلم أنه لن يحشر في زمرة المسلمين إلا إذا اهتم بشؤونهم وعانق قضاياهم، وفرح لأفراحهم وحزن لأحزانهم، وتقطع قلبه إذا ساءت أحوالهم وكثرت نكباتهم.

انتفاضة الأقصى في الشعر الأمازيغي

تصوير للوحشية الصهيونية ودعوة لإنقاذ مهد الديانات

— محمد أعماري - المغرب —

الشعر الأمازيغي بهذا شعر القضايا الإسلامية بامتياز، فقد تناغمت ألحانه وأوزانه مع آلام الثكالى وعبرات الأيتام أيام إبادة الصرب المتوحشين لمسلمي البوسنة والهرسك، وصبت قصائده جام غضبها على العدوان الأمريكي ضد العراق في حرب الخليج الثانية، وبكت ورثت قوافيه ومقاطعه شهداء الانتفاضة الأولى منذ انطلاقتها في ديسمبر سنة ١٩٨٧، وذرفت أعين الشعراء الأمازيغ ومحبيهم وجمهورهم، وما تزال، دموع الحزن والكمد على مهزلة العجز العربي في صد العدوان الصهيوني.

ونحن مازلنا نعيش أنسام الذكرى الثانية لانتفاضة الأقصى، أحببنا أن نقدم للقارئ الكريم قراءة في قصائد شعرية أمازيغية تناولت أحداث هذه الانتفاضة المباركة، وبكت شهداءها، وتألمت لآلام ثكالاها وأيتامها، ونعت النخوة والشجاعة العربية والإسلامية.

هذا مع العلم أن ترجمة معاني هذه القصائد لاشك ستضيع معها الكثير من معانيها ومؤثراتها، كما ضاع الكثير من هذه المعاني والمؤثرات مع طريقة أدائها وألحانها بعد إنزالها جافة على الأوراق.

وحشية الصهاينة على مرآة القصيدة الأمازيغية

برع الشعراء الأمازيغ في تصوير وحشية اليهود وحيوانيتهم، وأبان العديد منهم في قصائدهم عن متابعة دقيقة لتفاصيل القضية الفلسطينية ومستجداتها، وعن تجاوب كبير مع أحداثها ومجرياتها. فقد جاء في إحدى القصائد التي أبدعتها مجموعة «إنشادن» (الشيخ البوغلي ومجموعته) (الشيخ: بالأمازيغية تعني الشاعر المنشد):

مصيبة فلسطين لا عزاء لها إلا بنصر من الله
كيف يواجه ذو الحجارة الأسلحة المتطورة
ألم تروا اليهود قتلوا الرجال وقتلوا النساء
من كان في صدره حرقة فلا شك أنه سيصاب بالاكتئاب

ونجد في مقطع آخر من نفس القصيدة تصويرا بليغا ومؤثرا لجرائم حفدة القردة والخنازير في حق الشعب الفلسطيني:

تابعنا على القنوات كلها المجازر في فلسطين
قتلوا الشيوخ وكم من الصبيان رحلوا إلى القبور
وكم من الثكالى جنّ من شدة البكاء
رب أم مكلومة لم تلق ولو نظرة أخيرة على ابنها

وفي قصيدة أخرى لشاعر آخر، وهو «الشيخ الزهراوي»، جادت قريحته بنقل بارع لمشاهد الرعب والخوف في فلسطين، ممزوجة بحنق بالغ على المسلمين وموقفهم المتفرج:

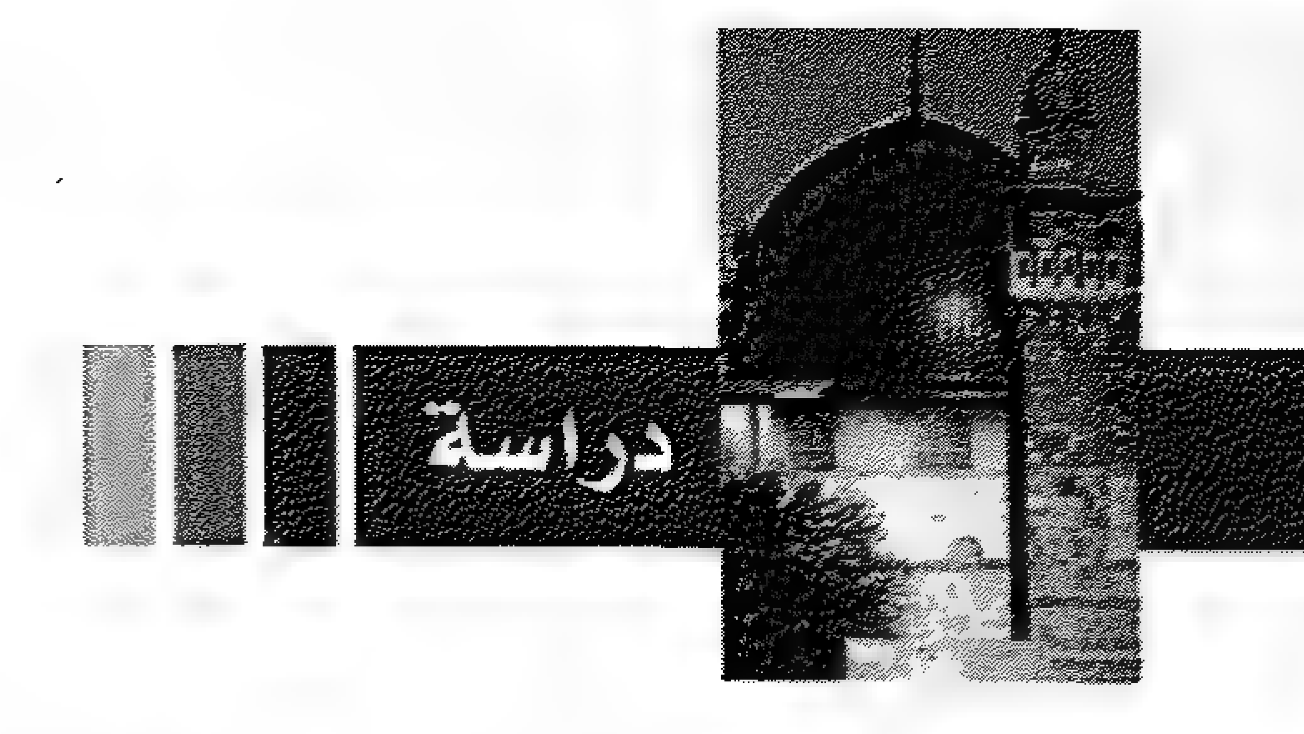
أيها المسلمون أصبحتم أضحوكة اليهود
انظروا إلى غمة ومحنة إخوانكم
غزاهم الأنذال وشردوهم
منهم من آوى إلى الجبال واختبأ في الكهوف
ومنهم من أحرقوا عليه منزله
ومنهم من مات وخلف الأيتام
صيروهم أشلاء ودفنوهم بملابسهم
لم يعد الأطفال يرون آباءهم على قيد الحياة
كم زوجة خطفوها تاركة أبناءها
وزوجها لا يملك إلا النظرات والحسرات
أيها المسلمون أصبحتم أضحوكة اليهود
من لا تهزه الغيرة عندما يقتل إخوانه
فذاك قلبه أصم من الحديد

ولأن المجال لا يتسع، فلن نستطيع استعراض مشاهد وصور أخرى لها دلالات عميقة ومؤثرة، وحسبنا من هذه الأمثلة أن الشاعر الأمازيغي برع في تصوير وحشية الصهاينة، ونقل مأساة إخوانه الفلسطينيين.

قتل محمد جمال الدرة: من أبشع صور الوحشية

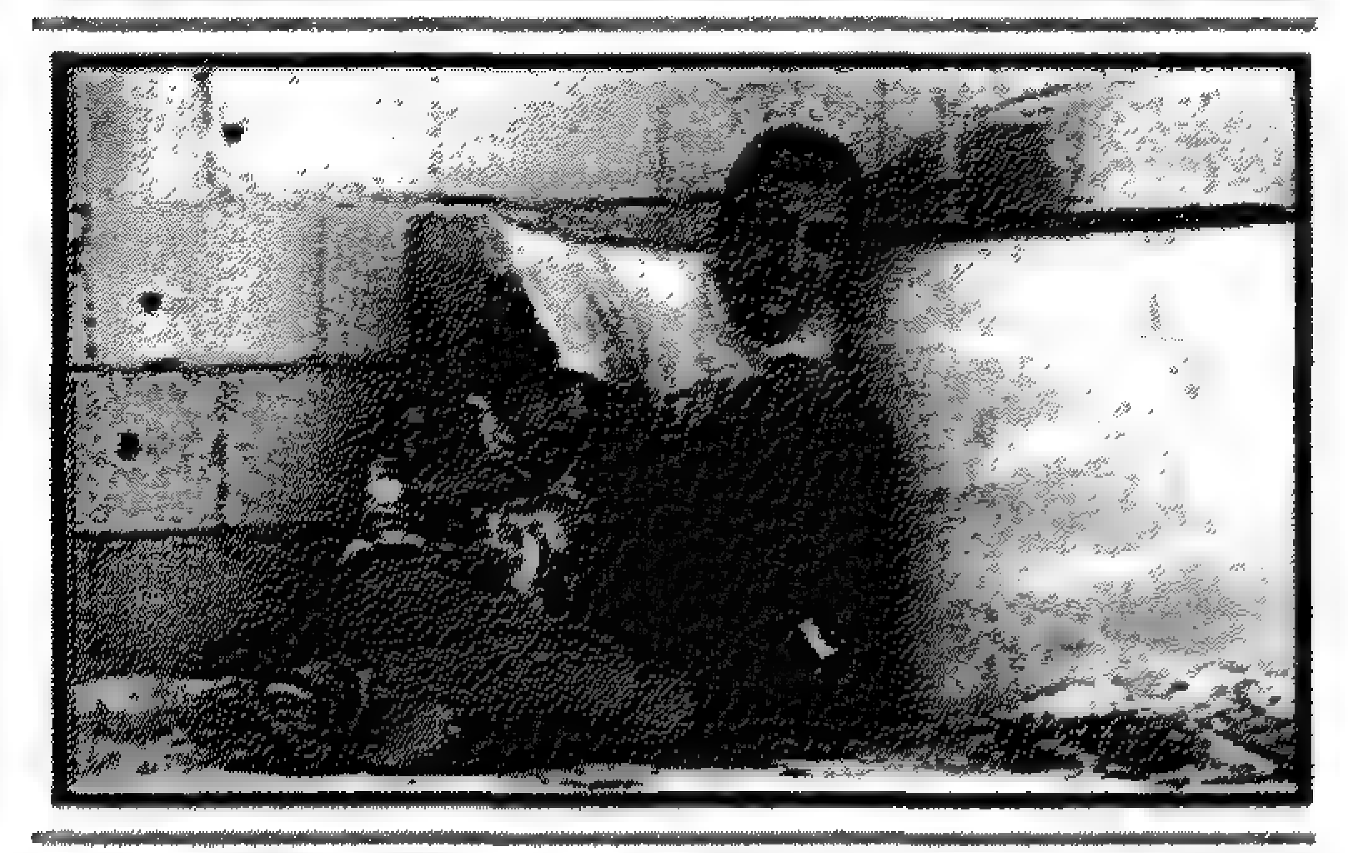
أجمع كل المتتبعين لجرائم الصهاينة في فلسطين أن منظر الطفل الشهيد محمد جمال الدرة وهو يستعطف الجنود الصهاينة الذين اخترقت رصاصاتهم جسده البريء، هو من أبشع ما وصم تاريخ الصهيونية، وكما تناقلت وسائل الإعلام الدولية صور هذه الجريمة، تناقلتها ألسن الشعراء الأمازيغ. ولنتأمل الأبيات التالية «للشيخ البوغلي» ومجموعته، وهي تستعيد شريط الجريمة البشعة:

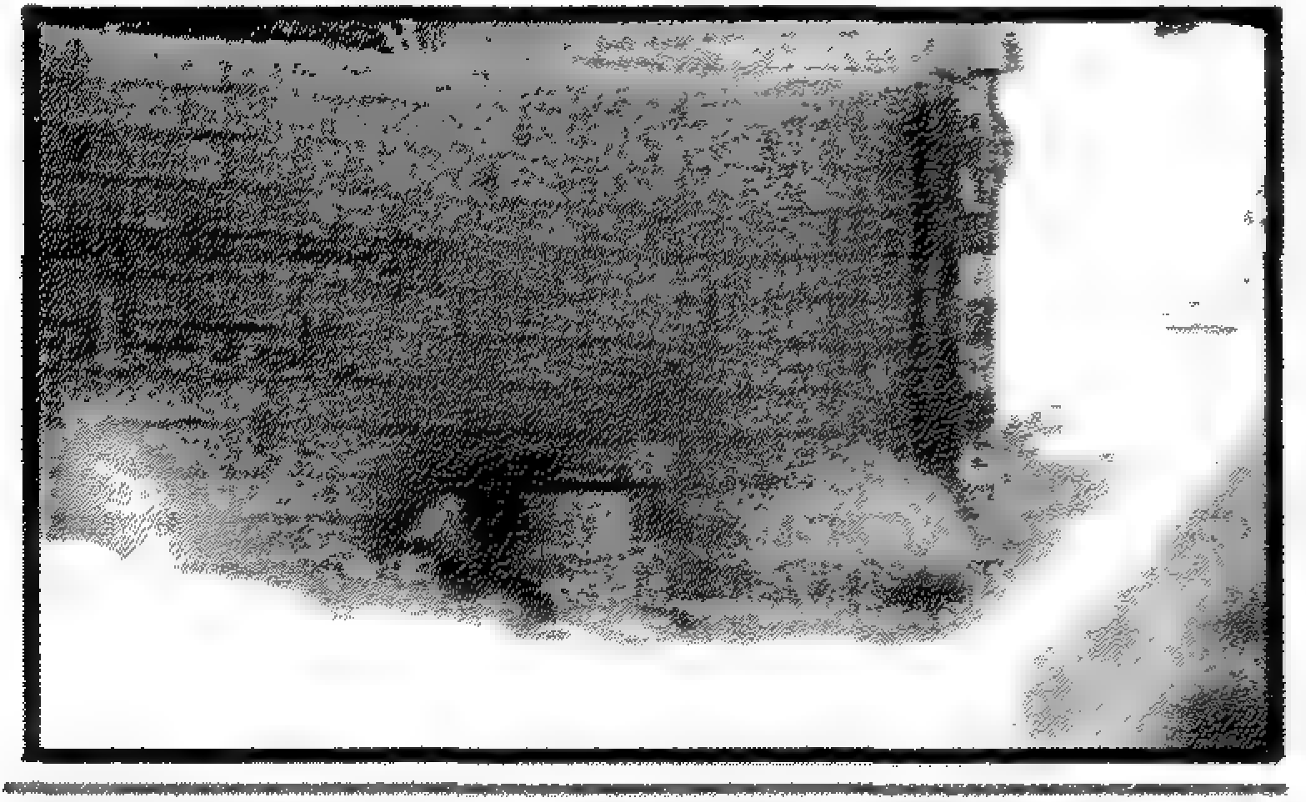
لن أنسى منظر قتل محمد جمال الدرة تلك الليلة
أقسم إن موته أشعل في قلبي نارا لن تخمد أبدا
وحرقة، مصيبته لن ينساها من كان مسلما حقا
لن أنسى منظر قتل محمد جمال الدرة تلك الليلة
هذه الجريمة تُبكي حتى الجبال لتذوب دموعا
لن أنسى منظر قتل محمد جمال الدرة تلك الليلة
كان يسير إلى جنب أبيه ولم يتوقع شيئا
كانا يسيران معا، فإذا بالرصاص ينهمر عليهما
ولما هاجمهما اليهود صار يصرخ ويبكي
لم ينفع المسكينَ احتماؤه بأبيه ونال منه الرصاص













اغتصبوا منه فلذة كبده بلا رحمة ولا شفقة

صبرا أمَّ جمال فقد غادر نحو القبور

ولاحظ - أيها القارئ الكريم - أن تكرار المشهد ووصفه الدقيق ينم عن صدق في التعبير وتأثر حقيقي غير مصطنع ولا مزيف، وإنما هو ترجمة لحزن شديد وتفاعل إلى حد التماهي، تفاعل وتعاطف يصوره مقطع من قصيدة أخرى لنفس المجموعة، بعبارات لا تقل شاعرية وبراعة في التجسيد:

فما بي اليوم إذ أبكي

طفل جاء في الطريق فاعترضوه

كان يمشي مع أبيه جنبا إلى جنب

فصاح أنقذني يا أبي هؤلاء لن يتركوني

واحتمى به لكنهم قتلوه غير مكترثين

هذا الطفل أحرق قلبي

كان مارا في الطريق لا يدري شيئا

عائدا إلى بيته كي يعانق إخوانه

ولم يكن يتوقع أن يعانق القبور

◃◃ أحفاد القردة: من الذلة إلى الاستئساد

بنو إسرائيل قوم خبثاء وجبناء، ملعونون، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله، هكذا وصفهم القرآن، وعلى هذا المنوال سار الشعراء الأمازيغ، فاليهودي في الثقافة الأمازيغية التي تمتح من الإسلام، يتصف بالمكر والخداع والجبن والضعف والذلة والصغار. غير أن يهود عصرنا استأسدوا واستولوا على مقدسات الأمة الإسلامية وقتلوا أبناء المسلمين وسبوا نساءهم واغتصبوا أراضيهم، وها هو الشاعر «الزهراوي» يترجم هذه المعاني في أبيات بديعة حزينة:

أرجوكم لا تسألوا عن حالي فلست على ما يرام

قلبي يكاد ينفجر من الهم والغم

لم يعد يحلو لي أكل ولا لهو ولا ضحك

عندما أشاهد التلفاز أموت من الكمد

أأصبح لليهود شأن وأصبحت لهم طائرات؟

ها هم غزوا أرض العرب واغتصبوها!!!

انظر إلى أولئك الكلاب الأنذال الذين عاشوا على الفتات

انظر إلى أولئك الذين كانوا مجرد إسكافيين

كيف أصبحت لهم دبابات تطلق النيران؟

وفي مقابل هذا «العلو» الصهيوني اليهودي،

يبسط «الشيخ الزهراوي» مذلة العرب والمسلمين وهوانهم وخورهم، ويستغرب كيف انقلبت الآية واختلطت الأوراق وظهرت المفارقة:

سبحان الله كيف انقلبت الموازين؟!!
أصبح الفأر مستأسدا على القط!!
وأصبح النسر يرتعد خوفا من الديك!!
والأسد طرده الحمار من غابته ومملكته!!
من يتأمل هذا الوضع المريب
فلا شك في أنه سينتهي به الأمر إلى الحمق

أما «الشيخ البوغلي» ومجموعته، فقد ارتأى في إحدى قصائده حول نفس الموضوع أن يترك جانبا لغة الإيحاء والتشبيه، ليهاجم العرب والمسلمين، ويغضب من ضعفهم وسكوتهم بأسلوب مباشر وصريح:

أود أن ألوم كل العرب واحدا واحدا
ما هذا السكوت؟ هل قبرتم شجاعتكم وجرأتكم؟
من منكم يغير منكر اليهود يا مسلمين!
ألا أطفئوا هذا اللهيب قبل أن ينتقل إليكم

وفي موضع آخر من نفس القصيدة نجد الشاعر يدعو العرب والمسلمين إلى الوحدة والتكتل من أجل مواجهة العدو:

لو توحدتم أيها العرب لمحونا عنا هذا العار
ولو اتفقتم أيها المسلمون لانتهى أمر الملاعين
لو تعاونتم لكنتم أنتم الأعلون
أما وأنتم تتفرجون فها هم الأعداء يرتعون
وا إسلاماه..!! وا إسلاماه!!

وبقدر ما وعى الشاعر الأمازيغي خطورة الوضع في فلسطين، وبقدر ما وعى وحشية الصهاينة واستئسادهم واستعلاءهم، وبقدر ما وعى خور المسلمين وجبنهم، وعى أيضا أن هذا الجبن والضعف مرده إلى البعد عن دين الإسلام والتفريط في جنب الله، والتفريط أيضا في إرث الأجداد والصحابة وجيل الجهاد. يقول «الشيخ الزهراوي»:

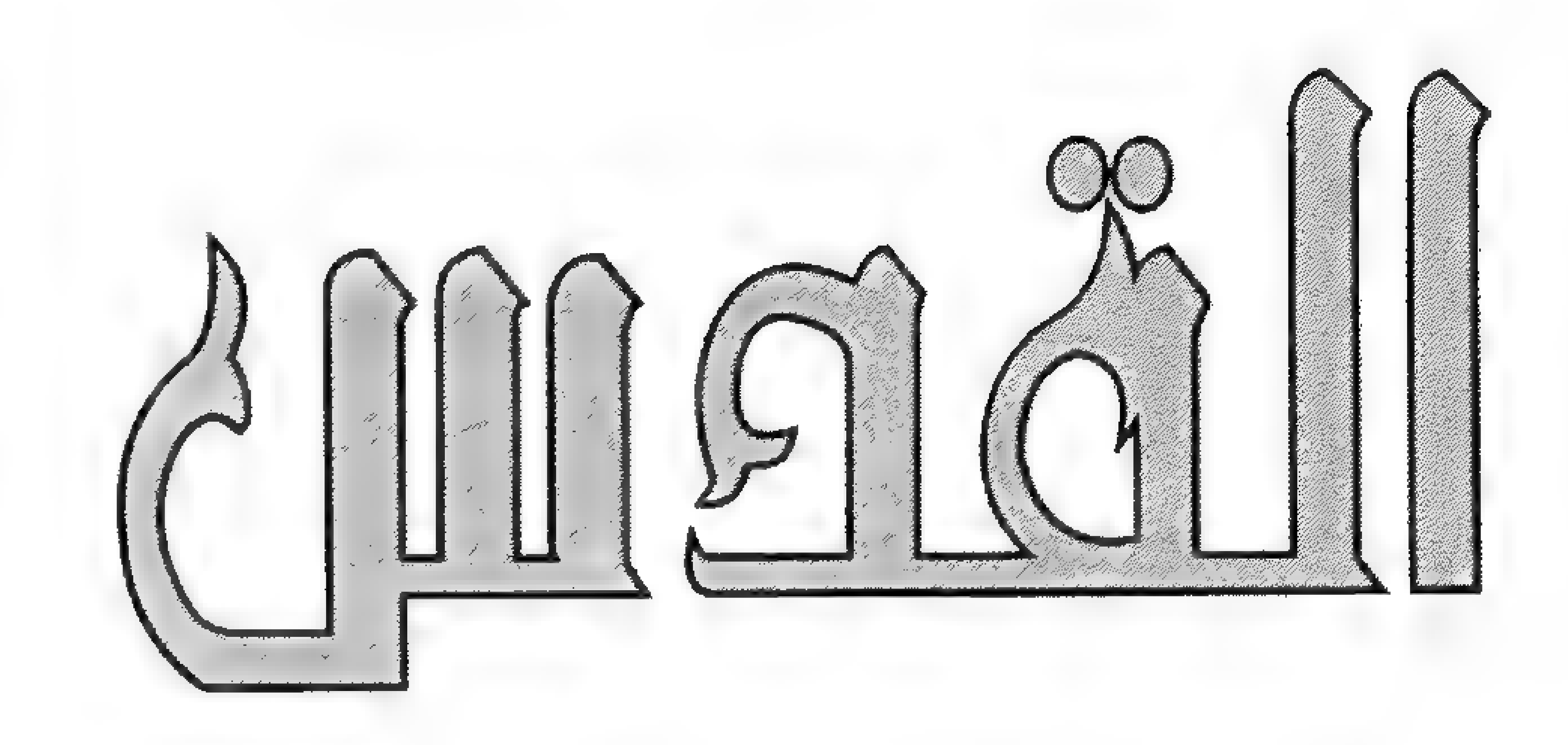
أما وقد ضعف إيمان العرب مثل المريض
أما وقد أُقصي القرآن وأُسقط الدين
حتى أصبح إسلامنا قشورا جوفاء
فاستأسد أيها اليهودي علينا
وانتقم ممن هم بجوارك
ولا تخف، فليس هناك من يستطيع أن يواجهك أو يقاتلك
فقد انقرض رجال الجهاد في هذا الزمان
أما أولئك الذين كانوا يقطعونكم أشلاء فقد واراهم التراب

ونختم للقارئ الكريم هذه الوقفات الشعرية الأمازيغية بنداء يوجهه «الشيخ الزهراوي» على لسان فلسطين إلى كل من له غيرة على الإسلام ومقدسات المسلمين، من أجل مساندة شعب مسلم يشرد ويباد، ومن أجل إنقاذ مقدسات إسلامية تدنس، إن كان في العرب والمسلمين بقية نخوة وعز:

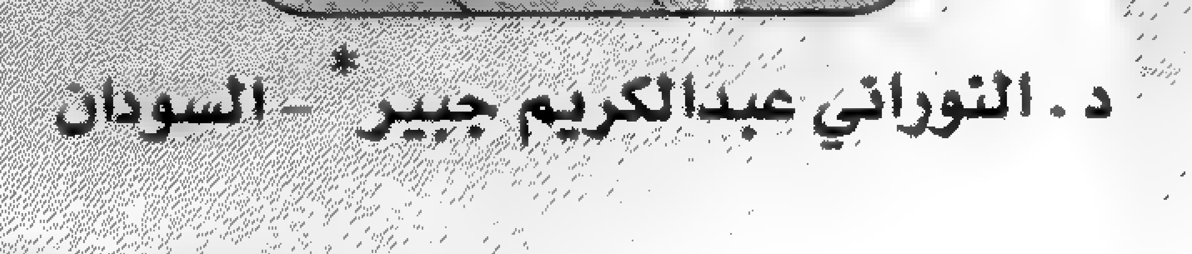
فلسطين تبكي وتناديكم بالدماء
أين أنتم أيها العرب، أم قد غلبتم؟!!
لماذا انفضضتم عني وتركتموني؟
أيروقكم أن يعيث اليهود فسادا على أرضي؟
يضربون بالرصاص وأضرب أنا بالتراب
أنى للحجارة أن تواجه الطائرات
الموتى على أرضي كل يوم
وشغلي الشاغل دفن الموتى وحفر القبور
لا سلاح ولا قوة أجاهد بها العدو
كأني شجرة تين وارفة مثمرة
واليهود يقطفون ثماري بسهولة
إلهي أنت أعلم بحالي!!
أيها المسلمون: إني ألوذ بحماكم!!
أليس نبينا واحدا وأعراقنا واحدة ؟
من لم ينجدني في هذه المصيبة فليس من الإسلام في شيء!■



الشعراء السودانيون شأنهم شأن غيرهم من الشعراء العرب الذين تناولوا قضية فلسطين والقدس في أشعارهم، فهم يواكبون سائر القضايا التي تهم أمتهم العربية والإسلامية، وقد احتلت هذه القضية المكان الأبرز بين القضايا العربية التي حفل بها الشعر السوداني منذ القديم.



القدس



د. النوراني عبدالكريم جبير* - السودان

في ديوان الشاعر الهادي آدم

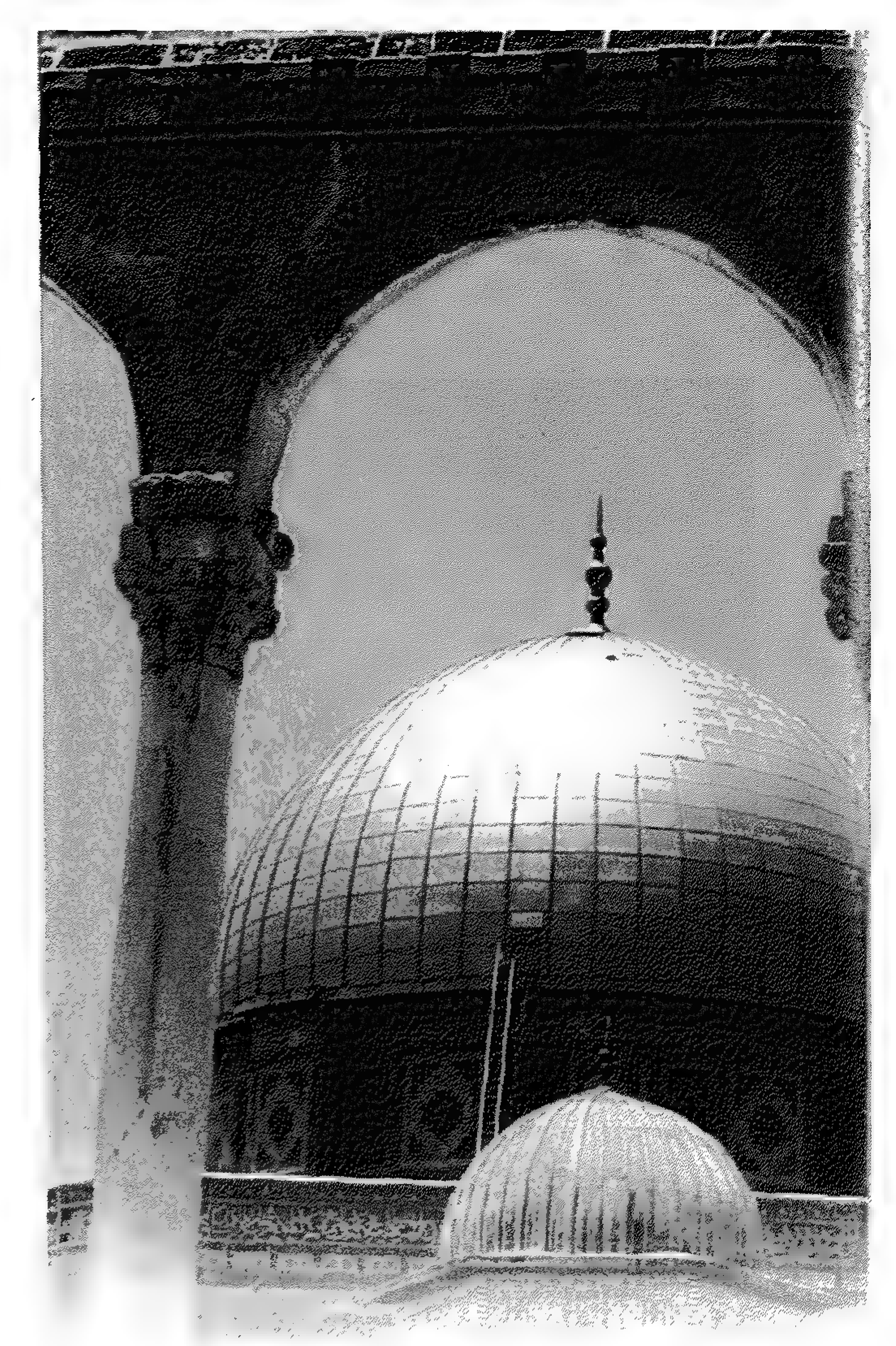
القدس، والمسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة من أقوى عوامل الارتباط بين الشعوب الإسلامية؛ فهي رموز الوحدة والعزة والإرث التاريخي الثمين، والقدس تلك المدينة المتغلغلة في وجدان الشعوب، وهي التي تضع فلسطين في حدقات العيون، وها هو ذا الشاعر الهادي آدم يستغل حادثة إغراق الغواصة الإسرائيلية «إيلات» ليتحدث عن قضية القدس ومأساة فلسطين حيث يقول [1].

إيلات يا كدر القلوب وسحنة الوجه الكئيب
يا كوكب النحس المطل على مشارف تل أبيب [2]
مدي الجراح وبلغي الأمم المحبة للحروب
أن العروبة أجرمت في حق فاتنة لعوب [3]

أما انتزاع القدس من أيدي الهلال أو الصليب
ودم القنيطرة المطل كأنه شفق الغروب [4]
وربوع غزة غارقات في الدخان وفي اللهيب
وقنابل النابالم تحرق قلب مردان وشيب
فالكل حق لليهود وليس بالأمر الغريب

هذه الغواصة اللعينة تمثل قبح وجه إسرائيل الكئيب، وظهورها على المياه العربية المصرية كان نحساً على إسرائيل، و إغراقها في المياه الإقليمية المصرية تعد لطمة هائلة وطعنة نجلاء مؤلمة، يشمل ألمها إلى جانب إسرائيل كل الدول الغاشمة. والأمة العربية قد أغرقت هذه الغواصة التي تعتزون بها وتحرصون عليها، وهو هنا يبرز هذه الغواصة في

* أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الآداب ورئيس قسم اللغة العربية، جامعة الفاشر ـ السودان.



هيئة فتاة جميلة فياضة الأنوثة تلعب بعقول الرجال، ويحرص أهلها على سلامتها وصيانتها، وفي قوله (العروبة أجرمت) إشارة إلى إغراقها، وهو تعبير يخفي خلفه السخرية والتندر.

ثم يلتفت الشاعر إلى أحداث ماثلة، وهموم قائمة بالقلب، وهو القدس الذي لا يزال أسيراً في قبضة اليهود، ويعلن في عزم وإصرار على أن استرداده قد بات قريباً، ثم يشير الشاعر إلى الفظائع التي ارتكبها اليهود وما زالت ترتكبها في حق المدن الفلسطينية، وكيف أن القصف الإسرائيلي الرهيب يتوالى عليها بلا رحمة، ويحصد أرواح الأطفال والنساء والشباب والعجزة.

وذكرى القدس عند شاعرنا كثيراً ما يأتي مرتبطاً بالأحداث العربية، فالقدس حاضر في كل موقف يهز العرب والمسلمين، فهو أمل لا يخبو ناره، وبرق يلمع متوهجاً في كل سحابة حدث تظلل سماء العرب.

وبعد حرب النكسة المشهورة (١٩٦٧م) تداعت صروح الآمال في تحرير القدس من رجس الغزاة المستبدين، والأمل لا يزال قوياً في نفس شاعرنا الذي ما فتئ يقرر حقيقة استرداد القدس، وسائر الأراضي المحتلة، وفي هذا يقول الشاعر [٥].

ظن اليهود وما ظنوا سوى حمق
إن أحرزوا النصر تقليلاً وتمويهاً
بئس انتصاراً لإسرائيل مظهره
في غارة جيش أمريكا يغذيها
و خلفها ذنب الأفعى تعاونها
في كل حرب على الأحرار تذكيها
صبراً فإن لنا غزواً على عجل
يشفي غليل البواكي أو يعزيها
يشنه كل ذي حقد ضغينته
لا شيء غير اقتحام الموت يشفيها

يقول الشاعر: إن اليهود واهمون في غبطتهم بانتصارهم المؤقت في حرب النكسة، وهو انتصار قبيح تسنده أمريكا، ويقف خلفه كل القوى الغاشمة، ولكنه يتوعد العدو بمعركة أخرى فاصلة، تكون الدائرة فيها على إسرائيل، يثأر العرب فيها، يدفعهم في ذلك ضغينة الغضب والرغبة في استرداد الحقوق المستلبة.

والشاعر الهادي آدم عندما يندب فجيعة القدس إنما ينعى على الأمة العربية والإسلامية خنوعها، وجبنها عن تحرير هذه الأرض المقدسة التي خاض فيها أسلافنا حروباً مريرة للدفاع عنها، وتطهيرها من الغزاة المغيرين، فكيف تنام الأمة والقدس والأقصى ما زالتا خارج البيت العربي الإسلامي، يقول شاعرنا[٦]:

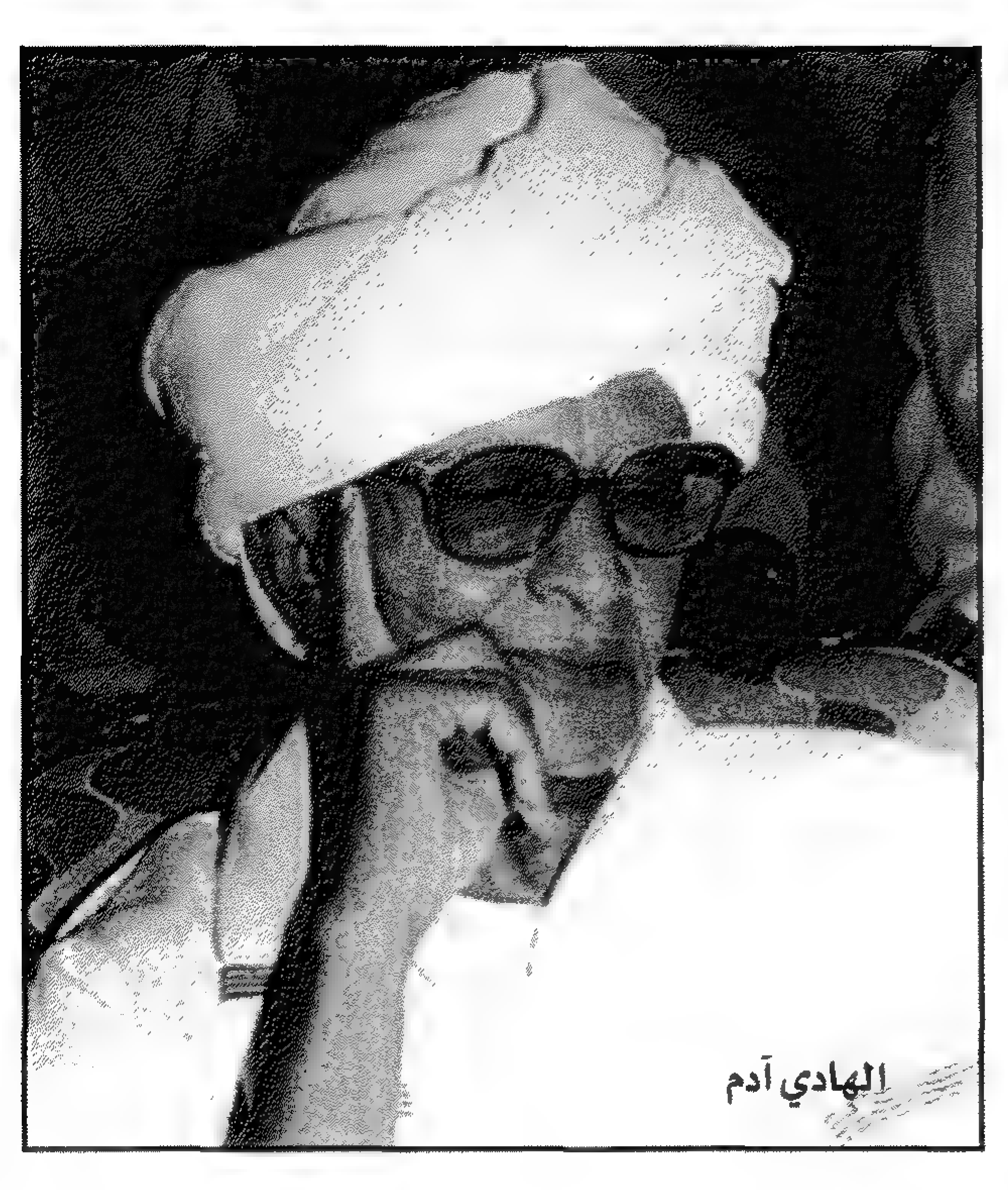
إيه يا قدس والحوادث تترى
وشهود الوغى شخوص أمامي
عصفت بالخيال ذكرى صلاح
الدين يرمي العدا بجيش لهام
يصنع المجد من نفوس ترى في
الموت دون الحمى حياة الكرام
لم يساوم ولم يهادن عدواً
بل مضى عزمه مضاء الحسام
عاد بالغار ظافراً يوم عادوا
بأنوف موصولة بالرغام

ثم يوجه الشاعر نصحاً مبصراً إلى أهل القدس فيقول (٧):

يا فتى القدس لا تصخ لدعي
يسكب السم في كؤوس السلام
أو لداع إلى السلامة معني
ببذل الوعود والأحلام
قل لهم إنني سئمت حياة
لم تكن للقتال أو لصدام
إن خيراً من مهجة تشتريها
من يد الغاصبين كأس الحمام

يحرض الشاعر أبناء القدس المجاهدين بألا يستجيبوا لدعاة السلام، فهم يضعون الموت في شكل الدعوات، بمعنى أن هذا السلام المزعوم وهم وخديعة، بل هي مجرد مسكنات وأحلام أبعد من الثريا، ويدعوهم إلى التمسك بحياة القتال والصدام والنضال، وألا يرضوا في سبيل القدس إلا بالنصر أو شرب كأس المنية، فلا طريق إلى تحرير القدس إلا الجهاد، وبذل الدماء مثلما فعل السلف الصالح مثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، والقائد صلاح الدين الأيوبي.

ثم يتجه الشاعر ليسرد بعض الأمور المتعلقة بعظمة القدس ومكانتها في نفوس المسلمين، وهو يرمي من ذلك


الهادي آدم

إلى إذكاء نار النخوة بين جوانح العرب حين يستعرض أمامهم جانباً من تاريخ القدس وعظيم مكانته، وطهره فيقول (٨):

رب إن الحمى حماك وقد أمسى
مباحاً وليس إلاك حام
كاد صرح البراق يهتز ما بين
مصلى رسول الله والمقام
فكأن البراق لم يسلم الصرح
عناناً ولا ثنى من لجام
وكأن العذراء ما أنجبت فيه
غلاماً أكرم به من غلام
ونبياً يكلم الناس في المهد
ويهدي إلى سبيل السلام
جئت بغداد والقريض هدير
يطرد النوم عن عيون النيام
جئت للمريد الجريح وفي
القدس همومي مقيمة واهتمامي (٩)

ثم يدعو الشاعر الشعراء العرب إلى الاهتمام بقضية القدس، فالشعر العربي كان في الماضي يعبر عن هموم الأمة، وكان يذكي في النفوس نيران الثورة والجهاد، وهو هنا يلوم الشعراء العرب على عدم خوضهم في موضوع احتلال القدس، ويضرب لهم مثلاً بأبي الطيب المتنبي؛ شاعر العراق المشهور الذي اهتم في شعره بنضال سيف الدولة ضد الروم(١٠) يقول الهادي آدم مخاطباً بغداد (١١):

إيه يا بغداد يا حفيظة عهد الشعر إذ ضيعوه بين الأنام
قد قصدناك حين قلدك الشعر وساماً أعظم به من وسام
إنما تخلد الشعوب بمجد الشعر لا السفسطات والأوهام
قد سبقت الورى إلى دولة الشعر ومجد من العروبة سام
يوم أنجبت للحياة أبا الطيب فرداً في صلحه والخصام
كان صناجة المحافل إن هب دعي يلوك هذر الكلام
فهبي القدس منك كل جليل من نبيل المداد والأقلام

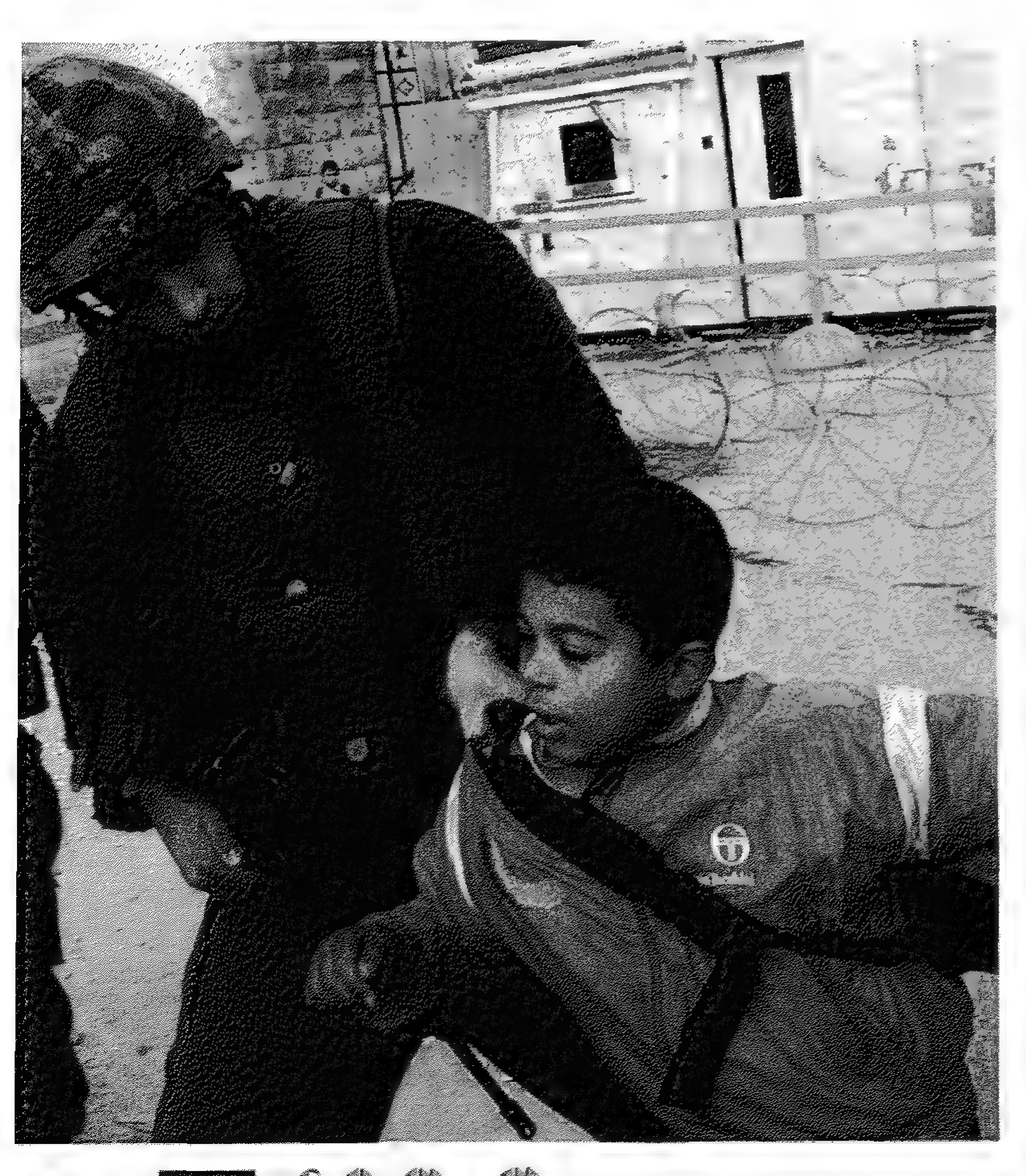
يخاطب الشاعر بغداد، فهي التي كانت عش الشعراء، وموئل العربية وحاضرة الخلافة العباسية التي ازدهر الشعر فيها ازدهاراً بعيد المدى، وقد أدت دورها العظيم في اهتمام شعرائها بالقضايا العربية والإسلامية حتى نالت وسام الشرف عبر التاريخ لا مجال فيها للسفسطة والأوهام عند الجد، وقد أنجبت العراق أعظم شعراء العربية، وهو المتنبي الذي لم يدع مصالا لصائل في مواكبة قضايا الأمة والدفع عنها، وكان لا يتوانى متى دعا داعي الجهاد.

ثم يطلب الشاعر من بغداد - في رجاء المستغيث - أن تهب القدس شعراء فحولا، يسكبون المداد النبيل في السيرُ قُدُما بقضية القدس نحو التحرير.

والشاعر عندما يقول هذه الكلمات كأنه يسكب عبرة حرى على أرض القدس، وكأنه يقبض بتراب القدس ملء كفيه وهو جاث على ركبتيه في حنين وألم مثلما يفعل الأبطال الشجعان حين تهزمهم الأقدار، وتضعهم في موضع الضعف والخذلان.

وفي موضع آخر من النص السابق يعلن الشاعر رفضه للأساليب التي ينتهجها العرب في حل قضية القدس، ويرى أنهم لم يسلكوا السبيل الصحيح، والسفينة لاتجري على اليبس، ويقول (١٢):

ومللنا بلاغة الخطباء الهوج إذ ينعقون بين الأنام
وكرهنا انعقاد مؤتمرات لا ترى في الكفاح غير الكلام
خير ما تستطيع أن توسع الأعداء سيلا من نقدها والملام
ولكم رحب العدو فحياها مشيدا بحكمة الحكام



إن دفن الرؤوس في الرمل عار
أقلعت عنه مجفلات النعام
والذي يقبل الإهانة يوماً
عاش خلف الهوان مر الدوام

ويجعل الشاعر من نفسه فلسطينيا مشردا، عاقداً العزم على العودة إلى دياره المقدسة، متحديا كل المصاعب والعراقيل، نابذا بأس المستعمر الدخيل، وهو لن يعود وحده، بل معه جميع اللاجئين والمشردين الفلسطينيين وهي عودة حميدة تحكي الانتصار، والأخوة، والشوق والحرية، وهو يختم كل مقطع بعبارة (غدا سأعود منتصرا.. أعود إليك يا حبي)، وهذا يجدد الأمل في النفوس، ويبعث النخوة في قلب كل عربي مسلم ليحذو حذوه ويسير في ركابه ويقول (١٣).

إذا ما حال ليل الغدر دونك يا منى قلبي
وجاشت حولي الظلماء من درب إلى درب
فإن الفجر قد غنّى نشيد غرامك العذب
غداً سأعود منتصرا.. أعود إليك يا حبي

❖ ❖ ❖

أعود وفي يميني إخوتي من مصر والشام
من السودان من أرض الفرات الثائر الدامي
ومن إفريقيا الخضراء حولي كل مقدام
غدا سأعود منتصرا.. أعود إليك يا حبي

وهكذا أبرز شعر الهادي آدم أهمية القدس، وعظمتها في الإسلام، فهي مسرى رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم، وفيها ولد سيدنا عيسى المسيح عليه السلام، وفيها بعض المقدسات الإسلامية كالمسجد الأقصى، وحائط البراق، ومسجد القبة.

وهكذا كل الشعراء السودانيين أولوا قضية القدس اهتماما كبيرا في أشعارهم، ولو حاولنا استقصاء ذلك لطال بنا المقام، ولذا رأينا أن نكتفي بواحد منهم خوف الإطالة ◘

الهوامش

* الهادي آدم، شاعر سوداني معاصر، ولد في مدينة الهلالية المطلة على النيل الأزرق، جنوبي الخرطوم، عام ١٩٢٧م، وتخرج في كلية دار العلوم بالجامعة المصرية في القاهرة، وقد حصل على درجة الليسانس في اللغة العربية و آدابها.

أصدر عددا من الدواوين الشعرية، هي: (كوخ الأشواق) عام ١٩٦٤م. و (نوافذ العدم) عام ١٩٩٧م، و(عفوا أيها المستحيل) عام ١٩٩٩م، و(سعاد) و هي مسرحية، وقد طبعت مؤسسة أروقة هذه الإصدارات الشعرية في الأعمال الكاملة. ويمتاز شعره بالسهولة، وعذوبة الألفاظ، والبعد عن التعقيد، ومعظم شعره قصائد مكتملة، يتجاوز بعضها الخمسين بيتا. توفي الشاعر عام ٢٠٠٦م.

(١) ديوان الهادي آدم (المجموعة الكاملة)، ص: ٢١٧، إصدار مؤسسة أروقة للعلوم والثقافة، طبعة مؤسسة الصالحاني، سوريا - دمشق، (ط ١)، سنة ٢٠٠م.

(٢) المراد بكوكب النحس:الغواصة الغريقة (إيلات). تل أبيب:العاصمة الإسرائيلية.

(٣) العروبة:المراد بها مصر :إذ إنها في إغراقها لهذه الغواصة تمثل العرب، وتحقق الأماني العربية. أجرمت: ارتكبت جرما. فاتنة لعوب:هي الغواصة إيلات تشبيها لها بغادة جميلة مغرورة.

(٤) القنيطرة: بلدة سورية في الجولان المحتلة.

(٥) ديوان الهادي آدم (المجموعة الكاملة)، ص:٣٦١.

(٦) المصدر نفسه، ص:٤٢٩.

(٧) المصدر نفسه، ص: ٤٢٩.

(٨) المصدر نفسه، ص: ٤٣٠.

(٩) المربد: سوق قديم في البصرة ازدهر فيه فن الشعر.

(١٠) راجع سيرة المتنبي في مقدمة ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي ١٣/١ومابعدها، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (ط١)سنة ٢٠٠١م.

(١١)ديوان الهادي آدم (المجموعة الكاملة)ص: ٤٣١.

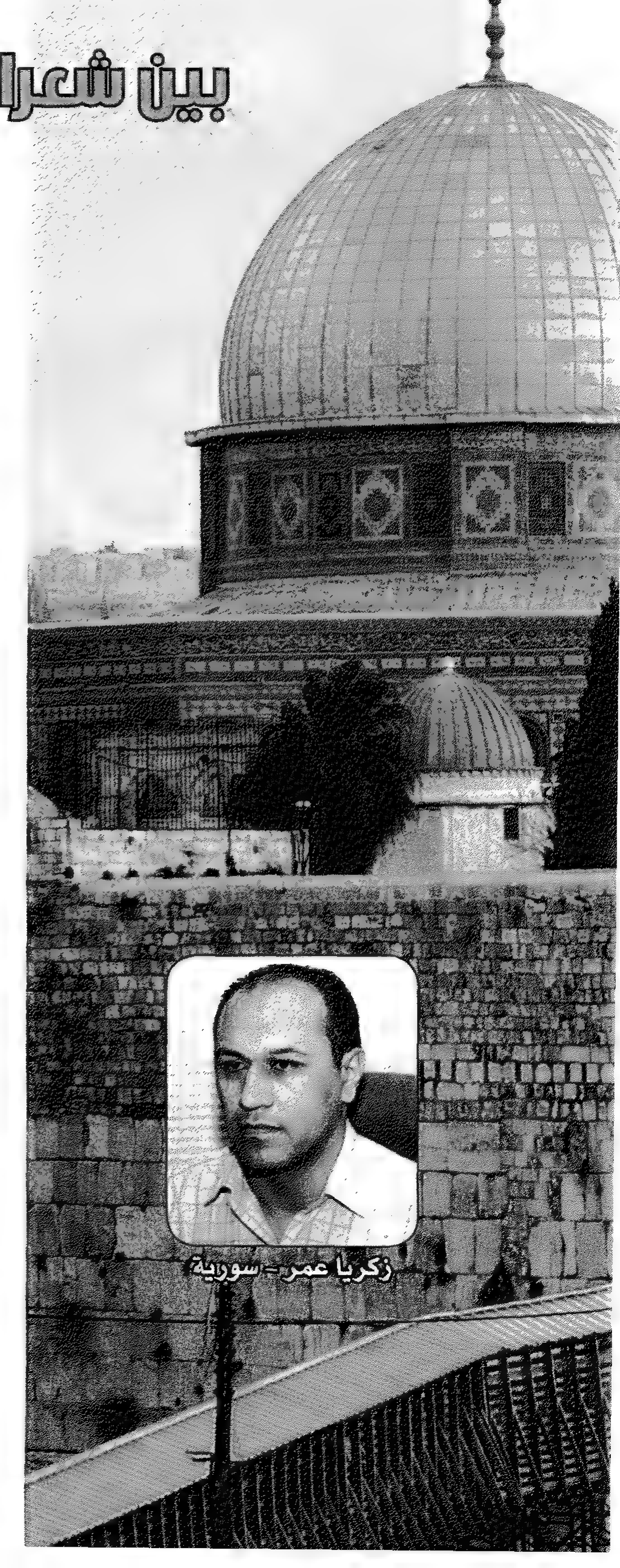
(١٢)المصدر نفسه، ص: ٤٢٨.

(١٣) المصدر نفسه، ص: ٣٧٣.

القدس الشريف
بين شعراء الشعوب الإسلامية

لما باتت القدس من أكثر أحداث الدنيا مأساة، كان لابد أن تفيض قرائح المفكرين والأدباء والشعراء بإبراز مكانة القدس وأهميتها منذ مرور الفترات التاريخية، ليس عند العرب فحسب، بل عند الشعوب الإسلامية الأخرى وعند العرب قبل الإسلام.

إن كتاب (القدس الشريف بين شعراء الشعوب الإسلامية) لمؤلفه د. حسين مجيب المصري، الذي استحق لقب عميد الأدب الإسلامي المقارن - يعد توثيقًا تاريخيًا لمدينة القدس على أوسع نطاق، إذ تتبع فيه مؤلفه كل ما استطاع إليه سبيلاً من شعر عربي وفارسي وتركي وأردي قاله شعراء الشعوب الإسلامية في مدينة القدس بخاصة وفلسطين بعامة.



زكريا عمر - سورية

هَدَف المؤلف من كتابه إلى تعريف القارئ بتراثه الإسلامي بما تضمنه من معارف ومعلومات ليس من مصادر عربية فقط، بل من لغات الشعوب الإسلامية وآدابهم وأشعارهم التي تبرز في مجملها وحدة الأمة ووقوفها صفًا واحدًا في مواجهة الأحداث والدفاع عن مقدساتهم، وأن ما جرى ويجري في القدس هو همّ مشترك لدى المسلمين كافة، يجمعهم دين واحد رغم تباينهم في اللسان، وعلى ذلك كانت القدس أكبر همهم، ومهوى أفئدتهم.

اشتمل الكتاب على مدخل وأربعة فصول على النحو الآتي:



- المدخل: القدس في تاريخها.
- الفصل الأول: القدس في الشعر العربي.
- الفصل الثاني: القدس في الشعر الفارسي.
- الفصل الثالث: القدس في الشعر التركي.
- الفصل الرابع: القدس في الشعر الأردي.

بعد السرد التاريخي المفصل لمدينة القدس ووصف مكانتها ومنزلتها عند المسلمين وماتوالت عليها من أحداث ينتقل المؤلف إلى فصول الكتاب الأدبية، ونعرض لذلك بشيء من الإيجاز.

القدس في الشعر العربي

ويستغرق هذا الفصل نحو ١٢٠ صفحة، ويعرض فيه المؤلف أشعارًا لنحو ستين شاعرًا بدءًا من شعراء الجاهلية وانتهاء بشعراء العصر الحاضر، فعند الحديث عن الشعر الجاهلي يورد المؤلف أبياتًا تشتمل على تسميات عديدة للقدس عرفت بها مثل أورشليم، وإيلياء، وبيت المقدس، فقد وردت التسمية «أورشليم» في قول الأعشى: (ص٥٣).

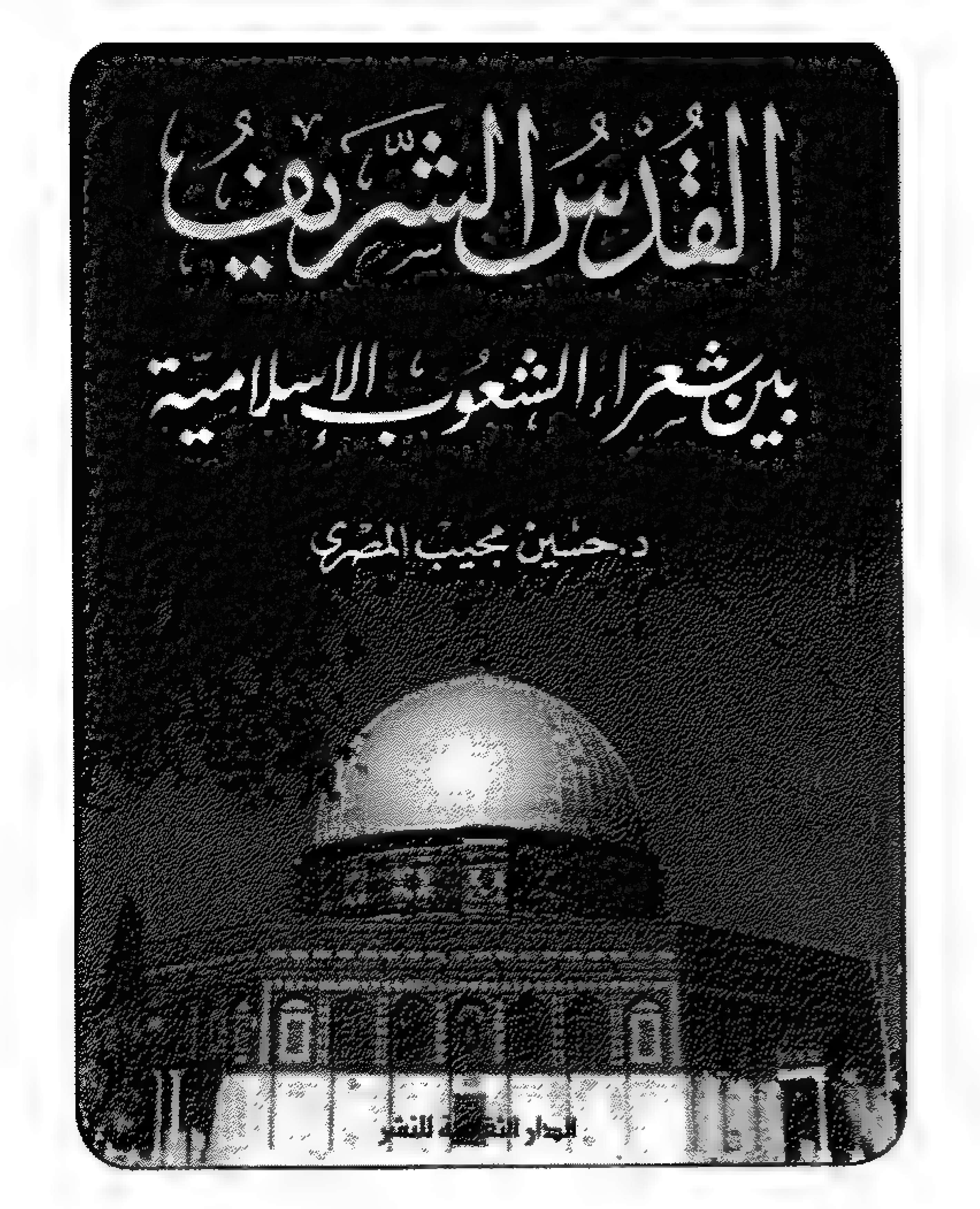
وقد طفت للمال آفاقه
عمان، فحمص فأورى شلم

وكذلك التسمية «بيت المقدس» في قول امرئ القيس: (ص٥٣).

فأدركته يأخذن بالساق والنسا
كما شبرق الولدان ثوب المقدس

وبعد ذلك ينتقل المؤلف إلى الشعر الإسلامي فيسرد أبياتًا تصف منزلة القدس وقدسيتها عند الشعراء المسلمين، كما في قول الفرزدق: (ص٥٣)

ومنا الذي لاينطق الناس عنده
ولكن هو المستأذن المتنصف
تراهم قعودًا حوله وعيونهم
مكسرة أبصارها ما تصرف
وبيتان: بيت الله نحن ولاته
وبيت بأعلى إيلياء مشرف



ومن ذلك أيضًا أبيات لأبي العلاء المعري يقول فيها: (ص٥٤).

يا شاكي النوب انهض طالبًا حلبا
نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس
واخلع حذاك إذا حاذيتها ورعا
كفعل موسى كليم الله في القدس

ثم يخص المؤلف أسرة صلاح الدين الأيوبي بحديث مطول عن فضلهم وفتحهم القدس، فيورد بشأنها شواهد شعرية لأكثر من شاعر يزفون التهنئة لصلاح الدين حين حرر القدس، فمن ذلك أبيات للشاعر العماد الكاتب يقول فيها: (ص٥٨)

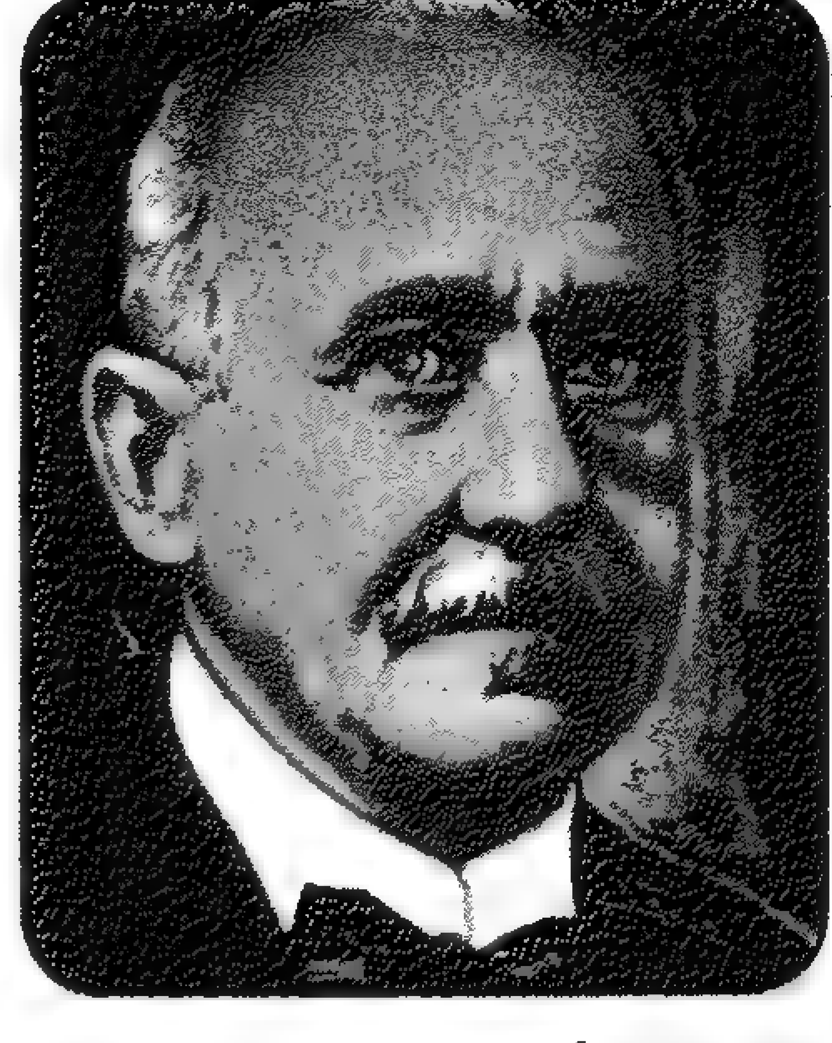
وكم لبني صلاح الدين فينا
على الإسلام من حق تأكد
وأن لهم على الأملاك طرًا
بفتح القدس فضلا ليس يجحد

ويعرض للشاعر رشيد بن بدر النابلسي قصيدة يبين فيها كيف أن فتح القدس كان نصرًا للمسلمين جميعًا على الصليبيين و العالم الأوروبي كاملا، يقول: (ص٦٠).

هذا الذي كانت الآمال تنتظر
فليوف لله أقوام بما نذروا
بمثل ذا الفتح لا والله ما حكيت
في سالف الدهر أخبار ولا سير
الآن قرت جنوب في مضاجعها
ونام من لم يزل حلفا له السهر

هذا الذي سلب الإفرنج دولتهم
وملكهم، ياملوك الأرض فاعتبروا

ثم ينتقل المؤلف للحديث عن القدس في العصر الحاضر فيستعرض كثيرًا من نماذج الشعر لشعراء من فلسطين ومصر وسوريا والأردن والعراق وتونس وليبيا، ثم يفصل الحديث عن تلك النماذج بالشرح والوصف فيظهر في بعضها اهتمام الشعراء بالقدس الشريف وذكرهم لها بكل جميل، وأن حبها لامس شغاف قلوبهم، وخير ما يمثل ذلك أبيات لأحمد شوقي يتجلى فيها قدسية القدس وعظمتها، إذ يقول: (ص٦٢)


أحمد شوقي

بيت على أرض الهدى وسمائه
الحق حائطه وأس بنائه
الفتح من أعلامه والطهر من
أوصافه والقدس من أسمائه
تحنو مناكبه على شعب الهدى
وتطل سدته على سينائه

ومن الشعراء من جعل القدس في منزلتها أختًا لمكة المكرمة عند المسلمين، كما في أبيات الشاعر السعودي حسين عرب وزير الحج والأوقاف الأسبق، يقول فيها: (ص٦٤).

القدس يامسرى النبي
ومنارة الحق الأبي
يا أخت مكة والمدي
نة في التراث الطيب
هتف الجهاد بنا إليـ
ـك فجاهدي وترقبي
اليوم يوم الثأر من
أعدائنا فتأهبي
المسلمون توافدوا
من مشرق أو مغرب
المسجد الأقصى ينا
ديهم لعز المطلب
رايات أحمد أقبلت
تحمي حماك فرحبي

ثم يسرد المؤلف أبياتًا تعبر عن لهفة الشعراء وشوقهم إلى مدينة القدس وأيامهم الغر فيها، وكيف أنهم يحنون إلى روابيها، ويرغبون أن يفدوها بدمائهم المباحة، ولا سيما الشعراء الفلسطينيون، من ذلك قول الشاعر الفلسطيني محمود مفلح: (ص٩٢)

أحن إلى روابيك الفساح
وألثم فيك شقشقة الصباح
ويهتز الفؤاد على قواف
لها من فيك رائحة الأقاحي
ولم أحنث بعهدك طول عمري
ولم أحرص على دمي المباح

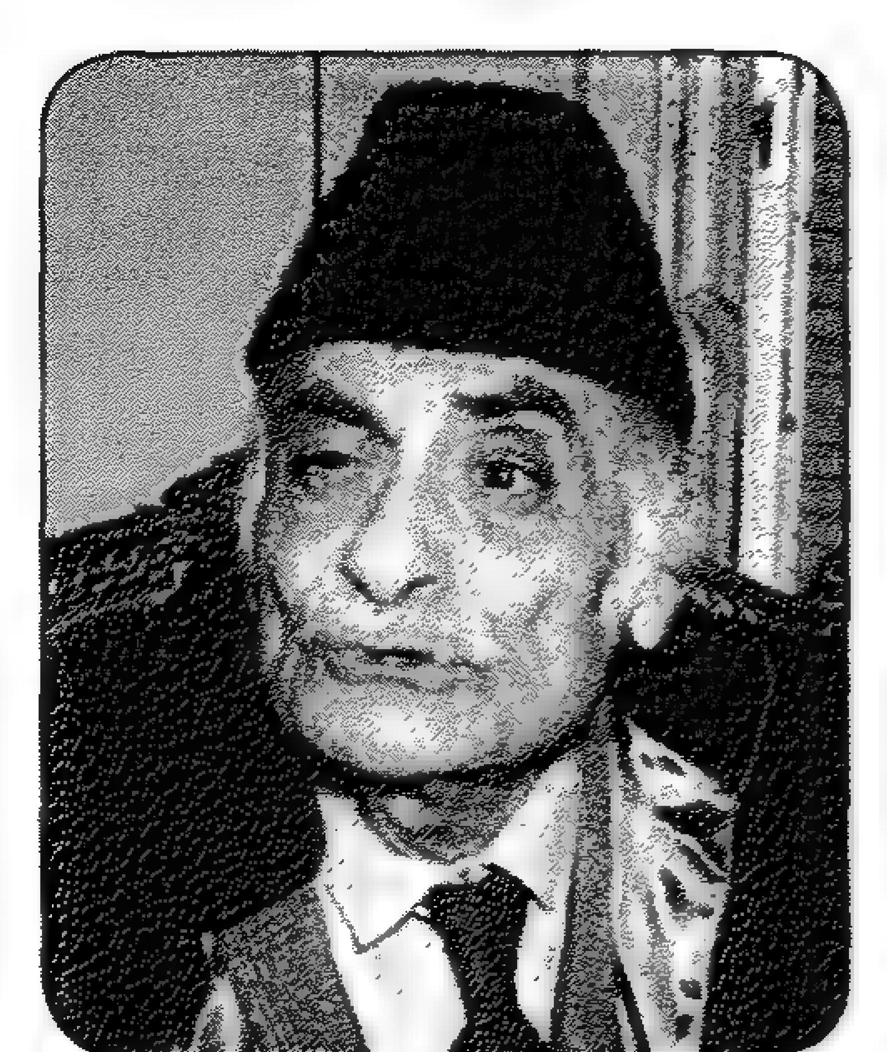
ونقرأ نموذجًا آخر يورده المؤلف عن انتفاضة أبناء القدس وبناتها الصغار وليس في يدهم سلاح إلا الحجارة يرمون بها الأعداء طالبين الشهادة التي تفضي بهم إلى جنات النعيم، وخير ما يصف ذلك قصيدة بعنوان « الله أكبر» للشاعر كمال رشيد، قال فيها: (ص٩٥)

ماذا أقول لكم!.. في القدس أخبار
كأنها في عيون القوم أقدار
في القدس نار على الأعداء نازلة
وفي أيادي بنات الرام أحجار
حشو البنادق لم يرهب بني وطني
شماء قعساء فيها النور والنار
شبوا على الطوق ردوا الظلم وانتفضوا
فهم على الظلم والعدوان ثوار

وفي تضاعيف هذا الفصل يجد القارئ قصيدة عصماء لفاروق جويدة بعنوان « رسالة إلى شارون» يقول عنها المؤلف إنها فريدة من نوعها في الهجاء السياسي، فقد شاء أن يعرض على الأشهاد ما قدمت يدا شارون المجرم، يقول: (ص١٣٤)

ارحل عن القدس واترك ساحة الحرم
هل يلتقي الطهر يا خنزير بالرمم
كيف اجترأت على أرض مطهرة
أسرى بها خير خلق الله والأمم
هذا التراب الذي لوثت جبهته
مازال يصرخ بين الناس في ألم
لوثت بالعار أعتابًا مباركة
وجئت كالكلب في حشد من الغنم
تاريخك الآن بالأوحال نكتبه
لكل أطفالنا.. في القبر والرحم
يا أقذر الناس تلهو في مساجدنا
وتقذف القدس بالنيران والحمم
كيف اجترأت على أقداسنا سفهًا
وجئت كالموت.. بالحراس والخدم

فاروق جويدة



د . حسين مجيب المصري

القدس في الشعر الفارسي

يتحدث المؤلف في مقدمة هذا الفصل عن مساعيه وجهوده التي بذلها للحصول على كتب أو صحف تضمنت شعرًا فارسيًا حديثًا لشعراء من إيران، إلا أن مساعيه باءت بالفشل، فعقد العزم هو نفسه على نظم شعر بالفارسية في القدس، وله ديوان نشر في مدينة لاهور بباكستان ضمنه قدرًا كبيرًا من الأشعار نظمها بالفارسية، ثم ترجمها شعرًا إلى اللغة العربية. (ص١٧٣)

ومما أورده في هذا الفصل قصيدتين نظمهما بالفارسية ثم ترجمهما إلى العربية شعرًا، الأولى بعنوان: «ملحمة القدس» والأخرى بعنوان « عودة القدس».

وهذه بعض الأبيات من القصيدة الأولى يقول فيها: (ص١٧٤)

صُل وجُل بالسيف يا هذا الأسد
إن ذئب السوء طاف بالعرين
امح عنك الخزي أو عار الأبد
واستعن بالله فالله المعين
كم رووا للذئب وصفا في المثل
واشتكى الراعي على مر السنين
طبعهم هذا وهذا شأنهم
وهو مشهور لدينا أجمعين

ويقول في « عودة القدس»: (ص١٧٨)

نبيون يا قدس تحت الثرى
وتلك الحقيقة كل درى
بأرضك ها إنهم قد مشوا
فأرضك مسكا بدا أذفرا
وما كنت أرضًا ولكن سما
وها قد رفعت لأعلى الذرا

ثم يعرض المؤلف قصيدة أخرى من نظمه بعنوان «ابن صهيون»، يقول فيها: (ص١٨١).

يا ابن صهيون تيقظ

يا ابن صهيون تبصر

أنت في الأوهام تغفو

قم فإن الفجر أسفر

أنت يا من أنت فأر

ما زئير للغضنفر

أنت فأر ليس إلا

فلماذا تتنمر؟!

القدس في الشعر التركي

يبدأ المؤلف هذا الفصل بالحديث عن الحضارة التركية، ويذكر تأثر الأدب التركي بالأدب الفارسي.

ثم يفصل الحديث عن الشعراء الأتراك وتدينهم، ومنزلة القدس في شعرهم الذي قام المؤلف - كما في الشعر الفارسي- بترجمته إلى العربية شعرًا، ومن هؤلاء الشاعر «محمد عاكف» المعروف بشاعر الإسلام، والشاعر «يونس أَمْرَه» الذي عاش في القرن الثالث عشر للميلاد، ثم يذكر الشاعر «يحيى بك» الذي عاش في القرن السادس عشر للميلاد، ومن شعره في القدس: (ص١٨٦)

محمد عاكف

إن بيت الله والأقصى حمانا

موئل الجيش وظل الله كان

ومن شعراء القرن السادس عشر أيضًا شاعر يسمى «نفعي» وكان صاحب قدرة إبداعية،

والشاعر « غاني زاده نديري، وله قصيدة في معراج الرسول صلى الله عليه وسلم، والشاعر أسرار دادا الذي يعد من شعراء المديح النبوي في القرن الثامن عشر يقول من قصيدة له: (ص١٨٩)

أنت كحل لعيون أبصرت

وظلال القدس ها قد أشرقت

من رياض القدس قد هب النسيم

منك يحيي ذلك العظم الرميم

وطيور القدس قد سخرتها

هذه الأفلاك قد ناجيتها

فهو يشير في هذه الأبيات إلى الإسراء والمعراج، وإلى إحياء عيسى عليه السلام للموتى، جانحا إلى التمثيل والتخييل، والرمز.

ثم ينتقل المؤلف للحديث عن شعراء الأتراك في العصر الحديث، فيذكر الشاعر «سيزائي قراقوج»، ومن شعره: (ص١٩٣)

إنها القدس وأرض الأنبياء

وإليها كم نبيٍ كان جاء

جاء عيسى وهو يمشي في ضياء

جاء موسى في سمو وسناء

ولإبراهيم من نار وقاء

وسليمان عظيم الكبرياء

فهو يربط بين القدس والأنبياء للدلالة على أنها مدينة أنبياء الله سبحانه وليس لليهود خاصة كما يزعمون. ويشير إلى انتفاضة الحجارة ضد اليهود المحتلين وأن القدس منطلقها فيقول: (ص١٩٣)

ومن صخرة القدس قام البطل

على ساحة الحرب ها قد أطل

وكان السلاح سلاح الحجر

لهذا الشهيد وها فانتصر

ومن الشعراء المحدثين أيضًا « رمضان ألتين طاسي» الذي يقول في القدس: (ص١٩٤).

هي القدس بقلبي في السويداء

دماء إنها تجري لإحيائي



وثمة الشاعر التركي « عمر لطفي» الذي يضفي على القدس الحزن والعشق قائلا: (ص١٩٤)

جوانح أحرقت عشقا
دموعًا أرسلت دفقا
رياح إنها سكنت
على شفة فسحقا لها سحقا
وعصر الظلم يحويها
تزلزل مسجد فرقا

القدس في الشعر الأردي

يستعرض المؤلف في هذا الفصل مجملاً الحديث عن موقف باكستان من قضية فلسطين ودعمها الكامل للشعب الفلسطيني في نيله لحقوقه المشروعة، ثم يبين الشبه بين ما جرى للمسلمين في كشمير وما جرى لهم في فلسطين.

ثم يعرج المؤلف على الشاعر الباكستاني « فيض أحمد فيض» فيعرض شعره في ديوان « قلبي مسافر» الذي ضمنه قصيدتين عن فلسطين ، ثم يفصل القول في نكبة فلسطين و المأساة التي يعانيها شعبه.

وكذلك يتحدث عن الشاعرة نبيلة إسحاق إبراهيم التي لها ديوان بعنوان « قدس شريف» فيسرد منه قصائد عديدة كقصيدة«بيت المقدس» وقصيدة «القدس الشريف» وقصيدة«سلام على شهداء القدس الشريف» وقصيدة«أم ترثي ابنها الشهيد في القدس» وقصيدة«كشمير والقدس»، ولها ملحمة طويلة تمتد إلى أكثر من مئة بيت تستنفد كل طاقتها وشاعريتها في قضية القدس وعنوانها «ملحمة القدس وكشمير»، وقد نظمت هذه الملحمة مقطعا عن كشمير ومقطعا عن القدس وتتألف من ثلاثة عشر بندا، تقول في مطلعها: (ص٢٠٨).

نجوم خبت، زال لون القمر
فكشمير لم يبد منها الأثر
محوا حسنها حملوا نعشها
وقد حرقوا وذروا قشها
أكشمير شابهت أنت الجنان

❖ ❖ ❖

هي القدس، قال اليهود لنا
وهم أطفؤوا ما لها من سنا
دماء الزهور تذيب القلوب
وتبكي السماء لهول الخطوب
لنا لا لهم من قديم الزمان

وهكذا تمضي في عرض مأساة كل من كشمير والقدس، وما تتعرضان له من أنواع العدوان.

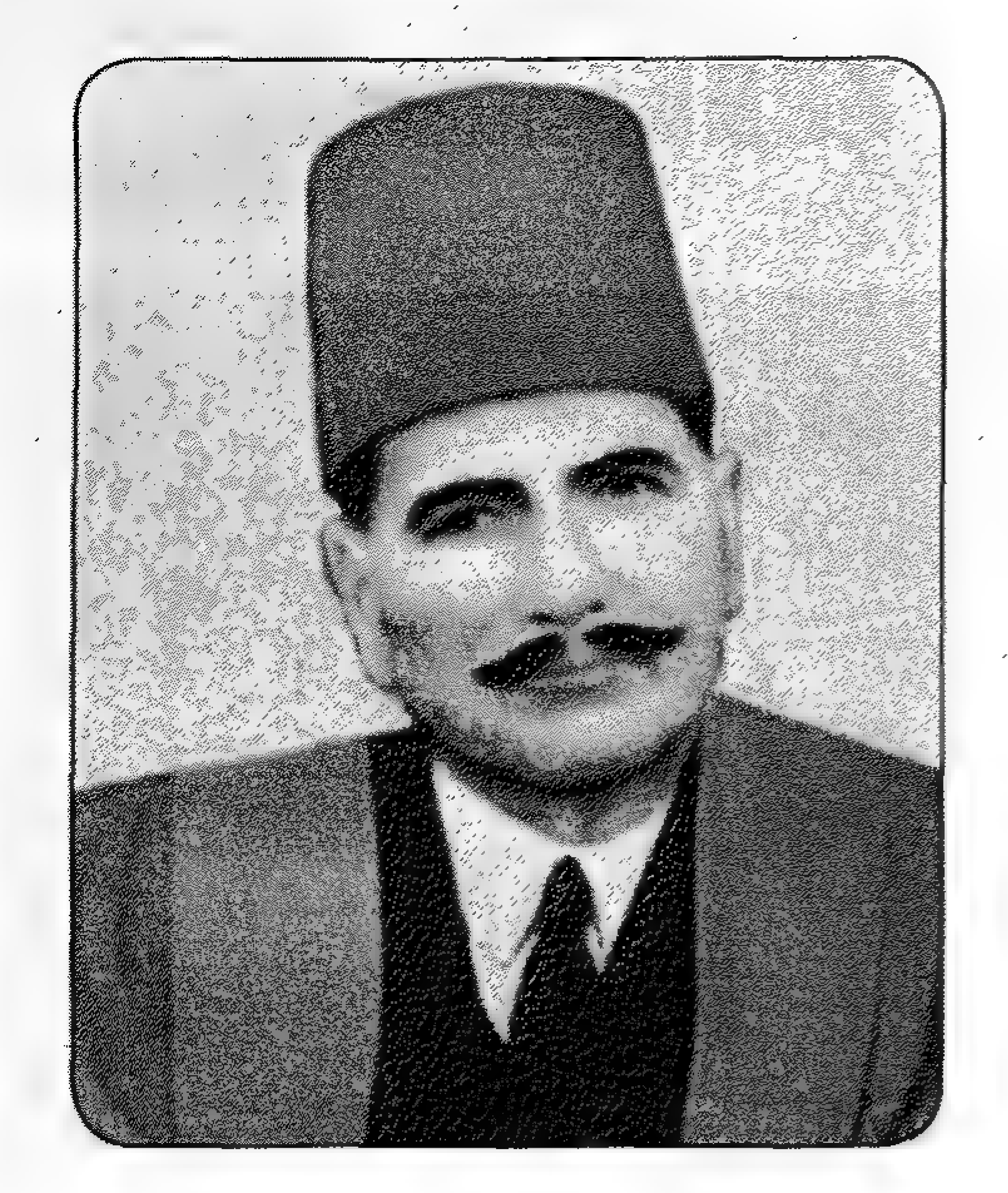
ولها منظومة أخرى تحت عنوان «القدس الأسير» تقول فيها: (ص٢١٧)

على القدس من أنزل الصاعقة
ودنيا بصمت لها زاعقة
هو الصمت كان بكل مكان
مشاهد يحرق منها الجنان
نسيم الربيع كما العاصفة
وكم من قلوب لها واجفة
يموج عبير بها في الفضاء
وفي يومنا أشبهت كربلاء

ويختم المؤلف هذا الفصل والكتاب بالحديث عن الشاعر الكبير «محمد إقبال» الذي ظل يدافع عن حق العرب في فلسطين ويندد بالمخطط الاستعماري الغربي والصهيوني الذي يهدف إلى إجلاء العرب عن فلسطين لتقوم دولة لليهود فيها، ويفضح مكائد الإنجليز المستعمرين، ويبين أن الشاعر في شعره يعتمد كثيرًا على الحقائق التاريخية والآراء العقلية، فقد عارض إقبال بشدة منطق اليهود بزعمهم أن لهم حقاً في إقامة دولتهم في فلسطين ودعوتهم يهود العالم للإقامة في هذا البلد، وقاس على ذلك حق العرب في المطالبة بالعودة إلى الأندلس بزعم أنهم أقاموا فيها ثمانية قرون، يقول الشاعر: (ص٢٢٠)

فلسطين إن تك حق اليهود
فأندلس إنها ما نريد
والإنجليزي خفي المراد
بهذي الدنيا رسوخ اعتقاد

وإقبال لم يذكر احتلال القدس في قصائده، ذلك أنه حين قدمها مرتين في سالف الأيام لم تكن وقعت في أيدي اليهود، ولكنه كان يستشعر المؤامرة التي تحاك من قبل الإنجليز.



إقبال

وفي الختام: يعد هذا الكتاب رائدا في موضوعه لما لمؤلفه من اطلاع على الآداب الفارسية والأوردية والتركية فضلا عن العربية، مما أتاح له القدرة على تأليف أكثر من كتاب في هذا النوع من الأدب المقارن، إن لم يكن بالنقد فبالعرض، وهو بحد ذاته عمل ممتع للقارئ العربي مثل كتاب: رمضان بين شعراء الشعوب الإسلامية، وكتاب: غزوات الرسول بين شعراء الشعوب الإسلامية.

ولعل أهم ملحظ سلبي في الكتاب الذي بين أيدينا هو ما عرضه المؤلف من الشعر الفارسي، إذ اشتكى بأن أصدقاءه لم يزودوه بقصائد لشعراء نظموا عن القدس، فاضطر أن ينظم هو قصائد بالفارسية ثم ترجمها إلى العربية، مما أبقى القارئ في دائرة الشوق إلى الاطلاع على ما قاله الشعراء الذين يعيشون في إيران والبلاد التي تنتشر فيها اللغة الفارسية. ومن حقنا أن نتساءل: هل تعد قصائد المؤلف نفسه باللغة الفارسية ثم ترجمته لها إلى العربية - وهو عربي مصري- من الأدب الفارسي؟!.

يقع الكتاب في ٢٢٤ صفحة، وصدرت الطبعة الأولى منه عام ٢٠٠٢م، عن الدار الثقافية للنشر بالقاهرة ■





د. عدنان علي رضا النحوي للأدب الإسلامي:

لا يستقيم الأدب الحق إلا إذا توافر فيه جمال الشكل وجمال المضمون

في حياتنا دائماً نلتقي برجال أثروا في مسار الحياة تأثيرات متباينة. ومنهم من ترك بصمته بعمق في تيار من تياراتها المتلاطمة. ونحن اليوم مع شخصية تركت بصمتها وبقوة في عدد من المجالات الشرعية والفكرية والأدبية والعلمية. له أكثر من مئة وثلاثة عشر كتاباً في الفكر والأدب والهندسة. وأسس لمدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن. هذه المدرسة التي أراد من خلالها العودة بالجيل المؤمن للمنبع الصافي العذب الزلال القرآن الكريم والسنة المطهرة. ومن خلال تصوره لهذه المدرسة المباركة، انبثقت دعوته الأدبية وتبلورت خصائص الأدب الإسلامي في أكثر من كتاب ألفه. ولعل من أشمل الكتب في الأدب الإسلامي وخصائصه. هو: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته. وكان له رأيه القوي في الملحمة تمثل في عدد من الملاحم التي ألفها. ووضع بها تصوراً جديداً للملحمة معنى ومضموناً وبناءً. إبداعاته الأدبية في قضية فلسطين. وقضايا العالم الإسلامي وتعيين القدس عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٩م. ودور الأدب في نصرة قضية فلسطين..

هذه القضايا وغيرها وقفنا على بعض تفاصيلها. في هذا الحوار مع الأديب الكبير الدكتور/ عدنان علي رضا النحوي:



حوار: محمد أحمد فقيه - اليمن

■ ما هي أهم العوامل التي أثرت في مسيرتكم الأدبية؟! ومن هم الأدباء الذين تأثرت بهم، وكونوا مرجعية في حياتكم الأدبية ؟

■■ أهم العوامل التي أثرت في مسيرتي الأدبية والفكرية: الوالدان والأهل، البيئة، الدراسات المتنوعة التي درستها في مسيرة حياتي، الأحداث السياسية التي عشناها في مسيرة الحياة، والأصحاب والعلماء والدعاة

والأدباء الذين عرفتهم وعرفوني.

الأدباء الذين تأثرت بهم، أدباء وشعراء في العصر الجاهلي، وفي صدر الإسلام ممن صاحبوا رسول الله ﷺ، ومن تبعهم بعد ذلك في العصور اللاحقة، وكان أكثر تلك العصور تأثيراً بعد عصر صدر الإسلام العصر العباسي الذي درسناه بتفصيل. وفي العصر الحديث: محمود سامي باشا البارودي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وكثير آخرون.

أما المرجعية الحقيقية فهي القرآن الكريم الذي يظل يُغذّي الإيمان ويمدّ الإنسان بالزاد بعد الزاد، ويوسع آفاق الفكر والعاطفة، ويعين على توازن جميع القوى في فطرة الإنسان، وعلى توازن العطاء على صراط مستقيم.

■ ماذا يميز الأديب الدكتور عدنان علي رضا النحوي من غيره من أدباء عصره؟

■■ ليست القضية التميّز، ولكن القضيّة أني قدّمت في مجمل دراساتي تصوراً متكاملاً للأدب الملتزم بالإسلام في جميع ميادينه، ومن خلال هذا التصور المتكامل النابع من منهاج الله قدّمت تصورات ونظريات جديدة تُطرح لأول مرة في الساحة الأدبية والفكرية، منها على سبيل المثال لا الحصر: قانون الفطرة، كيفية تولد النص الأدبي، الملحمة، نظرية الجمال الفني، الأسلوب، وغير ذلك. ونقطة أخرى محورية هي أنني لا أرى الشعر عطاء الشعور والعاطفة فقط، ولكنه ثمرة التفاعل بين الفكر والعاطفة في داخل الإنسان. ولا يمكن للعاطفة أن تعمل وحدها، ولا للفكر أن يعمل وحده، ولكن في كل عطاء الإنسان يشترك الفكر والعاطفة بنسب مختلفة بحسب الموضوع والحالة. وقضايا أخرى جديدة أثرتها في دراساتي الأدبية معروضة في مؤلفاتي. وكذلك فقد عالجت جميع قضايا العالم الإسلامي، وطرقْتُ آفاق الكون والحياة، ابتداء من الحياة الخاصة إلى حياة الأصدقاء، إلى الحياة العامة.

■ هناك من يصف شعركم بأنه مجرد نظم خالٍ من الشعر وصوره ودلائله الفنية، وتكرار المعاني المستهلكة في جوانبه، دون أي لفتات إبداعية، كيف تردون على هذا القول؟

■■ أنا لا أعجب أبداً أن يظهر أناس يقولون مثل هذا القول بدافع الإساءة، أو الجهل أو أيّ عوامل نفسية أخرى، بعيدة عن النصح الأدبيّ الأمين، والميزان الدقيق العادل والعلم الصادق.

وقديماً قال المتنبي:

ومن يك ذا فم مُرٍّ مريض
يَجِدْ مُراً به الماءَ الزلالا

وحسبي أن عدداً غير قليل من كبار الأدباء والنقاد كتبوا عن شعري فأعلوا منزلته، ورسائل جامعية للماجستير والدكتوراه قُدِّمَتْ حول شعري، فكان إجماع على علو مستوى شعري فنّيّاً ولغوياً وجمالاً، وجرساً، وصياغة معنى ومبنى..!

ولا أشعر إلا أن الشعر يتدفّق مع الأحداث بهداية من الله، والحمد لله، وأقول لهؤلاء الذين هبطوا بنفسيّتهم وتحكم بهم الجهل، فليستفيدوا على الأقل مما يدّعون أن فيه وعظاً، فليتعظوا!

■ هل هناك فواصل أو مراحل زمنية أو إبداعية يمكن تقسيم أدب الدكتور عدنان علي رضا النحوي إليها؟

■■ نعم! بدأت الشعر بحدود سنة ١٩٤٢م، حين كنت في الرابعة عشرة من عمري، ولم أك أعرف العروض آنذاك. وميزة شعر تلك المرحلة أنه كان ينبئ عن المراحل المقبلة وعن قوتها ونموها. فُقد معظم شعر هذه المرحلة الأولى. ثم كانت المرحلة الثانية وأنا في القدس في الكلية العربية، وكنتُ مقلاً، والمرحلة الثالثة مرحلة النزوح عن فلسطين، فقد نما العطاء وتنوع. والمرحلة الرابعة الأخيرة هي الاستقرار في السعودية حتى اليوم، وكانت هذه المرحلة أغنى المراحل عطاء بالدعوة والفكر والأدب والملاحم والشعر والدعوة.



■ ما الفرق بين الأدب الإسلامي والأدب الإنساني، أليس الأدب الإنساني أكثر شمولية بضمه كل أدب رفيع جميل بغض النظر عن قائله أو أدلجة الأدب؟

■■ لفظة الإنسانية أخذت تحل محل لفظة الإسلام بهمة بعض الدعاة المنحرفين، وبسبب الغزو الفكري الذي يغزو العالم الإسلامي كالطوفان.

أومن يقينا أنه لا يُمكن أن تصدق " الإنسانية " إلا في الإسلام، وخارج الإسلام هي شعار يُتاجَر به لا رصيد له من الواقع.

الأدب الإنساني إذا وجد لا يمثّل إلا بقيّة باقية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها لتحمل كل معاني الإنسانية في ظلال الإيمان وريّ التوحيد. فإذا فسدت هذه الفطرة وانحرفت، ربما تبقى بقيّة قليلة يظهر أثرها في بعض ما يصدر من أدب غير ملتزم بالإسلام، ويتبع مذاهب ونظريات متعددة كالعلمانية والمادية والواقعية والحداثة وغير ذلك! ولا يحمل هذا الأدب من الجمال إلا ما أسميه " الزخرف " الذي لا يمكن أن يكون فيه أيُّ دور للإنسانية أو أي خير. وهذه الحياة البشرية اليوم يسيطر فيها من يتغنون بالإنسانية، وإذا بالإنسانية طغيان وإبادة وتدمير لا رحمة فيها ولا إنسانية. الذين ينادون بالإنسانية مجرمون يتخفون وراء هذا المصطلح، ليرتكبوا جرائمهم الممتدة.

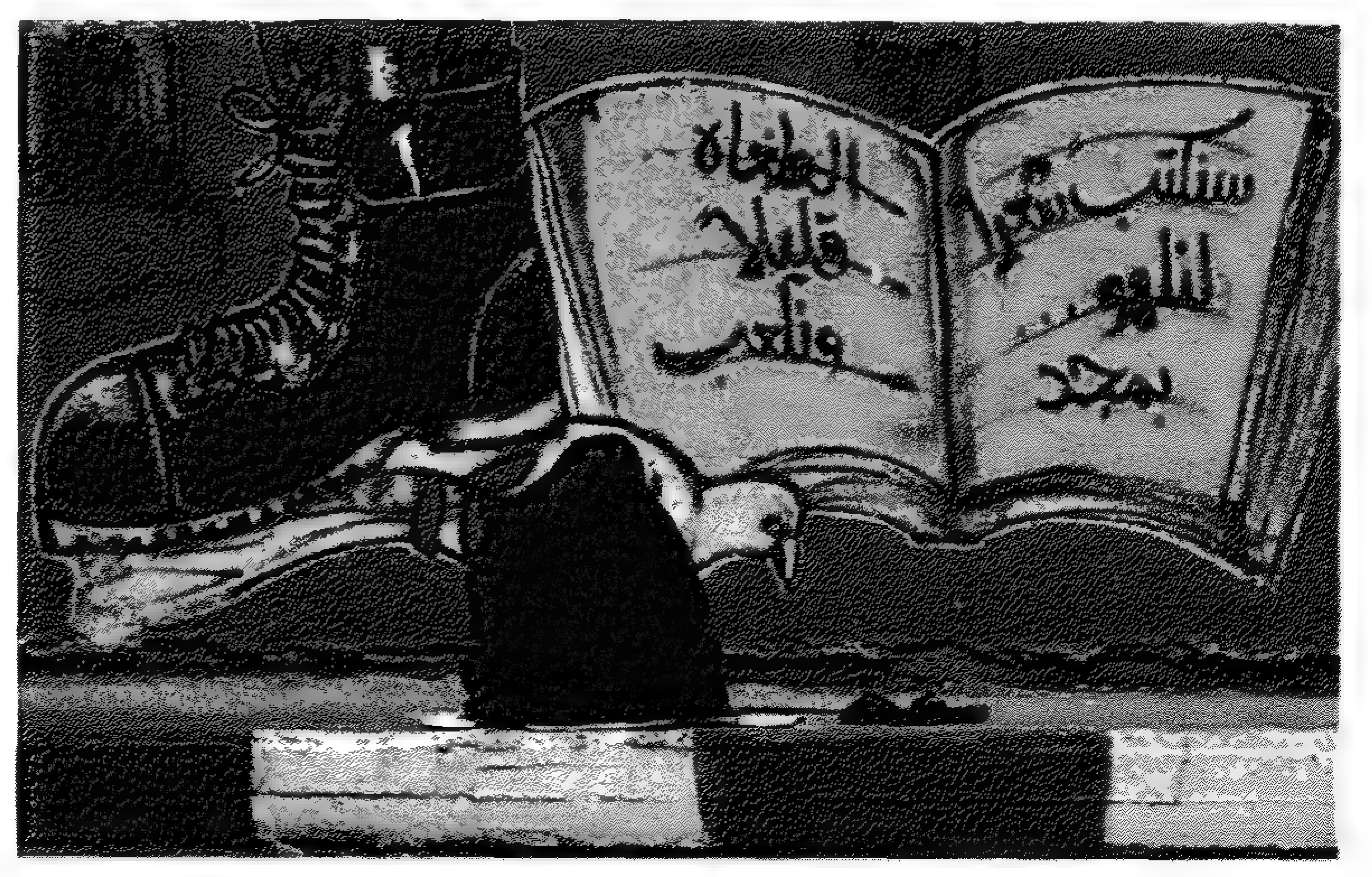
الجمال في الأدب الملتزم بالإسلام جمال آخر غير الزخرف. جمال في اللفظة والصياغة والمعنى وكل نواحيه، يبني حقيقة الإنسانية في الحياة وجوهرها، ما يُسمّى بالأدب الإنساني ليس أكثر شمولية من الأدب الإسلامي، بل على العكس إنه أدب مخنوق بالأهواء والمصالح والتفلّت والتحاسد، وغير ذلك مما نراه ماثلاً في واقعنا، يفترض أنه لا لفظة أوسع من لفظة الإسلام، ولا أغنى منها ولا أصدق منها. ولكن المشكلة في المسلمين الذين انهاروا في واقعنا المعاصر وتمزّقوا أهواء وأحزاباً وشيعاً، وأقطاراً، وعصبيات جاهلية.

■ من التهم الموجهة لأدباء الأدب الإسلامي هو طغيان المعادل الفكري على المعادل الفني، أو طغيان الفكرة على الشكل كيف تُقَوِّمون هذا القول؟

■■ إن طغيان الفكرة على الفن، أو الفكرة على الشكل، أو الشكل على الفكرة، هو خلل حقيقي لا يحدث إلا إذا اضطربت الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وضمرت بعض قواها.

كما قلت قبل قليل: لا يمكن للفكر أن يعمل وحده أبداً، ولا يمكن للعاطفة أن تعمل وحدها. إن الفكرة والعاطفة يعملان معاً في وقت واحد في كل عطاء للإنسان بنسب مختلفة من كل منهما. والفطرة السليمة تحفظ التوازن بينهما.

■ **لا يُمكن أن تصدق " الإنسانية " إلا في الإسلام، وخارج الإسلام هي شعار يُتاجَر به لا رصيد له من الواقع.**



إني أقدّم نظريّة متكاملة تجيب على هذه الأسئلة كلها تحت عنوان " قانون الفطرة "، و " كيف يتولد النص الأدبي " إن الأديب لا يستطيع أن يقرر هو بنفسه أن النص سيكون فيه " كذا " من درجة الفكر، وكذا من درجة العاطفة، ولا يمكن فصل الفكر عن الفن، ولا الفنّ عن الفكر. وما الفنّ إذا خلا من الفكر؟! وكيف يكون فنّاً؟! وكيف يتولّد؟! وما دوره في الحياة؟!

وبإيجاز أقول: إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على فطرة سليمة، خلق الخلق كلهم على هذه الفطرة، وأودع في هذه الفطرة عدة قوى وميول، أهمها الإيمان والتوحيد الذي أمَثِّله بالنبع الذي تفتحه النيّة الصادقة ليُروي النبعُ جميع القوى والميول في فطرة الإنسان ريّاً متوازناً، حتى تؤدي كل قوة المهمة التي خلقها الله لها.

ومن القوى التي غرسها الله في الفطرة قوة التفكير وقوة العاطفة، وكلٌّ منهما يستقبل الشحنات من زاد الواقع، من علومه وتجاربه وأحداثه، حتى تأتي اللحظة المحددة بقدر الله، فتأتي الموهبة فتشعل التفاعل بين هاتين المجموعتين من الشحنات، على قطب الفكر وقطب العاطفة، فتخرج من هذا التفاعل شعلة العطاء والإبداع، على قدر ما ارتوت هذه القوى كلها من نبع الإيمان.

■ إن طغيان الفكرة على الفن، أو الفكرة على الشكل، أو الشكل على الفكرة، هو خلل حقيقي.

■ قضية الشكل والمضمون يبدو أنها من القضايا التي أثارت اختلاف الآراء وتباين الاتجاهات، ما رؤيتكم لهذه القضية الشائكة؟! وما الوظيفة التي يجب أن يؤديها الأدب؟ وهل المضمون يعفي الأديب من الاهتمام بالفنية؟

■■ لا يستقيم الأدب الحق إلا إذا توافر فيه جمال الشكل وجمال المضمون، والجمال ميزان محدد لا تلعب به الأهواء ولا المصالح. الجمال الحقّ ربّانيٌّ كله.

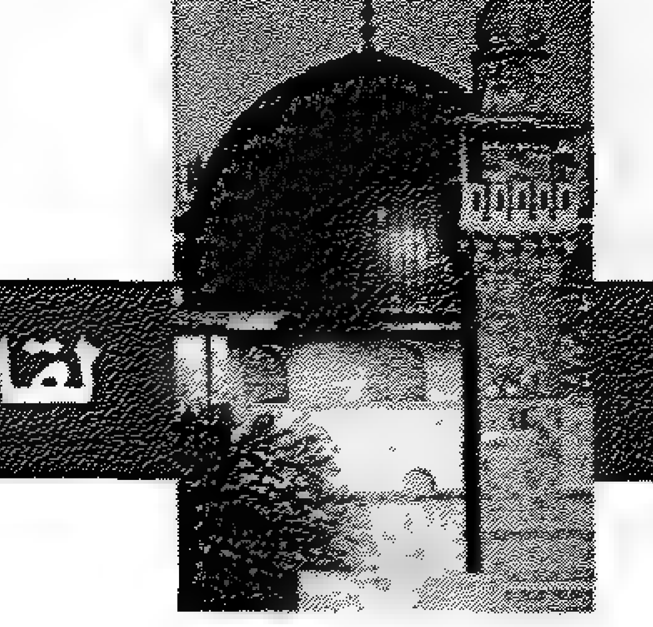
هنالك خصائص فنيّة يجب استيفاؤها لترفع النصّ إلى مستوى الأدب، وهنالك خصائص إيمانية يجب توافرها لترفع هذا الأدب ليكون أدباً إسلامياً، ومن تفاعل هاتين المجموعتين من الخصائص في فطرة الإنسان ينطلق الجمال الفني في النص. فإذا فُقِدَتْ أي من هاتين المجموعتين من الخصائص سقط الأدب وخرج من ميدان الأدب الملتزم بالإسلام. المضمون قد يجعل الكلام إسلامياً، ولكن لا يكون أدباً أبداً إلا إذا توافرت الخصائص الإيمانية والخصائص الفنية في داخل الأديب في فطرته السليمة وفي النصّ الذي تدفعه الفطرة السليمة. وللأدب الإسلامي مهمة ووظيفة عظيمة، وهي أن يساهم في بناء الحياة الإيمانية النظيفة، حياة الإيمان التي تصل الدنيا بالآخرة، ويعين الإنسان على الوفاء بعهده مع الله، وبالمهمة التي خلق للوفاء بها، والتي سيحاسَب عليها بين يدي الله يوم القيامة.

■ هل هناك تجديد في الأدب الإسلامي على مستوى المضمون أو الشكل، وما خصائص هذا التجديد ومظاهره إن وجدت؟

■■ نعم! هناك تجديد خاضع لمفهوم التجديد الذي يرضاه الإسلام، وليس تجديد التفلّت والانحراف والزخرف والزينة.

قدّمت تصوراً جديداً وشكلاً جديداً للملحمة الإسلامية، ولم أكتف بعرض النظرية، ولكن قدّمت تطبيقاً لها في أربع عشرة ملحمة.

وقدّمت تصوراً جديداً لمفهوم الجمال في الأدب وتمييزه من الزخرف والفتنة والزينة، مع تحديد استخدام هذه المصطلحات. مع



تحديد دور النيّة في الأدب، وتحديد دور كل العوامل الفاعلة.

وكذلك في الأسلوب ومعناه وتطبيقه، وفي مفهوم الشكل المختلف عليه. كل ذلك قدّمت له تصوراً جديداً ليكون جزءاً من النظرية العامة والتصوّر العام للأدب الإسلامي كما هو معروض في تصوّر متكامل مترابط في كتاب " الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته "، وكتاب " النقد الأدبي المعاصر "، وسائر كتب الأدب التي قدمتها.

أهم خصائص هذا التجديد أني أقدمه نظرية ودراسة وكذلك تطبيقاً ونصوصاً ونماذج. وكذلك فإن جميع ما قدّمته أرجو أن يكون نابعاً من ثلاثة مصادر: أسس الإيمان والتوحيد، المنهاج الرباني، مدرسة النبوّة الخاتمة.

هذا بالنسبة لما قدمتُه. أما بالنسبة للأدب الإسلامي بعامة فيحتاج إلى دراسة خاصة ليس هذا موضعها.

■ قارئ الملاحم الشعرية التي أبدعتموها، مثل ملحمة فلسطين وملحمة الأقصى وغيرها لا يلمس الفرق بين الملاحم والقصائد، فما الخط الفاصل بينهما موضوعياً وفنياً؟

■■ ربما يتأثر القارئ بمفهوم " الملحمة " كما توحي بها " الإلياذة " وأمثالها. " فهوميروس " لم يكن يدري معنى كلمة " الملحمة "، وما سمى قصائده " ملحمة "، وإنما سماها " epic " أو " epicus " ومعناها الأسطورة. فيجب أولاً أن ننزع من عقولنا مفهوماً نبع من الوثنية اليونانية لم يحمل مصطلحاتنا ولا فكرنا ولا نهجنا.

ربما تكون بعض القصائد ملحميّة بمعنى كلمة «ملحمة»، اللفظة العربية كما تعرفها معاجمنا لا يريدها اليونان والرومان والوثنيون كلهم. فالفرق الرئيس بين الملحمة والقصيدة هو الموضوع بالدرجة الأولى حين يكون ملحمياً، ثم يأتي الطول وأسلوب العرض بالدرجة الثانية، وكل ذلك فصّلته في عدة كتب من مؤلفاتي، وفي كتاب خاص بذلك.

■ إن اختيار القدس عاصمة للثقافة العربيّة يشير إلى أن الثقافة العربيّة تكاد تكون أهم سلاح باقٍ في يد العرب اليوم. ولو قالوا: اختيار القدس عاصمة للثقافة الإسلاميّة لكان هذا القول أصدق من الناحية التاريخية والعلمية، ومن حيث الحقائق.

■ كيف تنظرون لاختيار القدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م؟!

■■ إن اختيار القدس عاصمة للثقافة العربيّة يشير إلى شدّة اهتمام العرب بالقدس من ناحية ولو من حيث الشعار، ويشير إلى أن الثقافة العربيّة تكاد تكون أهم سلاح باقٍ في يد العرب اليوم، في مرحلة هان العرب فيها وهان المسلمون وتفرّقوا وتمزّقوا. وعلى كل حال: لو قالوا: اختيار القدس عاصمة للثقافة الإسلاميّة لكان هذا القول أصدق من الناحية التاريخية

والعلمية، ومن حيث الحقائق. وكلمة الإسلام والمسلمين، حتى من حيث الشعار، تكاد تتحسر في واقعنا اليوم. ولكنها ضرورة ملحّة فهي وحدها الشرط الجامع للقوى من أجل فلسطين، ومن أجل النجاة بين يدي الله يوم القيامة، على ألا تكون شعاراً فحسب، بل عقيدة والتزاماً.

■ ألا يعيد تخصيص القدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، أهمية الكلمة الأدبية في هذه القضية المصيرية للعرب والمسلمين؟

■■ نعم! يُعيد أهمية الكلمة الأدبية، علماً أن ميزان الصراع يعيد للكلمة الأدبية أهمية أكبر. إن اعتبار القدس عاصمة للثقافة نهج إعلاميّ لا يحمل معه قوة الميدان والجهاد الواجب.

■ يقول أحد الكُتّاب: (النحوي شاعر لا يأكل إلا من صحن القضية) ما مدى صدق هذه المقولة في إبداعكم الشعري؟

■■ لم يقل أحدهم هذه الكلمة بهذا النص. فالنصّ الذي قيل مختلف عن ذلك. الكلمة للأستاذ زهير مارديني في مجلة " الجديد ". وهو خير من يفسِّر كلمته. وكان يعني بكلمته أن النحوي شاعر لا يتاجر بالقضية بمقالة من عدة صفحات ختمها بقوله: " لقد أدركت من خلال ما قرأت من شعر، ويقصد ديوان " الأرض المباركة "، أن الشاعر لم يأكل من صحن القضيّة، وأنه أكبر من شعره، وأنه من أهل النضال العربي والوعي الإسلامي، وأنه فوق هذا وذاك ملتزم قضايا بلاده مؤمن بربه متعلّق بدينه وعقيدته... وهذا كله يعتبر اليوم من رابع المستحيلات إذا أضفنا إليها الغول والعنقاء والخل الوفّي ". أما إذا فُهِمَ من النصّ الوارد في السؤال أن النحوي لا ينظم شعره إلا في هذه القضية، فهذا قول خطأ، فالدواوين والملاحم تبيّن أني أعيش مع جميع قضايا العالم الإسلامي.

■ إلى أي مدى قام الأدب بواجبه نحو القضية الفلسطينية وفي مقدمتها القدس.. فلسطينياً وعربياً ؟

■■ لقد قام الأدب بواجب كبير جداً فلسطينياً وعربيّاً، وأهم من ذلك إسلامياً.

■ ما موقع الأدب الإسلامي في الدفاع عن القضية الفلسطينية، ومن هم أبرز رموزه؟

■■ للأدب الإسلامي موقع جليل بالنسبة لهذه القضية، ورموزه أكثر من أن يحصروا في هذه الكلمة، وجزاهم الله خيراً عما قالوا وبذلوا. وأعتقد أن جميع رموزه أعضاء في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي كان لها الفضل في دفع الاتجاه الإسلامي في الأدب اليوم في ميادينه المختلفة.

■ بصفتكم ممن عاصرتم جميع محطات القضية الفلسطينية، كيف ترون الحل النهائي لها، وما الوسائل الممكنة، وما هو دور الأدب والكلمة في هذا الجانب؟

■■ أخشى ألا يكون الحلّ النهائي اليوم بأيدينا، فالواجب إذن أن ينهض المسلمون أمةً واحدة، ليمسكوا هم بزمام القضيّة، ويحرّروا فلسطين ويعيدوها إلى الإسلام كاملة. وللأدب دوره القوي في كل ميدان ومنحى. ولكن النهج والخطة لتحرير فلسطين لا نرى أنه يمكن أن تقوم إلا بالأمة المسلمة الواحدة صفاً كالبنيان المرصوص، كما أمر الله سبحانه وتعالى.

وكل مسلم مكلف ومسؤول عن تحقيق ذلك. وللمساهمة في هذا الموضوع نقدم: " نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ".

■ لو راجعتم القصائد والملاحم التي أبدعتموها عن فلسطين.. ما القصيدة التي ترشحونها لإطلاع القارئ عليها بهذه المناسبة؟

■■ أشعر أنّ كل قصيدة قلتها كانت تنبع من وعي كامل لقضية فلسطين، ومن إيمان بها وبالحل الذي يجب أن يكون فتخرج القصائد من دمي وعروقي. ولا أكاد أميز بين قصيدة وقصيدة، ولكن لعل قصيدة " رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين "، تمثل ناحية بارزة اليوم ومناسبة ■



مقلاع

د. إبراهيم أبو صيام - فلسطين

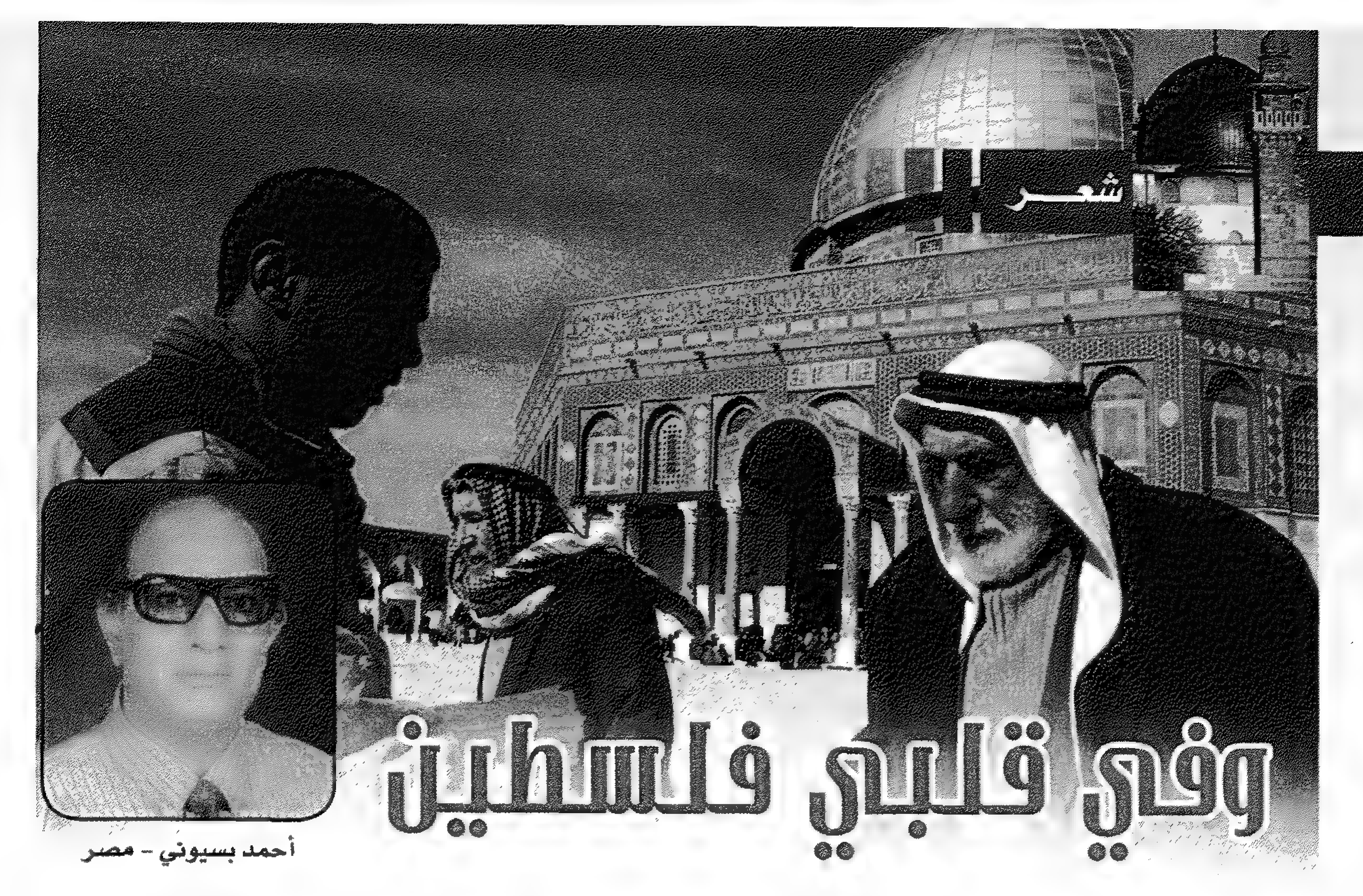
إذ فهقوا وتندروا بعد الوليمة ... قتلوا لعاس الشعب تقصا في الشكيمة
الأرض ألقت حاصبا وتدفقت ... ينبوع رفض واحتجاجات أليمة
كسرت حجارتها الدعاوى والتخا ... ذل والمظاهر والمشاريع العقيمة
سعدت شوارعها بأعراس الدما ... ء وبالهتاف وبالقرارات الحكيمة
بجري القراة ويلهثون فيصعقو ... ن ويحنقون على السياسات القديمة
مقلاع طفل أرق الباغين فاذ ... طفأ التغطرس في القيادات السقيمة
أطفالنا سبقوا الزمان ويحصدو ... ن على المدى عزا وهامات كريمة
وتساءل الطغيان أسرارا وأشـ ... ـرارا وخبرات ونبرات كليمة
من هندس البركان والزحف العتـ ... ـي وليس في أفكاره طعم الهزيمة؟
من أطلق الطاقات والأنفاس والأ ... حلام فانتقلت إلى خطط عظيمة؟
كشفوه تحليلا عريقا هادرا ... فتسابقوا.. مدوا أحابيل الجريمة
يا ويلهم من ونبة الأصداد ها ... جت لا تفل النازلات لها عزيمة



الأقصى الأسير

د. أبو فراس النطافي - الأردن

رُدَّ العدوَّ عن الشطَّين يا ولدي ... جُندُ الظلام استباحوا حرمة البلدِ
صَبُّوا عليه اللظى من كل ناحية ... وفرَّقوا فيه بين الأم والولدِ
سحائبٌ من لهيب فوق مشرقه ... وأنهرٌ من دم في الغرب متَّقدِ
هذا يغطي سماء العُرب فاجعة ... وذاك يغمرهم بالهمِّ والنكدِ
أنَّى نظرتَ فدفقٌ من دم عطر ... ومضغةٌ من سواد القلب والكبدِ
وأضلعٌ شرقت بالموت طائرةً ... من صدر معتقل، أو ظهر مُفتقدِ
والقدس بين خيول الروم ذاهلةٌ ... تُسام خسفاً، وإذلالاً من النَّقَدِ
قصُّوا ضفائرها السمراء واتَّشحوا ... بهن في العيد يوم السبت والأحدِ
وقطَّعوا عِقدها، والبغي مُتَّئد ... تحدِّياً وعداءً غير متئدِ
وأحرقوا ظاهرَ (الأقصى) وباطنه ... وكلَّ مطَّرَف فيه ومُتَّلَدِ
منابر النور في المحراب واجمة ... والحزن مشتعل في الساح والجُدُدِ
(قد بات مستعبراً من كان مصطبراً ... وعاد ذا جزعٍ من كان ذا جَلَدِ)
ولم تمدَّ لأولى القبلتين يدٌ ... تردُّ عنها الأذى - من فارس نُجُدِ
فاستصرخت عُمَراً للفتح مُنطلقاً ... بين الخميسين جند البغي والرَّشَدِ
وكبَّرت: يا صلاحَ الدين واحزَنا ... عاد الغزاة، وما في الدار من أحدِ
ومن يهيمون في الدنيا بلا هدف ... ضلوا السبيل، وناموا في فم الأسدِ
والقابضون على النيران في لُجَجٍ ... حمراءَ لم يبخلوا بالروح والجسدِ
ودافعوا ما استطاعوا عن محارمهم ... وواجهوا الرِّقَ في أثوابه الجُدُدِ
أسراهمُ في سجون البغي ما عرفوا ... لون الحياة، وقتلاهم بلا قَوَدِ
شعبٌ تشتَّت في الآفاق تسحقه ... يدُ النَّوى بين مأسور ومضطهدِ
فكيف تُنقذُ أوطانٌ مقيدة ... من التآمر والعدوان والبَدَدِ
(قميصُ عثمانَ) لم يبرحْ بحاضرنا ... مُنقَّلاً من يد مغلولة ليدِ
هذا يمزقه، هذا يرقِّعه ... وذاك يعبث في الباقي من التَّلَدِ
وأنت تنظر للعدوان يا ولدي ... على بلادك، لم تنظر ليوم غدِ
فإن بقيتَ عن الأنظار مختبئاً ... ضاعت فلسطينُ والأقصى إلى الأبدِ
واستفحل اليأس في أبناء أمتنا ... وماتت العزة القعساءُ من كمدِ
وعدتَ تقرأ تاريخ الألى ذهبوا ... للفرس والروم في حلٍّ ومُنعقدِ
هذي عصارة قلبي جئتُ أنثرها ... على الأحبة (لم تنقص، ولم تزدِ)



وفي قلبي فلسطين

أحمد بسيوني - مصر

فتحت على الردى عيني وشب الحزن في ذاتي
وأشعلني بكاء الطير منتحبا لمأساتي
وزلزلني سحاب الخوف بين عيون فلذاتي
وكرمي ضج والزيتون إذ غالوا شجيراتي
وأرض (جنين) صارخة تؤجج في زفراتي
وحار النجم طول الليل في دمعي وأناتي
ومات القلب من حزن على وطني وجناتي
فإني في لظى المأساة أمشي فوق جمراتي
وفي قلبي فلسطيني تدق وبين نبضاتي
وتمشي في شراييني إلى أجلي وميقاتي

■ ■ ■

كرهت الذل والسياف في وطني ولن أصفحْ
فنصل الظلم فيه السم في قلبي غدا يسرحْ
و(شارون) اشتهى دمنا وفوق صدورنا يمرحْ
وكل شراذم الآفاق بين ديارنا تنبحْ
على جسدي أقاموا العرس والإكليل والمسرحْ
ومن كرمي تطوف الراح بينهمُ دما يسفحْ
ومن شمسي أناروا التيه .. والنيران لي تلفحْ
وساقوا الحق والتاريخ يا وطني إلى المذبحْ
ولكني أنا البتار، مَنْ غيري لهم يكبح؟!!
ومن يردي ذئاب الغاب في عصرٍ بنا يجنح؟!!

طغى (صهيون) مغتصبا يعيث بأرض أجدادي
خرجت إليه بالأحجار رغم سلاحه العادي
زحفت بصدريَ المكشوف لم أعبأ بجلادي
لأصرخ فيه أفزعه فيجري خوف إرعادي
يفر أمام أحجاري وكالجرذان في الوادي
ولما طال بي ليلي ولم أعبر بأجيادي
صرخت: «الغوث يا قومي»! فلم يسمع لهم نادي
ورغم ندائي المكروب لم أظفر بإمداد
ستبقى النار ضارية أورثها لأكبادي
ليولد بعدنا سيف يؤازر رمح أحفادي

■ ■ ■

ورغم ذراعي المكسور والأضلاع لم أيأسْ
ورغم بشاعة التنكيل في أهلي فلن أخرسْ
سأمضي في حزام الموت مشتعلا ولن أحبسْ
سأحضنه وغير تميمة الشهداء لن ألبسْ
فهذا الداعر الظلاّم أهدانا الردى أكؤسْ
أصلي داعيا ربي وقبل لقائه الأقدسْ
فإن شظّيت أشلاء فروح الحق لا تلمسْ
فمن يرتع بأمتنا وفوق رؤوسنا يدهسْ
شظايانا ستصعقه ومن صبّارنا نغرسْ
لينبت من دمي بطل يحرر راية المقدسْ

إن الناصر الله

د . أحمد عبدالله السالم - السعودية

أواه مما أصاب القلب أواهْ   تألب الشر وانباحت نواياهْ
دم العروبة أضحى في المزاد سدى   ولليهود دم قد زاد مثراهْ
شارون يعبثُ بالشبان صبح مسا   والغرب نامت عن الطاغوت عيناهْ
حتى حرائرهم شارون قتّلها   والطفلُ يتّمه والشيخ أرداهْ
لم يبق في حيْهم مبنى سلامته   تبدو، فما فيه أشباح وأشباهْ
يا قادة السلم إن الأمر في يدكم   فالمصطفى دنس الأنذال مسراهْ
من تأملون به خيرا يمد لكم   يسرى وتغدق للأعداء يمناهْ
من تأملون به خيرا يدير لكم   ظهرا . وغيركمْ بالحضن يلقاهْ
من تأملون به خيرا صناعته   تذكنا دونما ذنب جنيناهْ
كأننا كلما في الحرب مات فتى   نحن الذين إلى الأكفان سقناهْ
كانت بصبرا وشاتيلا بدايتُه   وسوء تاريخه بالقدس أنهاهْ
نبغي السلام، ولا يبغونه أبدا   أين السلام الذي كنا بدأناهْ؟
قد أطلقت من أراضينا مبادرة   فما خطت في طريق السلم رجلاهْ
يا غرب كنت على الإرهاب صاعقة   واليوم أصبحت تحميه وترعاهْ
هذا السلام الذي ترعون خطته   تآمر قد كشفتم عن مغطاهْ
أنتم لشارون أهل وهو مغتبط   ورأيه إن رأى من رأي مولاهْ
العقد في الحل يا من بالسلام عنوا   والحل في العقد هذا ما رأيناهْ
يا أيها العُرب إن الكيل طففه   ميزانهم، فأعيدوا ما فقدناهْ
هبوا انصروا إخوة ضاعوا وأقدرهم   على النجاة حبيس عزَّ منجاهْ
إنْ بالسلاح وإنْ بالمال نصرتهم   أو قدموا من صنيع الخير أدناهْ
ولتعلموا أن ما قمتم به سبب   مهما عملتم . لأن الناصرَ اللهْ



يا قدس



أحمد محمود مبارك - مصر

طال الدجى وتراكمت أحزانُ ... وتأجج العدوان والطغيانُ

ذبلت زهورك ما أعاد رواءها ... قَطْرٌ، ولم تذقِ الندى أفنانُ

أنت الأميرة كيف صرت أسيرة ... لشراذمٍ لفظتهم البلدانُ؟

أدماك قيد من ستين ولم يزل ... يعدو عليك السجن والسجانُ

وكم استغثتِ وعاد صوتك دامياً ... غضت العيون وصمّت الآذانُ

علت البُغاث ونسرنا أودى به ... من أوج عزته ونىً وهوانُ

وبنو الأفاعي قد تأجج بطشهم ... ويمد نار عدائهم أعوانُ

أمم تؤازرهم وتذكي ظلمهم ... في كفها لا يعدل الميزانُ

نعتوا نضال بنيك بالإرهاب فالـ ... ـمطعون في ميزانهم طعانُ

لم يبصروا دمك الذي سفكته أنـ ... ـياب الجناة كأنهم عميانُ

أفتوا على بطش الطغاة وبرؤوا ... من أجرموا والأبرياءَ أدانوا

الآنَ أولى القبلتين على ربو ... عك لم يزل يتلى بها القرآن؟

الآن حطينُ الأبيِّ بقلبهم ... حقد قديم ما له نسيان؟

جعلوك عاصمة لمخلب شرهم ... خسروا وأسقط زعمهم بطلانُ

عربية يا قدس مسلمة ولن ... يغتال أصل جذورك البهتانُ

مهما استطال البغي لن يمحى به ... حق ولن تبقى له أركانُ

إن كان فينا من تهاوى عزمهم ... وتقاعسوا وفشا بهم إذعانُ

ومضت إلى سفح الخنوع ركابهم ... واستمرؤوا متع الحياة ولانوا

لا تيأسي إنا برغم عُوارنا ... لما يزلْ في أرضنا فرسانُ

من نسل «سعد والزبير وخالد» ... يقتادهم لخلاصكِ الإيمانُ

يكوي فؤاد البغي نار كفاحهم ... لم يثنهم عن عزمهم طغيانُ

وعلى ربوعك رغم أسوار الردى ... من كل فج يبرز الفتيانُ

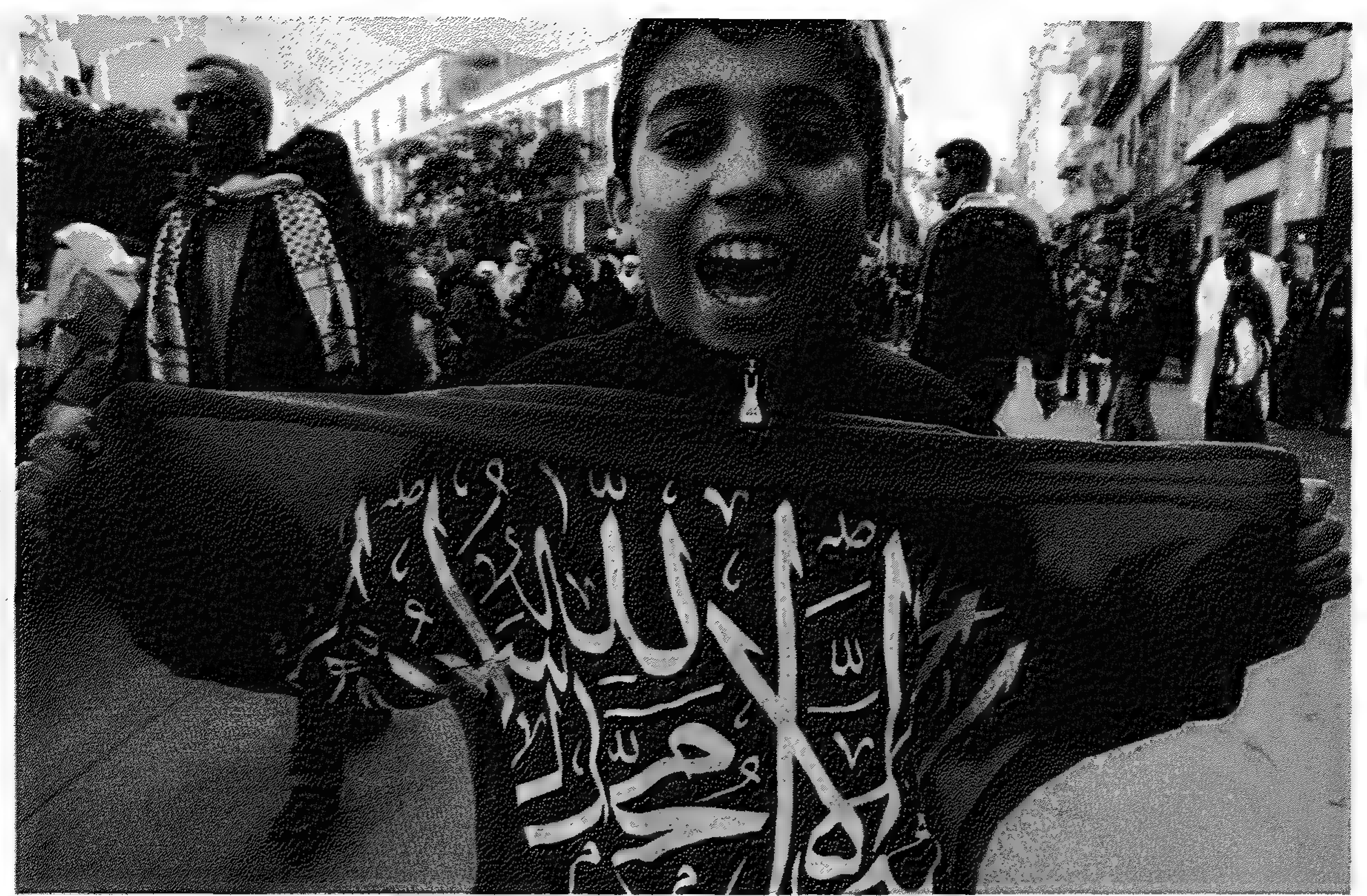
باعوا الحياة وهم بعمر الزهر لم ... يجذبْ هواهم وجهُها الفتانُ

كيف السبيل إلى الحياة وقدسهم ... تمتص نور عيونها القضبانُ؟

لا تيأسي من فجر نصر مقبل ... فمصير أعداء [illegible] خسرانُ

وعد من الرحمن نصر ساطع ... [illegible] وإن يطول زمانُ

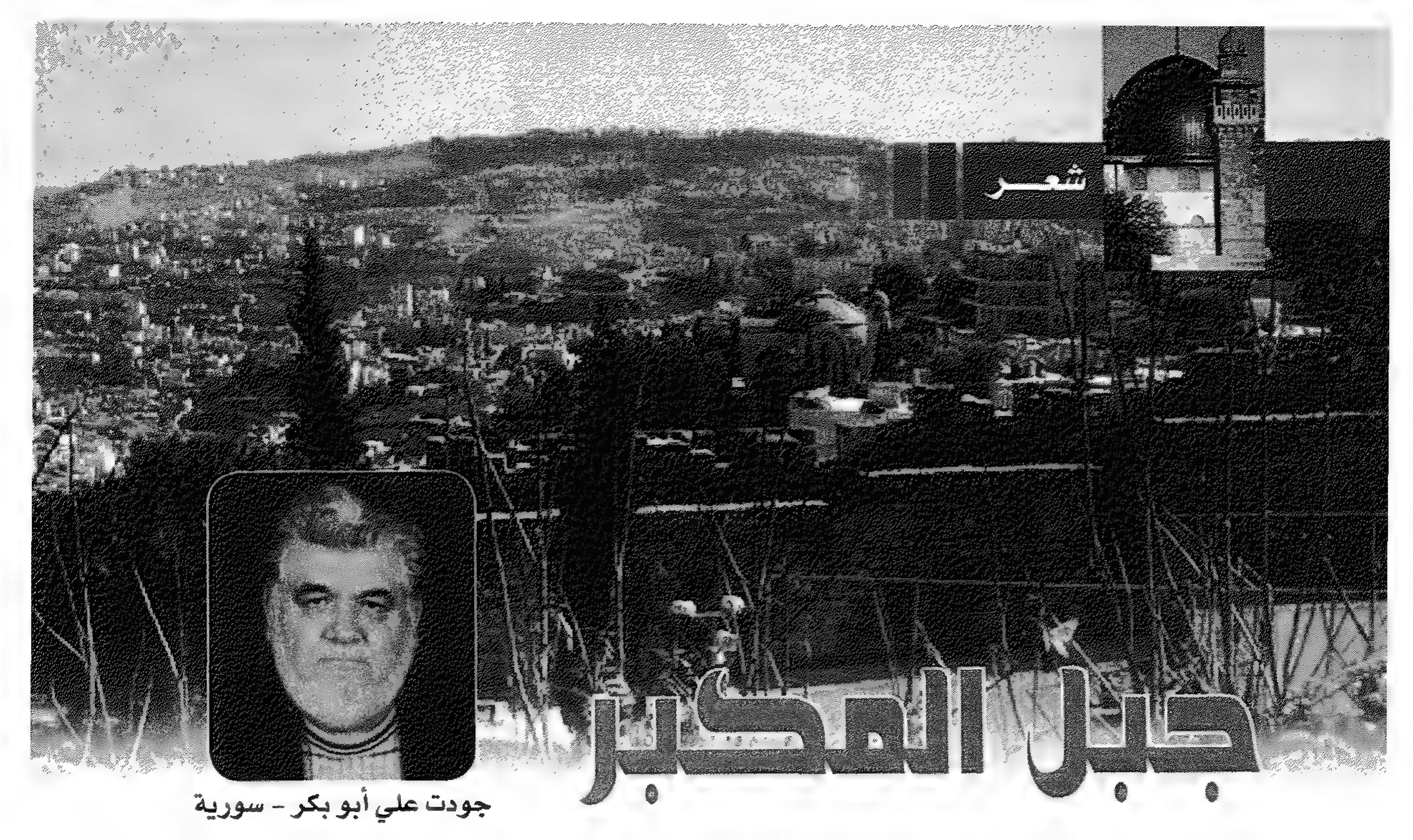
وأنت مؤمنة وشعبك مؤمن ... لا تيأسي .. لن يخلف الرحمن



رسالة إلى غزة

أسامة محمد المحوري - اليمن

أسرّي الأنينَ ولا تُسمعي
فما عادَ في القومِ قلبٌ يعي
وما عادَ للدمعِ من يحتويه
فعهدُ الكرامةِ فيهم نُعي
فصوني أنينكِ لا تبذليه
ولا تستكيني ولا تجزعي
وطيري إلى الأفقِ دون التفات
وفوق سماءِ الخلودِ ارتعي
فما أنتِ إلا كشمسٍ توارت
وقد آذن الفجرُ أن تطلعي
وتحكي إلى الكون قصة حق
عن النور عن عزمكِ المبدع
أغزةُ إن خانكِ المرجفونَ
ومدوا الأكفَ إلى المدعي
ستبقينَ رمزَ العُلا والصمود
وهيهات هيهات أن تخضعي
فقولي لكلِ البرايا: أتيتُ
لأروي ثرى العزِّ من منبعي
ولا لن أهابَ من الحادثات
وكيفَ أهاب وربي معي؟!



جبل المكبر

جودت علي أبو بكر - سورية

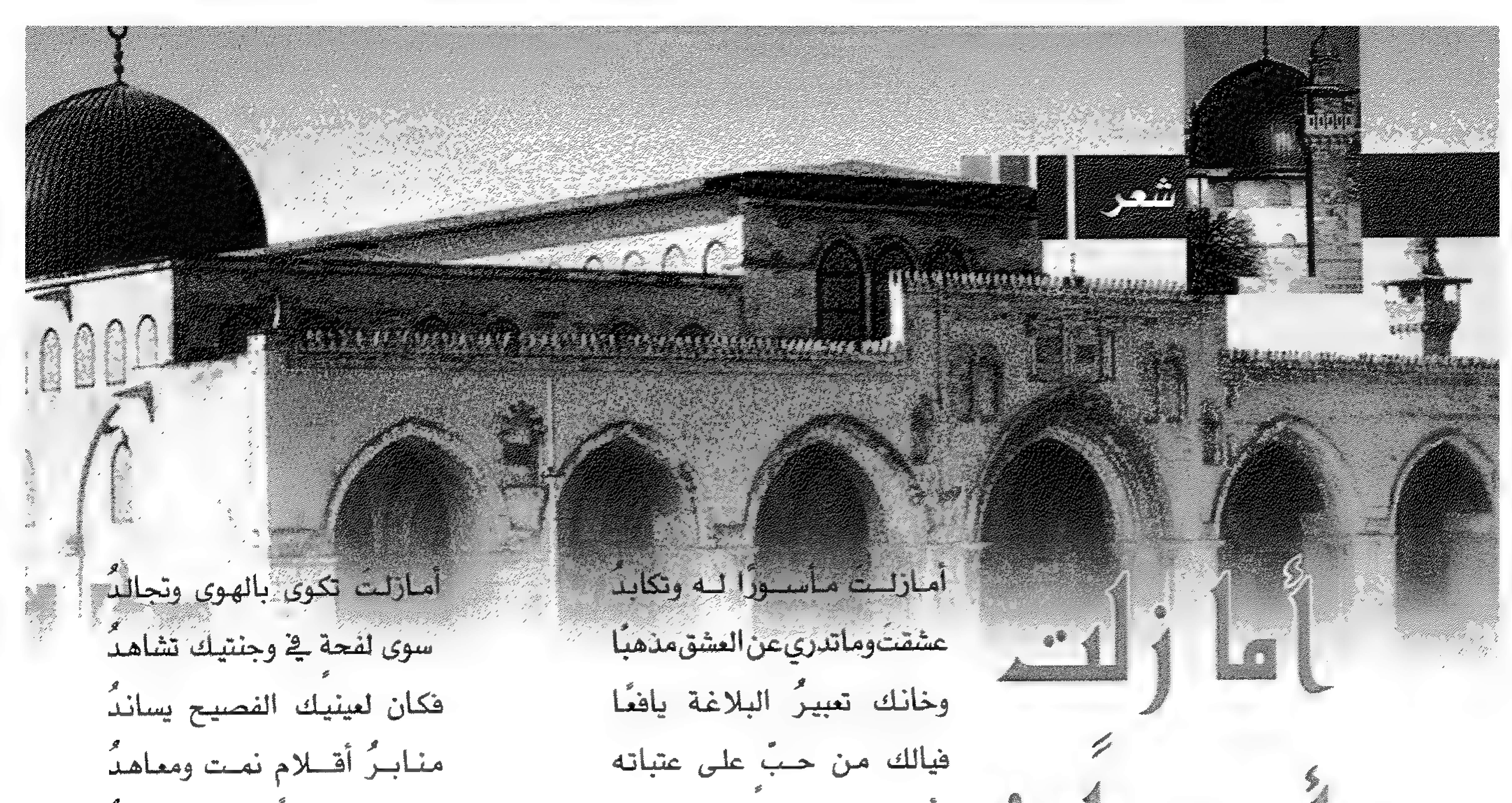
جبلُ المكبر كبرا
والمسلمون يهللون، يكبرون وفي الورى
نورُ العدالة قد سرى
والفتح حباً قد جرى
القدس كلُّ القدس إشراقٌ وفرسان
الهدى
نشروا على الآفاق راياتِ الندى
عادوا وعاد النور يفترش الدنا
وهنا مع الفاروق والفرسان والزحف
المقدس قد همى
وانساب في البيداء قطراً قد رمى
ليزيل ليلا مظلما
ويدكَّ حصناً مجرما
ويعود نصراً مسلما
يا راية النصر اسلمي
كوني الهدى والأنجما
جبل المكبر ههنا
فمتى يكبر ؟ والصدى

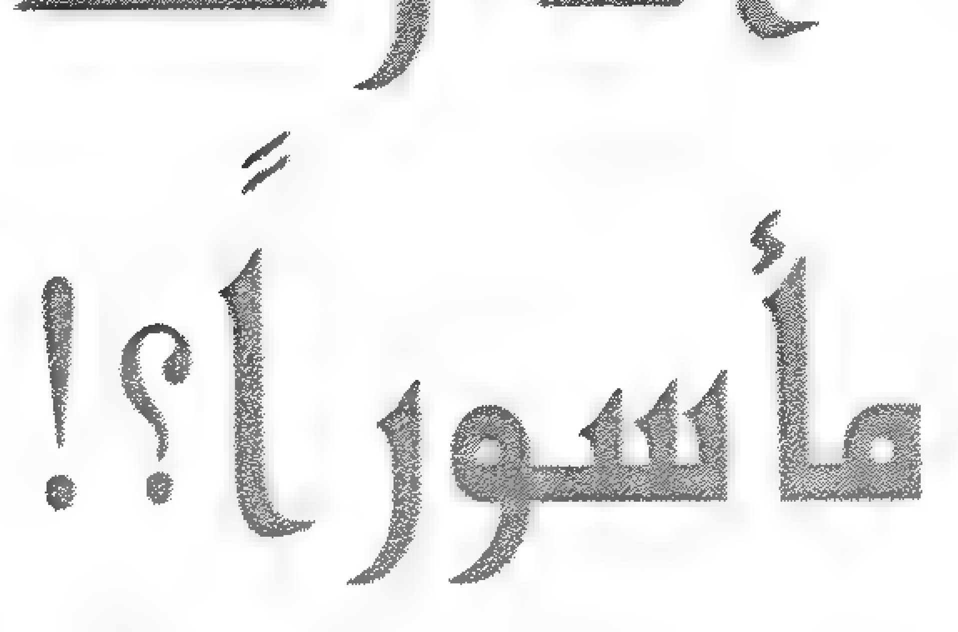
الله أكبر في دمي
الله أكبر في المدى
فمتى تعود كتيبتي ؟
ومتى جراحُ الأمة
ومتى شهيدُ عروبتي
جبل المكبر كبرا
ليعودَ طهري أطهرا
الله أكبر في الدم
وبكلِّ قلبِ مسلمِ
قولوا معي:
الكونُ صار مرددا
والقلب أمسى منشدا
الله أكبر في دمي
الله أكبر في المدى
جبل المكبر كبرا
والمسلمون يهللون ، يكبرون، وفي الورى
نور العدالة قد سرى
والفتح حباً قد جرى

الصبح موعدهم!...

شعر: د. عبد الجبار البودالي- المغرب

وقفت أسائل الأطلال حينا ... وأذكر وجهك الأسنى حزينا
وقفت على السنابل في دماها ... وأشلاء البلابل في جنينا
وقفت على ربا حطين، آه ! ... لأسأل عنك شمس الآفلينا
أنادي من وهاد الصمت فينا ... أناديكم - أنا الأقصى - دفينا
أنادي ليس يسمعني صلاح ... فأبكي راية المستضعفينا
أنادي الريح: هبي في ضفافي ... وصدي عنك موج الزاحفينا
صريف الموت أرهبني طويلا ... وعذبني وأتعبني سنينا
وشردت الجراح دمي قتيلا ... وطوفان الردى خرق السفينا
تحامتني العشيرة أفردتني ... ولست الأجرب القذر اللعينا
أنادي الريح: هبي لا تخافي ... وسيري في ظلال الفاتحينا
ورجي البحر واخترقي الفيافي ... وشقي الصخر وانطلقي معينا
أغيثي الورد يذوي في المنافي ... أعيدي للربا غردا سجينا
دعوت الصبح: هلل في سمائي ... ورتل سورة «الإسراء» فينا
غريبا، يا ابنة القمر، اعتراني ... جنون الليل .. حاصرني مهينا
رسول الله مسراك استباحت ... مآذنه بغاث الغاصبينا
وحل السامري قذى بعيني ... ودنس مهجتي وطوى اليقينا
وفرق بين أغصاني، فراحت ... تنازع نخوة وهوى مهينا
وفتت صخرتي.. أضحت شظايا ... تعالت أن تآخى أو تلينا
ألا يا سامري كفاك طعنا ... فكم خضبت بالموت الطعينا
وكم أعدمت أحلام الصبايا ... وهدمت الصبابة والحنينا
وكم راودت أزهار العذارى ... وكم دنست جوهرها الثمينا
وكم غازلت أشلاء الأقاحي ... ودست كرامة ونسفت دينا
وكم أشجيت من ثكلى، فناحت: ... أهنت معارج الإصباح فينا
ولولا دوحة المعراج ناجت ... رفيع القدر مقتدرا معينا
لغاب الفرقد الأسنى وغارت ... مصابيح الأسود القادمينا
رويدك سوف تشرق من أفول ... أليس الصبح أقرب أن يبينا؟!
ستبزغ نجمة الأقصى قريبا ... ويبتسم الجليل وطور سينا





أمازلت مأسوراً؟!



د . عبدالحق حمادي الهواس - سورية

أمازلتَ مأسورًا له وتكابدُ ... أمازلت تكوى بالهوى وتجالدُ

عشقتَ وماتدري عن العشق مذهبًا ... سوى لفحة في جنتيك تشاهدُ

وخانك تعبيرُ البلاغة يافعًا ... فكان لعينيك الفصيح يساندُ

فيالك من حبٍّ على عتباته ... منابرُ أقلام نمت ومعاهدُ

وألف حديثٍ عن صبابة شاعر ... وكم في الهوى العذريّ قيلت قصائدُ

أتدري لطغيان المحبة لذةً ... برغم الذي نلقى بها ونكابدُ

كفاني بأني في المعاناة سيّدٌ ... وأني بها بين العذابات سائدُ

وذا قدري عنوان قهرٍ ولوعة ... ولكنني بالصبر راضٍ وحامدُ

ويرتع غيري بين دَلٍّ وشهوةٍ ... وتركع دون الصبر مني الشدائدُ

فيا وطني افرش جناحيك هاهنا ... فنحن على رغم التشتت واحدُ

وفي قلبك الخفّاقِ ندنو ونلتقي ... حنانيك إمّا باعدتنا الأباعدُ

تعاتبني الأيام في ذكرياتها ... وأعلم أني في نعيمك جاحدُ

ونبضُك نبضي في مراكش رجعه ... وفي شاطئ البحرين خفقٌ يعاودُ

يوحدنا الجرحُ العميق بنزفه ... وتجمعنا آمالنا والمقاصدُ

وكان مصاب القلب عمق وجودنا ... فكيف إذا ضُمّ الذراع وساعدُ

أكنا احتملنا في فلسطين طعنةً ... فتأتي على بغداد منهم مكايدُ

فيا وجعي ناحت عليك حرائرٌ ... وصاحتْ على بغداد أمٌّ ووالدُ

ويا خجلي والعذر مجبنةٌ وكم ... بذلِّ حياة الجبن صيغت شواهدُ

ويا قدري لي فيك نائحة الجوى ... تردّد في عمق الأسى وتعاودُ

ويا وطني يا طودَ عزٍّ ووحدة ... عرينك بيتٌ للبريّة راشدُ

تمرُّ بك الأهوالُ حينًا وتنتهي ... وأنت على هوج الزعازع صامدُ

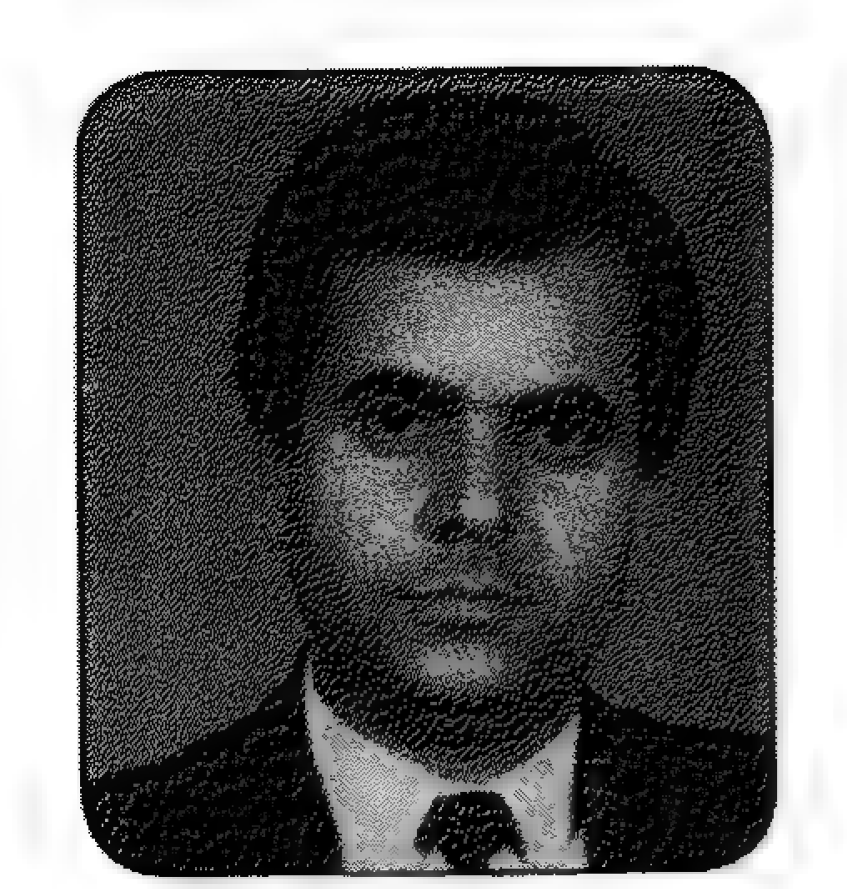
تصارع فيك المستحيل بحقدها ... وهل نال من نبع الأصالة حاقدُ

يصورها التاريخ مرّ مداده ... فيشرق وجهٌ للعروبة خالدُ

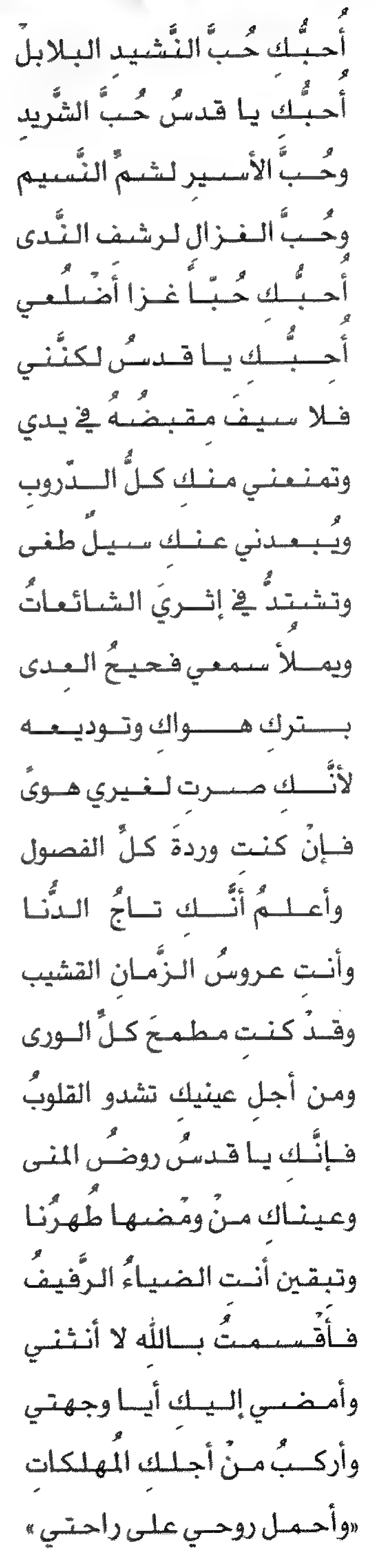
وتسقط فيك العاديات ذليلةً ... وتنهض فيك الباقيات الروافدُ

فمن رحم المأساة تولد أمةً ... ومن جرحها المفتوح يُولد قائدُ

أشواق قدسية



د. عبدالرزاق حسين - الأردن



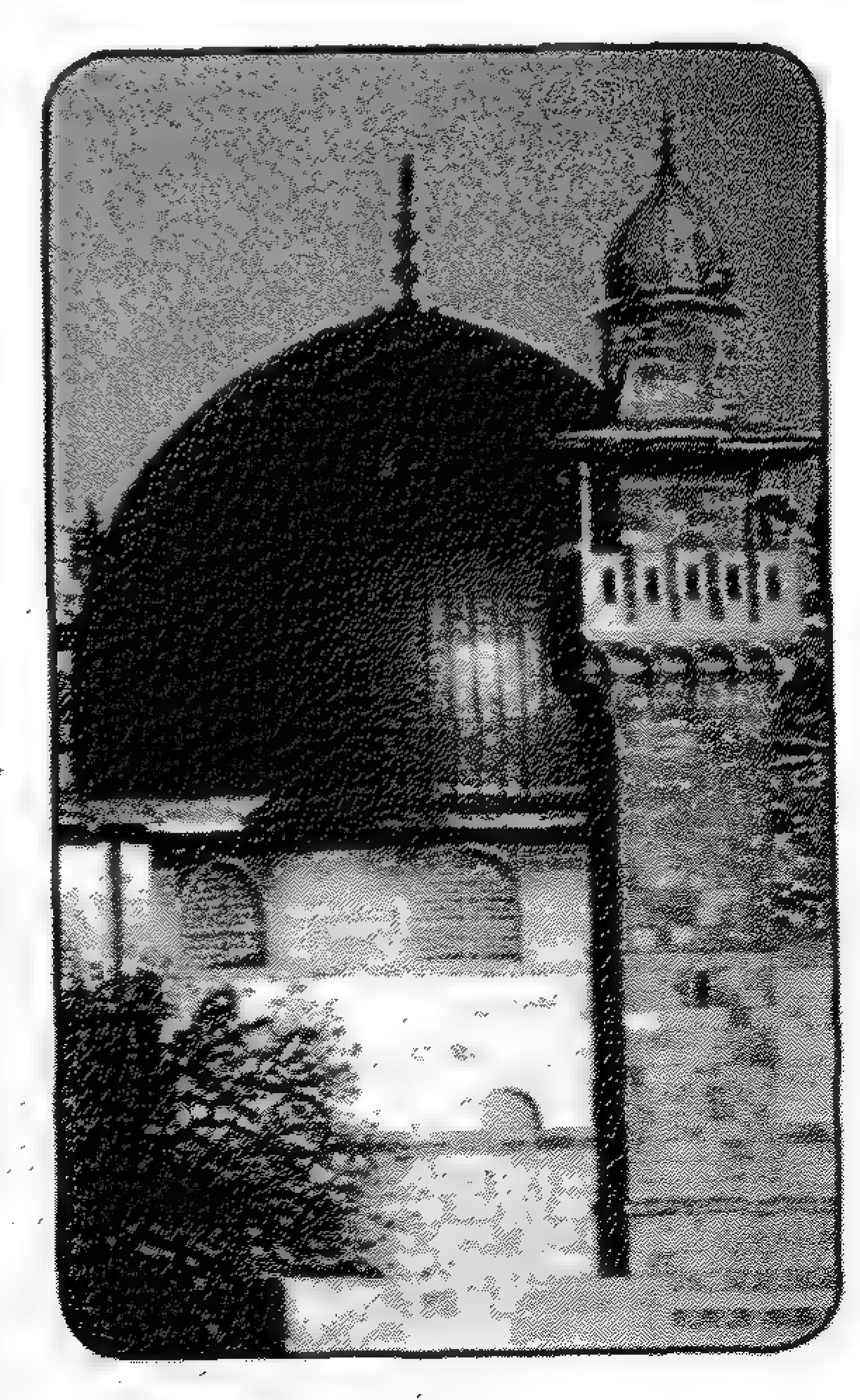
أُحبُّكِ حُبَّ النَّشيدِ البلابلَ ... وحُبَّ القِفارِ لماءِ الجداولْ
أُحبُّكِ يا قدسُ حُبَّ الشَّريدِ ... لأمنٍ وأهلٍ وحِضنٍ وعائلْ
وحُبَّ الأسيرِ لشمِّ النَّسيم ... ولثمِ الضياءِ وركضِ الأيائلْ
وحُبَّ الغزالِ لرشفِ النَّدى ... منَ الأقحوانِ وثغرِ السَّنابلْ
أُحبُّكِ حُبّاً غزا أضلُعي ... فصِرْتُ قتيلاً بتُهمةِ قاتلْ
أُحبُّكِ يا قدسُ لكنَّني ... فقيرٌ أعيشُ عديمَ الوسائلْ
فلا سيفَ مقبضُهُ في يدي ... ولا رُمحَ يُغني ولا قوسَ نابلْ
وتمنعني منكِ كلُّ الدّروب ... وترفضُ حمليَ كلُّ القوافلْ
ويُبعدني عنكِ سيلٌ طغى ... وبركانُ نارٍ ووهجُ القنابلْ
وتشتدُّ في إثريَ الشائعاتُ ... وتُرجِفُ في القولِ كلُّ القبائلْ
ويملأُ سمعي فحيحُ العدى ... ونُصحُ الوشاةِ وعذلُ العواذلْ
بتركِ هواكِ وتوديعهِ ... فلستُ من الحبِّ أحظى بطائلْ
لأنَّكِ صرتِ لغيري هوىً ... ومزَّقتِ رسمي وكلَّ الرَّسائلْ
فإنْ كنتِ وردةَ كلِّ الفصول ... وإنْ كنتِ عشقاً لكلِّ الفصائلْ
وأعلمُ أنَّكِ تاجُ الدُّنا ... ووجهُ الصَّباحِ وسحرُ الأصائلْ
وأنتِ عروسُ الزَّمانِ القشيب ... غرامُ الأواخرِ عشقُ الأوائلْ
وقدْ كنتِ مطمحَ كلِّ الورى ... وغايةَ كسرى وهمَّ الهراقلْ
ومن أجلِ عينيكِ تشدو القلوبُ ... بشدوِ الطيورِ غناءَ البلابلْ
فإنَّكِ يا قدسُ روضُ المنى ... وأنتِ جمالُ الرُّؤى والشمائلْ
وعيناكِ منْ ومضِها طُهرُنا ... وفي البحرِ منها تموجُ الفضائلْ
وتبقين أنتِ الضياءُ الرَّفيفُ ... وحبُّكِ يبقى الفروضَ النَّوافلْ
فأقسمتُ باللهِ لا أنثني ... أُناضلُ عنْ حبِّها بلْ أُقاتلْ
وأمضي إليكِ أيا وجهتي ... أسيرُ وأقطعُ كلَّ المراحلْ
وأركبُ منْ أجلكِ المُهلكاتِ ... شَموسَ الصواهلِ صعبَ الرَّواحلْ
«وأحملُ روحي على راحتي» ... لأغمسَ قلبي بطُهرِ المناهلْ



قبلة الأرواح



د. عمر خلوف - سورية



إلا إليكِ فلا اهتدى الإسراءُ … وقلوبُنا لهْفى؛ فكيف لقاءُ
يا قدسُ يا وَجْداً تجذّرَ في دمي … وامتدَّ فاكتحلتْ به الأعضاءُ
يا قبلةَ الأرواح .. تهفو نحوها … مُهجٌ يُهدهدُها الحنينُ ظماءُ
ألقى عليكِ اللهُ منه محبّةً … قدسيةً، فإذا القلوبُ رَجاءُ
يا مَنبعَ النور الذي اغتسلتْ به … كفُّ الصباح وشابتِ الظلْماءُ
تجثو الكواكبُ تحت عرشكِ ترتوي … من فيْضِ نوركِ؛ فالشموسُ وضاءُ

* * *

يا أنتِ؛ يا رحمَ النبوّة، بوركتْ … منكِ الربوعُ، وبوركَ الأبناءُ
يا سُرّةَ الإيمان حبْلُكِ موثقٌ … بعُرا السّما، يجري به الإيحاءُ
تبقين أنتِ على المدى أنشودةً … سَجعتْ برجْعِ لحونها الشعراءُ
وتظلُّ أروقةُ الهدى ثجّاجةً … بالحقّ، تخطر بالهدى الأرجاءُ
وعلى عيونكِ ألفُ ألفِ حكايةٍ … شمَختْ بمجدكِ نَسجُهنّ فداءُ

* * *

يا قدسُ يا لغةَ الجهاد تفجّرتْ … فيها الحروفُ، وبُعثرَ الإنشاءُ
لهفي عليكِ، وأنتِ منْهلُ عزّةٍ … ولَغتْ بمائكِ طُغمةٌ عسْراءُ
وغدا فؤادكِ في يدَيْ جلاده … وجعاً، تئنُّ دماؤهُ الشّماءُ
أنفاسُكِ الحرّى دعاءٌ صارخٌ … فُتحتْ له فوق السماء سَماءُ
ودموعُكِ الثكلى ربيعٌ طاهرٌ … نبتتْ عليه حجارةٌ صمّاءُ
دمُكِ الطّليلُ يمرُّ عبْرَ جراحنا … متوهّجاً .. وجراحُنا خرساءُ
قصُرتْ دروبُ الأرض عنكِ وكلّنا … شوقٌ يمورُ، وهمّةٌ قعساءُ
النارُ في أرضيكِ تأكلُ مهجتي … ودمي خيولُ ألجمتْ، ومضاءُ
ودمُ الجهاد على جبينكِ مورقٌ … ويدي أمامَ دعائه شلّاءُ
روحي تطوفُ على مشارفِ عزّةٍ … فيشدُّها من أمّتي استخذاءُ
كم هزّها داعي الجهاد فأحجمتْ … ضعَةً، ولفَّ جوابَها الإغضاءُ
حملتْ وأثقلها الجنى، فتمخّضتْ … فإذا المخاضُ صحيفةٌ جوفاءُ

* * *

يا أمّةً صبغَ الجهادُ طريقَها … فجهادُها لبقائها سيماءُ
يستلهمُ التاريخُ منكِ رُواءَهُ … فجبينُهُ رغمَ القذى وضّاءُ
يكفيكِ في زمن التشتّت غربةٌ … تعبتْ على أسوارها العلياءُ
عودي جبيناً لا يُطالُ، وهامةً … قد كلّلتْها عزّةٌ وإباءُ
ردّي إلى وجْهي بشاشةَ عزّةٍ … غارتْ منابعُها وجفَّ بهاءُ

* * *



سلام أهل غزة

محبوبة هارون - مصر

هواء الأرض ممزوج بنارِ تكاد تفور من ضرم الشرارِ
دماء الطفل ترويها بغيظ وحلم العيش يسرق من صغاري
فطفل الغرب في رغد ولهو وطفل العرب من نار لنارِ
ونار الحقد للأرواح سهم ووأد للجماد وللثمارِ
فأين حضارة وحقوق طفل وشعب كامل تحت الحصارِ
فغزة تستغيث ولا مغيث وهذا الكون ينبئ بانفجارِ
تصيح بوجه مغتصب كذوب تقول: العدل دربي، بل شعاري
فهذا الحقد سعَّره يهود على الأحلام يهوي كالضواري
فأين حضارة من يدعيها وأي جريمة، بل أي عارِ
سأبقى شوكة في حلق باغ أراد اليوم موتي واندثاري
سأبقى خنجرا للبغي دوما لقلب الغاصب المحتل داري
سلام أهل غزة أهل بدر وهل يجدي سلامي واعتذاري؟
فما اسطعت اللقا رغم اشتياقي هوان العرب يمعن في حصاري
فثوب العجز يورثنا هوانا وكأسا نحتسيه من المرارِ
وأنتم ثوب عز نشتهيه يمزق ثوب ذلي وانكساري
فحسبي أنكم لله جند وجند البغي منكم في فرارِ
دماء الطهر تروي الأرض صبرا ودرب الصبر درب الانتصارِ
وقفت عليكمُ بالحبِّ شعري غزلتم بالدما ثوب افتخاري



وإن زحفوا فللدنيا هدير

محمود مفلح - فلسطين

إذا كانت قدور الناس تصفو ... فـإن قدورنا أبداً تفـورُ
و إن كانت همومهم رماداً ... فـإن هموم أصغرنا سعيرُ
نغني والنوافذ مشرعات ... على دمنا و ترمقنا القبورُ
فلا الأطفال في بلدي صغار ... و لا وجه الطفولة مستديرُ
ولا فصل الشتاء به شتاءٌ ... ولا زهرُ الربيع به نضيرُ!!

* * *

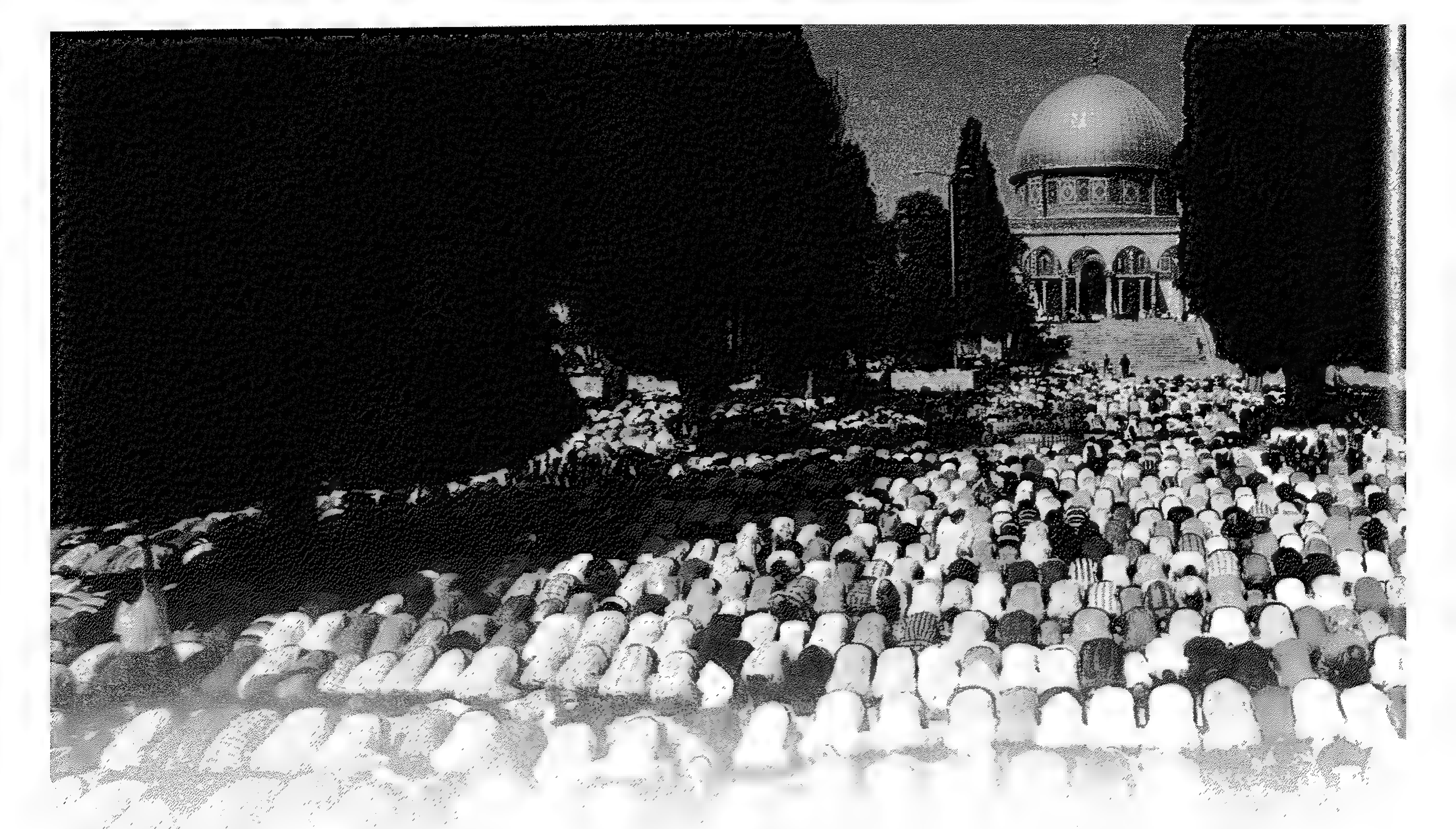
لقد كبر الصغار على الأماني ... وأنضج خبزهم همٌّ كبيرُ
وصار لكل ملحمة إمام ... وصار لكل قافية «جريرُ»
وللزيتون في دمهم حُداء ... وللأقصى حداؤهم الأخيرُ
قناديل تسافر في دجانا ... وتصعد حين يُقلقنا المصيرُ
جبال النار تعرفهم وسفح ... به راحت دوائرهم تدورُ
ومن قبل الصلاة لهم صلاة ... ومن بعد الطهور لهم طهورُ
أقول لجوقة الأقمار: غيبي ... فملء سمائنا قمر منيرُ
يعز على القوافل أن ترانا ... لنا قدم تهُمُّ ولا تسيرُ!!

* * *

أيخدعنا بمنطقه غبي ... ويرشدنا لغايتنا ضريرُ!
ويكبتنا الطغاة كما أرادوا ... لهم طيٌّ وليس لنا نشورُ!!
كأنا في مهب الريح ريش ... وفي غمراتها نحن القشورُ
نحدق بالشموس فلا ترانا ... ويحفزنا الجناح فلا نطيرُ
ونأكل خبزنا من غير ملح ... ونمشي والوراء لنا أميرُ!!
كأن القدس ليس لها رجال ... و شعب القدس ليس له جذورُ
و لاكتبت ملاحمنا مواضٍ ... و لا عشقت شواهقنا نسورُ

* * *

و أعجب كيف بعض القوم يُبْغى ... عليه فلا يغار و لا يغيرُ
و تهتز البلاد ومن عليها ... وفي الحانات تهتز الخصورُ



وأعجب كيف أبصرهم سكارى   ولا قدح هناك ولا خمورُ!!

ومنا من يرى في الخيش خزاً   ومنا من يضايقه الحريرُ

* * *

يتاجر من يتاجر في أسانا   و ينهش لحمنا كلب عقورُ

إلى أعناقنا مدت نصال   و أحقر ما بها نصل أجيرُ

وما زالت تؤرقنا ربوع   وترحل خلف أضلعنا طيورُ

* * *

أننسى في دروب القدس «ليلى»   وليلى تستغيث وتستجيرُ؟

وبعض السامعين له خوار   وبعض النائمين له شخيرُ

و قبلنا الأكف لقاء سلم   صغير ساقه بطل صغيرُ

وضيعنا الأمانة والأماني   فلا زحف هناك ولا عبورُ

* * *

رجالاً أصبح الأطفال فينا   و في أرض الرباط لهم زئيرُ

فلا تعجب و ليس لهم رصاص   إذا وقعت على الموت الصدورُ

إذا هتفوا فللرايات خفق   وإن زحفوا فللدنيا هديرُ

نعم ثاروا وعدتهم حجار   و نحن -القاعدين- متى نثورُ؟

نعم ثاروا وكلهم جياع   ونحن -المتخمين- متى نثورُ؟

كتاب الله أطلقهم فطاروا   إلى زمن به عين وحورُ

دماؤهمُ على الساحات مسك   ويمضي للعبير بك العبيرُ!

فتبت القدس ليس له نظير   و حاشا أن يكون له نظيرُ

بماء الذكر يسقى كل يوم   وفي أحشائها تنمو البذورُ

رسالة إلى القدس



محمد عبد الرازق أبو مصطفى - فلسطين

يا قدس دقت في دمي الأهدابُ ... أوتادها واشتدت الأطنابُ
والشوق خيم في فؤادي أدمعا ... تجتاحني مهما دنا الأحبابُ
فدموع عينيك لظى في مهجتي ... ما دام فوق ترابك الأغرابُ
وأنينك الصوت المدوي في المدى ... عبر الليالي والصدى جوّابُ
والصب يبحر في تراتيم الدجا ... مثل السفين يلفهن عبابُ
كل النوارس في شواطئ رحلتي ... ترسو، وروحي ما لها أسبابُ
روحي تطير إليك يا قدس الهوى ... مهما تعالت حولها الأبوابُ
وتفر من ثكناتها رغم الأسى ... لتطوف حولك والجهات يبابُ
وإذا تهمُّ بعودة فرجوعها ... أمر عصيب شأنك كذابُ
روحي تطلق هيكلي - بثلاثة - ... في كل ثانية، ولا ترتابُ
ما الروح إلا أنت يا قدس المنى ... ولأنت روحي والحياة سرابُ
ما تنفع روحي لو تكون بعيدة ... عن فيض روحك، فالفراق عذابُ
كفراشة الضوء التي تهفو إلى ... لهب ليخطفها لظى وشهابُ
فالحب فيك مخاطر سحرية ... فيها تذلل للغرام صعابُ
والحب فيك عوالم قدسية ... فيها تفتح للسما أبوابُ
والحب فيك تبتل وعقيدة ... وشهادة يسعى لها الخطابُ
والحب فيك مواقف لا تنثني ... وبطولة الآساد وهي غضابُ
والحب فيك صبابة ورواية ... لا تنتهي ، وقصيدة تنسابُ
تعلو بها راياتنا وهج الضحى ... وتضيق في زحف الرجال رحابُ
ويرد ضوء الشمس وقع جحافل ... كالطير سابحة لها أسرابُ
من كل فج كالحجيج تقاطرت ... والمسجد الأقصى لها ترحابُ
ودموع فرحتك بعودة جنده ... غيث تزاحم فوقهن سحابُ
فلتستعدي للمواكب فرحة ... وليستعدَّ لنصرها المحرابُ
فكتائب الإيمان حتما زحفها ... سيعود في وعد له أنسابُ
حتى [illegible] للمعبود حصونهم ... وتموتَ في أوكارها الأحزابُ

صبحي بغزة

شاكر سعيد عبدالله العرفي - اليمن

وَجْهي يُفَتِّتهُ الـوجُـومُ و يُقهرُ ... وأبــي يُشَـلُّ وشـوقُ أمـي يُقبرُ
وأخـي تُكَفِّنهُ الصـواريـخُ التي ... تهوي بأشرعةِ الحيـاةِ و تعصرُ
وأنـا بسجن مقابـر الأحيـاء ... مصلوبٌ بقهقهةِ الخيانةِ أعْقرُ
أبكي فتركلني العروشُ وتدعي ... أني أنـا الإرهـابُ والمستعمرُ
وأنـا الـذي أشقى بهندسة المنى ... وعيـونُ حُلمي في المعالي تُمهرُ
وأنـا الـذي رفض التماهي في دجا ... موتي ومـن غول الخنا أتحررُ
وأنـا الـذي يسعى لقلع أظافر ... الحسرات من روحي التي تتفجرُ
ذئبي شحوب اللون ، رفض تمزق ... الأعضاء من جسدي الذي يتعفرُ
سملوا عيون الشمس كي تعمى الرؤى ... عن سـوأة الجاني التي لا تُستَرُ
فأنـا شريحةُ عمر فجر البوحِ ... كنهُ مشاعرِ الوطن الذي يتعثرُ
أرفـو تلافيف الزمـانِ لتنمحي ... الأحـزانُ مـن عينيه ، إذ تتضورُ
صبحي (بغـزة) لم يـزل غمضاً ... وسرب دجا المواجع في أساها يبحرُ
ورمـال (روحـي) سُمِّرتْ أعصابها ... ويـراءة تُشـوى وحلـمٌ يقبرُ
وأنـا أدورُ كما يـدورُ الصَّمْتُ في ... أوطـاننـا وشعوره متحجرُ
فالمبكيات تنام بين ضلوع ... آلاف القصيد فكيف بحري يزهرُ
سوقي كساد فالعروبةُ كُمِّمَتْ ... بيد الخنا وسيوفها لا تُمطرُ
ريحي رماد (والحبيبة) ريحها ... مسكٌ تـروِّجـهُ الدما وتُعنبرُ
يا أنتِ زمهرني التوقف ها هنا ... أنـا مقبلٌ وطريقُ خطوي مدبرُ
وأنـا على نفسي أدور مفتشاً ... عني وعـن جرحي متى أتحررُ
عيناي تنزف جمر حربٍ.. والمدى ... يغفو وأوطـان الكرى تتقهقرُ
والناس يقتات الأسى أشواقهم ... ويتيه في نبضاتهم مُتكبرُ
وضمائرٌ رحلتْ مغربةَ الخطا ... وبمين (أبرهةَ) الخبيثة تنظرُ
مُضغَتْ حُروفُ عروبتي بلسانها ... والمكرُ سوسٌ في عظامي ينخرُ
يعلو اللهيبُ على اللهيب فما عسى ... مهجٌ تنوح وأحرفٌ تستعيرُ
أنا ... تغلي بـأوردة الأسى ... الموار في صبحي الذي لا ينجلي
صبحي ... الحوافر ... العيانة في عيناي تقطرُ

في القدس لا تشرق الشمس

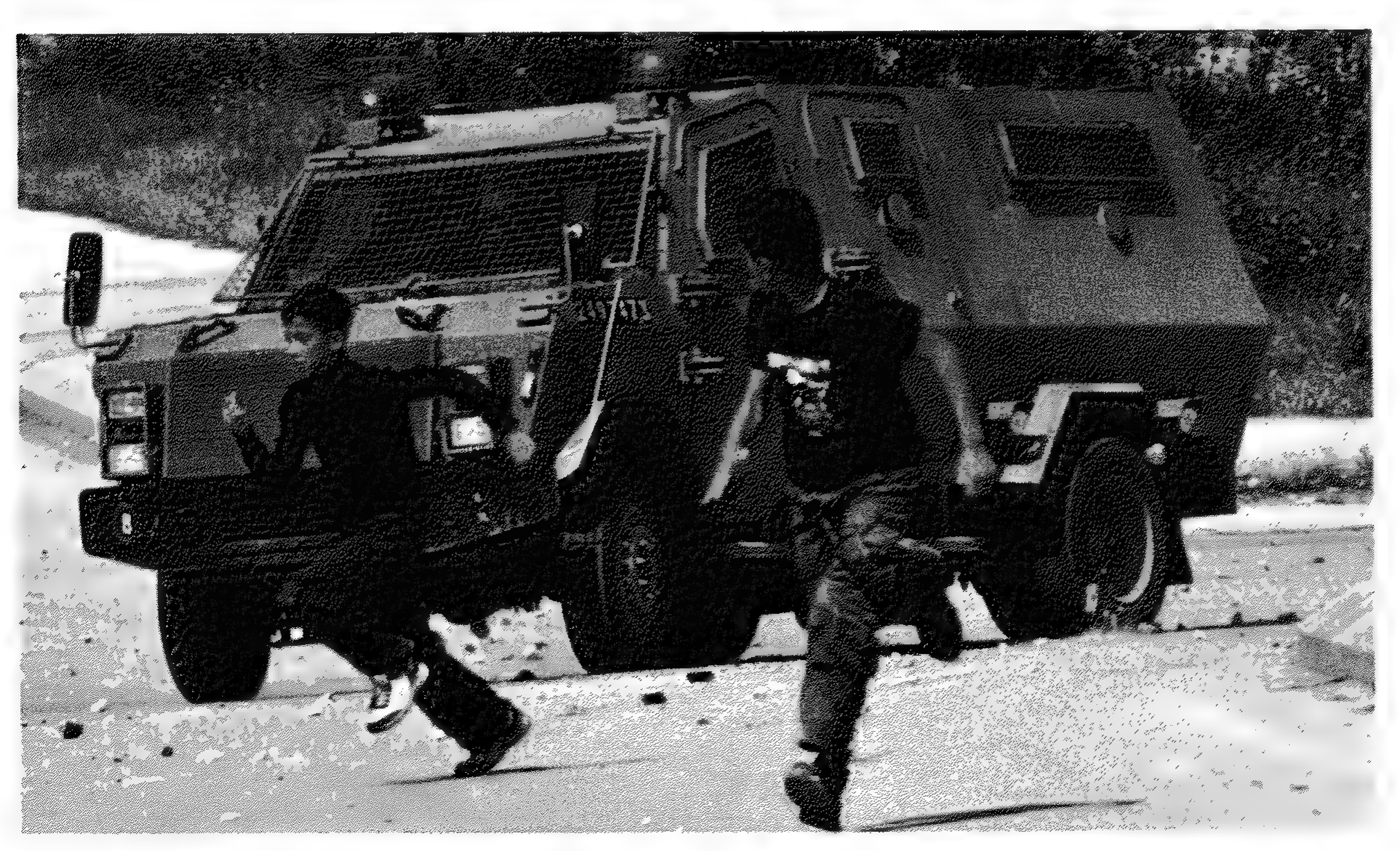
د. سناء الشعلان - الأردن

كم تمنّى أن يغرق عينيه في وهجها الأسطوري!! وكان يتمنّى أن يتفرّس في قسماتها السماوية، وأن يستلقي أرضاً على ظهره، وينبطح قبالتها تماماً، ويسلم نفسه إلى دفئها، فتشتمله الشمس كما تشمل باقي البشر دون الخوف من رصاصة غادرة أو هراوة ظالمة، ودون حصار أو حظر تجوّل، أو عيون غرباء... أكثير على المرء أن يتمنّى الاستلقاء قُبالة عين الشمس بسلام وهناء دون خوف؟!!.

كان يبحث عنها في السماء، ويتمنّى لو أنّ شعاعها يداعب هدبيه الصغيرين، ولو أنّ أديمها السرمدي يسكن باحتراق في عميق عينيه، ويرسو في بحيرتيهما إجلالاً لطفولته المسروقة، وأمنياته المؤجّلة.

في الأرض، وبالتحديد حوله في مدينة القدس يسكن العدو والحصار والموت الأسود والظلّ، أمّا في السماء فكان البحث عن أمنية ضائعة تسمّى الشمس، أجال نظرةً عجلى في المكان، ومن جديد عاد يبحث عن الشمس بحثاً طويلاً دون فائدة، فقد تلاشتْ منذ زمن مخلّفة الظل الأسود حيث يرتع العدو الذي يسحقهم، تمتم بخيبة توازي آلام طفولته المعلقة على باب القرن العشرين، وعلى مرأى من الإنسانية، وقال في نفسه: "في القدس لا تُشرق الشمس".

صوت اللهاث تطارده الأحذية الجلدية ودوي الرصاصات ينزعانه من دنياه الشمسية، ويعيدانه إلى أرض القدس، كان الجنود يطاردون بعض صبية حيّه،



عرفهم جميعاً، كانوا نوارس صغيرة تطاردها الوحوش، أخذ يهتف معهم: "الله أكبر... خيبر... خيبر يا يهود، جيش محمد سوف يعود"، وأخذ يرشقهم ببعض الحجارة، وولّى مع الصبية نحو البعيد، اختبأ في أحد الأزقة مع صديق له من الصف الخامس اسمه أحمد، هو يكبره بعام، لكنّه يعرفه جيداً، كان يصلي معه الفجر في المسجد الأقصى بحضرة المعلم رفيق، ولكن كان ذلك في الماضي، قبل أن يرحل معلمهم الطيب دون عودة، وقبل أن يعلو جدار الفصل، فيغلق الدروب دون المسجد.

الحائط اللعين يتمطّى بظله، فيغرق القدس في الظلام، ويحجب ضوء الشمس، ويرسل المدينة شطرين حزينين، فقد كان جداراً مرتفعاً لا يعرف الرحمة، تمتصّ جنباته الإسمنتية الصرخات والاشتياق، وتبتلعها إلى الأبد...

كان محيي الدين الباحث عن الشمس الأسطورية أقصر بقليل مما هو عليه الآن عندما بدأ العدو ببناء هذا الجدار العاتي، وسريعاً ما أصبح محيي الدين أطول بقليل مما كان عليه، ولكن الجدار كان أسرع منه نمواً، وأشد منه فتكاً. فغدا كغارب يشقّ السماء، فمنذ أن ربض هذا الوحش الإسمنتي في قلب المدينة حجب الشمس، وأغرق المدينة في الظلام، ومن يومها بات هاجس محيي الدين أن يجد الشمس المنتظرة التي رحلت بانكسار بسبب الجدار.

كان يريد أن يجدها إكراماً لآلاف الصور والأفكار الممتدّة بتمط في ذاكرته الصغيرة، المسيجة ببراءتها وبلون الدم، أراد بالتحديد أن يجدها إكراماً لذكرى معلمه رفيق الذي علّمه الصلاة وهو ما يزال في الصف الأول، يومها قال له ولزملائه في الصّف ودفء الإيمان يعلو قسماته السمراء: "يا أبنائي!الشمس عادلة تغمر الجميع بنورها، ولا يحجبها ظلم".

ثم غابت الشمس، وغاب معها المعلم رفيق الذي يسكن القرآن صوته، وعاد بعد أيام مدّثراً بكفن أبيض، أمّه والجارات استقبلنه بالزغاريد، وقالوا: "جاء العريس". يومها شقّ جموع المشيعين، وحدّق في جسد معلمه المسجّى بطمأنينة، تفرّس في لحيته الرقيقة، وأراد أن يسأله عن الشمس الغائبة عن القدس، ولكن... الشمس لا تشرق بالقدس.

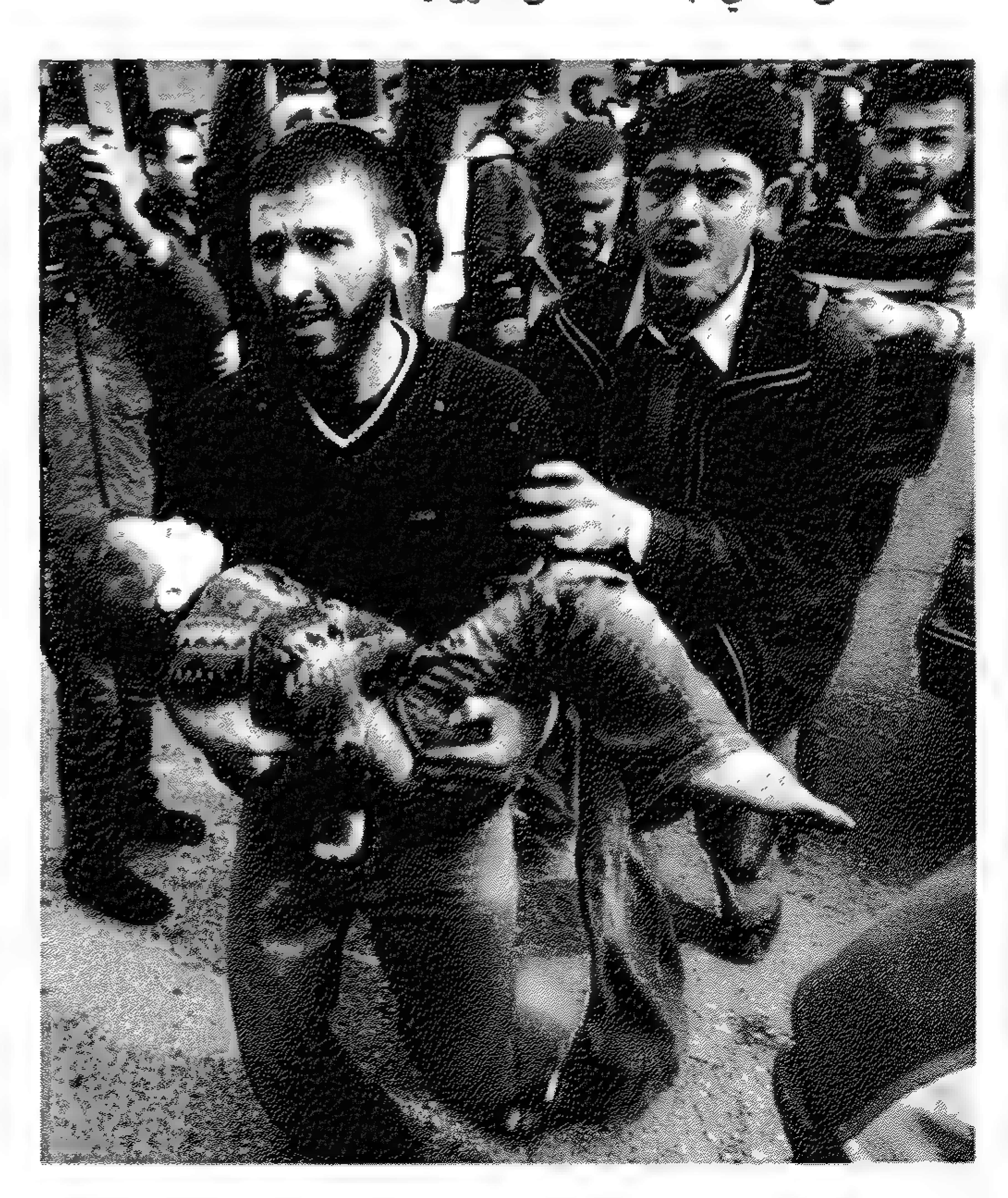
كان الجري والهروب من زاوية إلى أخرى من العدو الصهيوني مضنياً في مطاردة تبدو أسطورية، وبلانهاية أمام جنود لا يعرفون الرحمة، كان يلتقط أنفاسه بصعوبة. وفي الزقاق كان الرفاق يتناوبون على الجهاد، وعلى رشق العدو بالحجارة تارة، كما يتناوبون على الشهادة تارة أخرى. في كلّ مكان بحث عن الشمس وهو يركض، كانت سنواته العشر اليتيمة تركض معه، وياللعجب!! رأى شمساً منيرة تمتدّ لتكتسح البريق الآثم لآليات وسلاح العدو الذي يُشهر في وجوه الأطفال والنساء والشيوخ العزل، رأى بريقاً يمتدّ ليضيء المقدسات، ليمحو الجدار، وليضع حداً لانتظار الأمهات الفلسطينيات إشفاقاً على آهاتهنّ، رأى شمساً تمتدّ، تشعل ناراً تطهّر المكان ولا تبيده، كان في ركضه وهروبه، ثم في إقدامه وإصلاء العدو بحجارته كأنّما يفي بنذر مقدس مفاده زيارة أرجاء المدينة الغارقة في حزنها وفي قدسيتها.

في نظرة أحد الجنود الصهاينة رأى اشتهاءً قوياً لدمه، عيناه الزرقاوان الخرزيتان كانتا تلتهمانه بلا رحمة، رآه يقترب منه ومن الأصدقاء، كان جسداً صغيراً أعزل أمام دبابة مدرّعة، أطلق قدميه للريح المسمّمة بالغاز المسيل للدموع، ودلف سريعاً إلى الحارة القديمة، كانت روح الإسلام وعمر بن الخطاب وصلاح الدين والوليد بن عبد الملك وسليمان القانوني تسكنها، وذكرى الأصالة تفترعها، ولكن الشوارع المسمّاة بالعبرية والوجوه الغريبة التي كانت تطالعه من واجهات المحلات ذكّرته بلا رحمة ذلك الاحتلال الذي تفشّى حتى في أسماء الشوارع، واغتصب المحلات القديمة التي تنتشر على طول السوق القديم المرصوف بالحجارة القديمة.

واجهات محلات التحف الشرقية القديمة سرقت

نظره للحظات، الكثير من التحف الخشبية كانت مصنوعة من جذوع أشجار الزيتون، تذكّر عمّه رزق الذي قطع العدو قدميه من كثرة تعذيبه في المعتقل، فأمضى حياته يصنع الأقدام الخشبية من أشجار الزيتون، وأقسم على أنّه سيستخدمها ليذهب سيراً للصلاة في المسجد الأقصى بعد تحريره، ولكنه مات قبل أن يبرّ بقسمه الدامي.

في البعيد القديم لاح بيته الغارق في ذاكرته، بيته الذي داهمه المستوطنون الإسرائيليون، وسكنوا الطابق العلوي منه، كم آلمه أنّهم احتلوا غرفته وغرفة أخيه نور الدين، ولكنّه حقد عليهم عندما ألقوا بتلك المادة الكاوية على فناء بيتهم، فأحرقتْ رقبة ابنة أخته الصغيرة، وأهدتها بالإجبار تشويها يطوّق وجهها الجميل، ولا يفارقه أبداً، يومها تمنّى من كلّ قلبه أن تصلي الشمس وجوههم بالنار، لعلّها تطهّرهم من آثامهم، وتشفي قلبه المكلوم، وإن كانت لن تشفي ابنة أخته من حروقها.



الحارة القديمة التي ابتلع المستوطنون اليهود الكثير منها باتت هي الأخرى بلا شمس، ركض محيي الدين خارجاً منها، كان مشوقاً إلى الشمس، وكانت الأرض تتباعد بين قدميه، البيت بدا بعيداً، والشمس أبعد، أمّا الجدار الفاصل فكان في قبالته، توقّف للحظات أمامه، كان العدو يقترب منه، ثُلّة من الأصدقاء كانوا في الجوار يساندونه بحجارتهم الصغيرة، تثاءبتْ سنواته العشر، وتاقتْ بشوق الطفولة إلى النّور، مآذن الأقصى تدعوه بأذانها العذب إلى الاقتراب، وبدا له أنّ الجدار الفاصل أحقر من أن يوقفه، وبات العدو بكلّ جبروته وآلاته وموته أضعف من أن يسحق رغبة طفولته بالاقتراب من الجدار.

خطا خطوة... اثنتين... ثلاثا... أربعا.... وركل بقدمه الصغيرة جزءاً من الحاجز الحديدي القائم على إحدى بوابات الجدار، وكاد يخطو خطوة خامسة نحو الباب، لكن الرصاصات سارعتْ إليه من كلّ صوب، تماسك، وحاول بجسده المثقل بالجروح والرصاصات أن يكمل خطوته، لكن المزيد من الرصاصات الآثمة سارعتْ إلى جسده، بسرعة شعاع الشمس جالتْ روحه في أرجاء القدس، ورفرفتْ بسعادة في جنبات القبة والمسجد الأقصى، ورآها تحوم بسعادة في كنيسة القيامة والقلعة وجبل الزيتون وطريق الآلام وجبل صهيون والنبي داود والصلاحية والمتحف وبئر الأرواح.

ومن ثم عادتْ روحه لتقبّل جسده قبلة الوداع، قَدَمٌ إسرائيلية ركلتْ وجهه المسجّى على الأرض، فكسرتْ فكه، لكنّه لم يبال، الكثير من دمه تنزّى في لحظات، رأى يدي معلمه رفيق تمتدّان إليه لتقوداه إلى طريق النّور، الشمس تسطع في دنيا رفيق... أخيراً آن له أن يتمطّى قبالة عين الشمس، سمع دبيب زغاريد أمّه يتمطّى في البعيد، أغمض عينيه، وبصعوبة فتحهما من جديد، في السماء لم تكن هناك شمس، كان يعلم أنّها مسجونة خلف الجدار العازل... والجدار لن يمنع الشمس التي لم تُشرق بعد في القدس... وأسلم عينيه للنور.... وغاب ■



لقد كبرت

— أحمد صوان - سورية —

كل الأطفال يحبون المسجد الأقصى، ويحبون أن يزوروه ويصلّوا فيه، ولكن لماذا لا يأتون إلى زيارته؟! لماذا يقفون بعيدين عنه وهم يحبونه؟

أنا طفل، بلدي بعيد عن القدس، لا أستطيع الوصول إليه، ولكن الأطفال القريبين منه ماذا يمنعهم؟!

سمع أبو سامي ولده سامي يتكلم بصوت مسموع وهو يفكر بهذا الموضوع، وينظر إلى صورة للمسجد الأقصى، فقال له:

- بم تفكر؟

سامي: أبي.. المسجد الأقصى حزين؛ لأن الأطفال لا يصلّون فيه، ألا يحبونه؟

الأب: لا يا ولدي، الأطفال كلهم يحبونه، ويحبون أن يصلّوا فيه ويزوروه، كيف لا يحبونه، وقد كان القبلة الأولى، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشدّ إليها الرّحال؟! ولكن..

سامي: ولكن ماذا يا أبي؟

الأب: تعال يا ولدي لأريك.. انظر هذا الفِلْم عن القدس.. وسوف تعرف.

بدأ الفلم وظهرت صورة القدس على الشاشة، فبادر سامي قائلاً:

- هذه القدس يا أبي، ما أجملها!

الأب: حقًّا ما أجملها! ولكن انتظر حتى نرى ما حول المسجد.

تغيّر المشهد: الجنود الصهاينة يحملون السلاح ويطلقون النار بوحشية على الناس والأطفال، وسيارات الإسعاف تحمل الجرحى كبارًا وصغارًا.. لاحظ الأب تأثُّر سامي بهذه المشاهد، فقال:

- أرأيت يا ولدي؟ هؤلاء الأعداء الصهاينة هم الذين يمنعون الناس من الوصول إلى المسجد.

سامي: لماذا يا والدي؟

الأب: هؤلاء سرقوا أرضنا، والآن نريد أن نسترجعها.

سامي: وماذا يفعل هؤلاء الأطفال والشباب؟

الأب: يرمون الحجارة، سلاحهم الوحيد الآن. لا يعرفون تعبًا ولا مللاً.

سامي: ألا يخافون يا أبي؟

الأب: يخافون؟! هذه الكلمة لا يعرفونها، انظر إلى وجوههم. لم يستطع الخوف الوصول إليها. وكيف يخاف صاحب الحق يا بني؟ السارق والمعتدي هو الذي يخاف، حتّى إنْ تظاهر بالجرأة والشجاعة.

سامي: وماذا تفعل هذه الحجارة أمام تلك الأسلحة؟!

الأب: تزلزل أعداءنا ياولدي، الحجر سلاح يخيف الصهاينة، ولن ينتصروا بسلاحهم و لو كان حديثًا؛ لأن من يحمل السلاح عدو مغتصب جبان... أمّا الحجارة فخلفها بطل حقيقيّ ولو كان صغيرًا.

هذا الحجر يا ولدي يخيف الأعداء.. وإن شاء الله سيدمرهم. ولكن علينا أن نساعدهم بالمال، ونحاول أن نقاتل معهم، وأن ندعو لهم، وبإذن الله سننتصر على الصّهاينة قريبًا، ونزور المسجد الأقصى من جديد، وسنكون سعداء به، وسيكون سعيدًا بنا أيضًا.

ظهر الحزن والأسى على محيّا سامي، فذهب إلى غرفته وأحضر كلّ ما ادّخره في حصّالته ثمّ أخرج منها ثمن قلم ودفتر، وقدّم الحصالة إلى أبيه قائلاً:

- أبي، هذه لأطفال فلسطين!

ضمّ الأب ابنه باعتزاز وقال:

- أحسنت يا ولدي؛ لأنك تشارك أهلنا أحزانهم، وإن شاء الله قريباً تشرق شمس النصر وتشاركهم أفراحهم..

سامي: يا أبي.. وإنّ منعوني من زيارة الأقصى فلن أستسلم، فهو في قلبي، ولن يُخرجه أحد من قلبي، وسأستعد لهؤلاء الدخلاء.

تبادل الأب وابنه ابتسامة متفائلة، ورفعا علامة النصر، وقال الأب بسعادة:

- لقد كبرت يا ولدي، لقد كبرت يا سامي.■



القدس بوابة الجنة

د. أمين سليمان السّتيتي - الأردن

هذا شتاء أكثر أمطارًا منذ عرفت الدنيا، لكنه دافئ. بادر الخضر أصحابه الذين تجمعوا ينتظرونه على الصخرة الكبيرة التي تتوسط بيوت الحي، وتكسوها زرافات الشباب. كأنهم نبتوا من عروقها، يتشبثون بها، وتتشبث بهم، وتمد شعاب جذورها إلى أقطاب الجبل، كأنها تأبى الحراك، وترفض أن تُقتلع.

عشق يتبادلونه مع صخرتهم التي احتضنت أفراحهم، فعليها أعلنوا ميلادهم، واستقبلوا أنباء الشهادة، والبيانات التي حملت صور الشهداء، ونصبوا فوقها لوحتهم المتنامية. لله درهم! أشار أبو أسامة، وقال: كان أول الشهداء باسل، ثم لحق به العامر، ثم...... لم ينس أحدًا منهم، وكيف ينساهم وقد عاش معهم أيامه بظلها وشمسها، وكانوا له مشاعل تضيء الحياة.

ناداه محمد، وأشار إلى ملف الصور التي لم تعلق بعد، وسأله: أتعرف أية صورة ستأخذ مكانها على اللوحة أولا؟ تسمرت عيون الشباب في وجهه، وكأنهم ينتظرون أمرًا جللا. لكنه كعادته لم يذكر أحدًا، ولم يُشر إلى أحد، بل انتقلت عيونه من وجه لوجه، كأنه يُقبلهم بين العيون، وتنهال من عيونه أمواج المحبة الدافئة، المتلفعة بأنين المقاومة، وجروح الظلم الكافر، فهو البلوى التي يستخلص الله - سبحانه وتعالى - بها الشهداء!

ألقى جسمه المتلفع بدثاره الصوفي الأسود، وأطلقها زفرة ساخنة وتمتم بعدها: ما أجمل الدفء! تعالت الضحكات، وسمعهم يتساءلون: وكيف لك أن تشعر بالبرد وأنت تحمل لحافًا يزن عشر كيلات من الصوف؟ هنيئًا لك الدفء يا عم، وبادلهم الضحك وتشعب معهم بأحاديثهم التي لم تغادر أخبار الشباب في أنحاء المخيم، منذ بدأ الحصار.

مجدي استشهد في ساحة المخيم بصاروخ من طائرة الأباتشي الأمريكية الصنع. وخالد برصاص القناص الحبشي الأسود، يقولون عنهم من يهود الفلاشا. يكذبون يا رجل. ألم تسمع أبا النصر يقول: إنه رآهم يصلون في مصنع الحديد الذي كان يعمل به في حيفا؟ وحين سألهم: ألستم يهودًا؟ قالوا: لا يا عم أي يهود؟ نحن هربنا من الجوع في إثيوبيا، وهم هنا أطلقوا علينا أسماء يهودية! قاتل الله الجهل والفقر. كيف أوصلهم إلى أن سخروا أبناءنا لقتلنا!

يا رجل هؤلاء يكذبون في كل لحظة، وكل حركة، وكل كلمة! يأتون بالقوقازي، ويقولون: هؤلاء يهود الخزر، ويأتون بالأوروبي الشرقي والغربي ويقولون: هؤلاء الأشكناز! ويأتون بالشرقيين ويقولون: هؤلاء السفرديم! ألا ترى أنهم خليط عجيب من شذّاذ الآفــاق؟ ويتـدرعـون بالفكر الصهيوني الديني العنصري ليوهموا الناس أنهم على ملة موسى – عليه السلام –، وهو بريء منهم براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

لم يكن الخضر يركز على المتحدث، تركيزه على المعلومة. ويسأل بين الحين والحين: كل هذه الأخلاط العجيبة جلبوها وأعطوها حقوقنا التي حرمونا منها قبل ولادتنا؟! أسكنوهم بيوتنا، وملكوهم أرضنا، واقتلعونا وألقوا بنا في هذه المخيمات التي لا يستطيع أحدنا أن يزرع فيها عِرقًا من النعناع أو البقدونس، وأرضنا بما حباها الله من خير أمام أعيننا، ويرتعون بخيراتها، ويهدمون مساجدنا، ويعبثون بمقدساتنا، ويجرعوننا الحرمان ألوانًا!

لم يتركوه يسترسل، وكأنهم أرادوا أن يطفئوا لهيب ثورته في صدره، فقال له أبو خليفة: نصيبك في الجنة يا شيخ الخضر، تأكد أن الله سيعطيك يوم القيامة خيرا ينسيك كل الشقاء الذي تجرعته، فتجمل بالصبر، وادعُ الله أن يجعلنا من الشهداء!

ردد الشباب من أعماقهم الملتهبة: اللهم آمين. مقبلين لا مدبرين، متيقنين من نصر الله، مستبشرين بحوصلات الطير التي ستحمل أرواحنا وتتعلق بعرش الرحمن – سبحانه –! وارتسمت البسمات العريضة حين سمعوا أم الخضر تناديه ليتناول الشاي الذي تعودت أن تقدمه للشباب، فهم أبناؤها، وأبناء إخوانها وأخـواتـهـا......، وكلهم من محارمها. وبادلتهم البسمات، وساءلتهم عن أهلهم وأحوالهم.

أكثروا من كلمات الشكر والتقدير لأم الخضر وداعبوه بألفاظ الحسد على مثل هذه الأم التي لا تنسى أن تقدم لهم الشاي في كل مرة. ما أكرم هذه الأم! عيونها الدافئة تلفهم، ودعواتها تحوطهم، ورقيتها تدور فوق رؤوسهم، أن يحفظهم الله، ويجعلهم نارًا على الأعداء، رحماء بينهم.فهي تراهم قبيل الفجر رُكّعًا سُجّدًا، وتراهم في النهار يصومون ما شاء الله لهم من الأيام البيض وغيرها، وترى العدو يطاردهم ويطلبهم في كل حين. وكم شاركت في تنبيههم لدوريات المستعربين التي ما فتئت تحاول مفاجأتهم!

تقدم أبو المسرات خطوة نحو الخضر، وهمس في أذنه: كأنك لم تتمكن من الوصول إلى القدس؟ احمر وجه الخضر، ونظر في كل اتجاه، ثم رد عليه هامسًا: لقد عدت للمرة الرابعة يوم أمس! ووعدني السائق غدا بعد الظهر، على أن ننطلق قبيل الغروب، فهو يعرف الطرق الترابية الالتفافية التي تجنبنا الحواجز، فأنت تعرف أنهم – لعنهم الله – قد أكثروا منها هذه الأيام. وأنا والله اشتقت إلى الجنة شوقًا لا يعلمه إلا الله. وما عاد للدنيا في نظري طعم ولا رائحة، لأن رائحة الجنة ملأت كياني.رفع أبو المسرات صوته بالدعاء: وفقك الله، ووفقنا جميعا لنيل الشهادة إن شاء الله. وردد الجمع بصوت مرتفع: اللهم آمين.

تفرق الجمع، وانقلب الخضر على أهله والبسمة لا تفارق وجهه. وكأنه يرسم في ذاكرتهم لوحته المشرقة

قصة قصيرة

التي سيقابلهم عليها يوم الحشر. أو على فراشه بعد العشاء. وما لبثت أمه أن اقتربت منه وهو يصلي قيام الليل لتضع على كتفيه جبته الصوفية تحميه من برد أواخر الشتاء المختلط بنسمات الربيع... ما لبث أن أنهى ركعتيه. ثم انقلب ليراها تعد له كوب الشاي الساخن الذي يدفئ جوفه! قبل يديها وسألها أن تدعو له بنيل الشهادة. ترددت كثيرا، لكنها وأمام إصراره وتركيز نظراته نطقتها تترجرج على شفتيها كأنما سلتها من أعماقها!

أخذها الخضر كمن حيزت له الدنيا مْن أقطارها، وملأ البشر وجهه، وعاد ليكمل صلاته بركعتين خفيفتين، ليعود إلى أمه ويشرب كأسًا آخر من الشاي وطلب منها أن تزيده عسلاً. فأعجبها ودعت له بابنة الحلال التي تملأ عليه شتاءه وصيفه، لكنه لم يمهلها كثيرا حتى قال: في الجنة إن شاء الله في الجنة! ثم انثنى على بقايا سجادة ورثها من جدته، كان يكثر من قيام الليل عليها، لتذكره، فيكثر لها الدعاء!

خرج كعادته قبيل الظهر، ولم يعد إلى البيت، لم ينسه أهله، لكنهم واثقون من استقامته، ولا تساورهم بشأنه الظنون. أما الجو في المخيم فلا يطمئن له عاقل. وقد عاد الناس من صلاة العصر، ولم يعد الخضر! أطلت أمه من النافذة لتراه: أبين الشباب على صخرتهم؟ لكن الصخرة هذا المساء خالية. بدأت أحاسيس أم الخضر تتماوج، وأفكارها تقرع الطبول، لكنها كانت تدفعها دفعًا. حتى إذا جاء أبو الخضر من صلاة المغرب صارحته بظنونها التي لم تستطع كتمانها. وأصرت أن يخرج ليبحث عنه بين شباب الساحة! خرج أبو الخضر بمشيته الهادئة، يسلم على مجموعات الشباب التي لم يخل منها زقاق في المخيم، رغم شدة البرد. لم يلفت انتباهه الهدوء الذي يخيم على كل مجموعة يمر بها. ويسأل: أفيكم الخضر؟ أرأيتم الخضر؟ لم يعد من قبل صلاة الظهر!

ما مل أبو الخضر ترداد أسئلته على مجموعات الشباب التي لم ترح قلبه بجواب. لكنه وقف قبل أن يسلك طريق العودة إلى البيت أمام شاشة الأخبار المحلية في وسط المخيم: والناس يتجمعون كأنهم في مسيرة شعبية، حتى إذا وصل قريبا منها، رأى صورة الخضر عليها وقد كللوها بشريط، وزرعوا حولها الزهور التي كثيرا ما زرعها في أحواضه المعلقة في البيت. تسمرت عيونه على الشاشة، وساد الصمت جماهير الحضور، والمذيع المسائي يروي حكاية الخضر مع حواجز الكفار المحتلين:

سيداتي وسادتي: هذا هو الخضر، ولد في مخيمنا هذا، وتربى وتعلم في مدارس وكالة غوث وتشغيل اللاجئين، ورضع الحرمان منذ ولادته، لكنه أبى أن يركع أو يذل لهؤلاء الكفرة. أقسم على الله كثيرا أن ينال الشهادة، ما سجل له أهل المخيم إلا الخير، وما ترك أحدًا منهم إلا وقدم له ما يكفيه من العون. كانت القدس له هي الطريق إلى الجنة، كانت حلمه أن يقاتل فيها حتى الشهادة، وقد حقق الله له دعوته، لقد وصل الخضر إلى القدس عصر اليوم، وسلك طريقه نحو هدفه الذي رسمه. قطعت عليه الحواجز طريقه في المرة الأولى، رجع من طريق آخر، لكن هناك حاجز أيضا منعه من الوصول إلى الهدف.

كان أحد الشباب يرافقه عن بعد ويتابعه بآلة التصوير، رآه وهو يعود للمرة الثانية عن الحاجز الآخر، ظنه سيعود إلى البيت! لكنه رآه يسلك طريقًا ضيقًا أوصله خلف الحاجز، وبدأ يمد الخطا وكأنه على ميعاد، وأطلق العنان لرجليه، لم يبق بينه وبين الهدف إلا مئات الأمتار، سيدخل المبنى ويسلمه إلى خالقه.... يا الله هذا حاجز ثالث، وجنود الكفر يتكاثرون عليه، بأعداد مضاعفة، ظن المصور أن الخضر سيرجع مرة أخرى، وقف... وركز آلته على الخضر مرة وعلى أرتال جنود العدو مرة أخرى. لم يرجع الخضر، تقدم نحو



الحاجز، أخذ دوره بين المواطنين الذاهبين إليهم، لم يبق بينه وبين الجندي الذي يفتش الناس جسدياً إلا ثلاثة... اثنان هو معه يحدثهم... اندفع الخضر نحو أرتال الجنود المتجمعة خلف المفتش لم يمهلهم، صاح بهم: (الله أكبر) وتناثرت الأشلاء إلى السحاب مع آخر الصرخات.

تسمر صاحبه بآلته تلتقط آخر الأخبار التي لن يراها الخضر على الشاشة الصغيرة، خلت الساحة من الناس إلا سيارات الإسعاف التي تكاثرت، وبدأت تحمل الأشلاء، حاول خبراء العدو أن يستخرجوا جثة الشهيد، لكنهم لم يتمكنوا، حملوا الجثث كلها، وجاءت سيارات المياه لتغسل الدماء التي صبغت الساحة.

صار الشباب يعدون الأشلاء التي جمعها العدو من الموقع: واحد - اثنان - ثلاثة - أربعة - خمسة - ستة - سبعة -.... لا لا لا... هذا ليس واحدًا إنهما اثنان، يا مخرج نشرة الأخبار أعد الصورة... يا علي اطلب من المخرج أن يرجع بالصورة لنرى كم أخذ معه الخضر من هؤلاء الأوغاد....

كان أبو الخضر يقف ويسمع ويرى، يرى ابنه الذي رباه سنيّ العمر، وكان أمله أن يلقاه في كبره، يراه يسرع نحو العدو كأنه القدر، ويختلط بهم حتى يتوسطهم وتعلو صيحاته: (الله أكبر)، ثم ترتفع الأشلاء إلى ما فوق السطوح، كانت الأشلاء لأكثر من عشرة من جنود العدو، لكن شعرة من الخضر أطهر منهم جميعًا، فهو إن شاء الله من الشهداء، وروحه كما كان يتمنى في حوصلة طير من طيور الجنة، يطوف بها الأرجاء ثم يتعلق بعرش الرحمن. اللهم اجمعنا به في الجنة،وشفعه بنا،وحقق النصر لإخوانه من بعده، وثبتهم وثبت أقدامهم، وانصرهم على أعدائهم.... انطلقت هذه الكلمات من شفتي أبي الخضر، وهو يغادر الساحة متوجها إلى البيت.

وحين اقترب وقفت الكلمات على شفتيه، ولم يدر ما يقول لأم الخضر، خرج ليأتيها به، فجاءها بخبره! لكن الشباب كفوه الموقف، فهم لم يتركوه وحده منذ غادر الساحة، بل مشوا خلفه، صامتين، يحملون معهم كل ما يحتاجه أهل الشهيد في موقفهم هذا. وحين فتحت أم الخضر الباب لم تر زوجها وحده، رأت شباب المخيم كلهم، يحملون صور الخضر وقد كللتها الزهور الموشحة بالخضرة والسواد، فما كان منها إلا أن قالت: إن لله ما أعطى، ولله ما أخذ، وإن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، وإنا على فراقك لمحزونون يا الخضر، ولكننا لا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم إنا نحتسب مصيبتنا عندك، ونرجو أن تخلفنا خيرًا منها ■





ثروت مكايد - مصر

عندما دار بقرده على دور المدينة، قال له فتى لم يتجاوز العشرين:

- لا نحب القرود في مدينتنا..

- هذا قرد شاطر، وفي وسعه أن يعمل لكم عجين الفلاّحة..

- لكننا لا نحب القرود..

- ما جئت به إلا لأني أحبكم، وأحب أن يتفرج عليه الصبية في المدينة.. وقد أبني سيركا إن أعجبكم، وأنا واثق أنه سيعجبكم.

* * *

اشترى دارا، وبنى مصطبة، وجعل القرد يقفز من الشباك إلى المصطبة مع كل أذان، والصبية يتضاحكون، ويصفقون، ويصفرون، مما أشعل غضب الفتى الذي عقد عزمه على تقديم شكوى للسيد رئيس المدينة.

* * *

أذن له الحاجب بعد ثلاثة أيام، وحين مثل أمام السيد رئيس المدينة راعه أن وجد الرجل وقردُه يتلاعب، ويبصبص بعينيه الرماديتين اللامعتين، ورئيس المدينة يضرب كفا بكف عجبا من قدرة القرد على تغيير اتجاه حركته في الهواء في لا وقت! وقال دهشا:

- كيف لهذا القرد تلك القدرة الباهرة؟!

- سيدي.. هذه أرض مباركة.

وأردف بعد لحظة:

- أنا نفسي لم أتصور أن يحدث لنا هذا الخير في أرضكم المباركة..

التفت رئيس المدينة للفتى الذي تصاعد الدم إلى وجهه حتى أحاله جمرة.. وقال:

- انظر إلى قدرة القرد على القفز، وتغيير اتجاهه في الهواء!

- سيدي أنا.. أنا..

- من أنت؟

- أنا مواطن جئت أشكو...

قاطعه قائلا:

- في مثل هذا الوقت الذي أستريح فيه، وأشاهد القرد!!

- لكن مدينتنا تكره القرود..

تدخل الرجل في الحديث، وقد طأطأ رأسه قائلا:

- اسمح لي سيدي أن.. أن.. لا يهم.. هذا الفتى يسبني في الطرقات، ويسب قردي الطيب ونحن نسامحه كثيرا، وسأثبت له أن القرود تحب مدينتكم وتعدها بمثابة وطن لها.

* * *

انتشرت القرود في المدينة. لا أحد يدري كيف اجتمع رؤساء المدن المجاورة، وقرروا صنع (جبلاية) للقرود يستوطنونها على أن ذلك لم يغب عن فطنة عقلاء المدينة حتى

إن الفتى ذا العشرين عاما ذكر في حديث له مع ثلاثة من شبان المدينة:

- لقد وعدهم الرجل بمغانم كثيرة يأخذونها إن هم وافقوا على صنع (الجبلاية)..

- أخشى أنه لا طاقة لنا بالقرود..

قالها كهل في نحو الأربعين، وسدد ثالث رأيه قائلا:

- بالأمس تحرشوا بزوجتي، وأصروا على أن تقوم بعمل عجين الفلاحة..

وقال رابع:

- تذكروا أن أي محاولة للاعتداء عليهم ستستعدي علينا الأمم.

- والحل؟

قال الفتى:

- نقوم عليهم قومة رجل واحد.

- سيمنعنا رئيس المدينة..

- ولو منعنا..

- هذا جنون!.

* * *

بلسان عربي مبين تكلم القرد، مما عد معجزة المعجزات في زمن عقيم، وقال من نصبوه عليهم:

- نحن أصل هذا العالم، قد رد الرب لنا هيبتنا ومكانتنا في المدينة المقدسة.

مدينتنا.. اختارتها لنا السماء، وما ربطته السماء لا يحله إنسي من الرعاع. سنمد إليهم أيدينا بالسلم، ومن يقبضها، نقطعها.

تناقلت وكالات الأنباء خطبة زعيم القرود التي أطلقوا عليها «الخطبة المقدسة»، وذكرت - أي وكالات الأنباء- أن من حق القردة أن تكون لهم مدينة بعد أن ساحوا في الغابات، وفوق فروع الأشجار.

في صبح اليوم التالي لخطبة زعيم القرود، تحول رئيس المدينة إلى شاة كما تحولت كثرة كاثرة من سكان المدن الأخرى إلى نعاج، الأمر الذي عدته الدول الكبرى نتاج السوء الذي انحطت فيه تلك المدن، فمسخها الرب نعاجا. طاردت القردة النعاج في الطرقات حتى اضطرتها إلى أن تقفز من فوق التل، فتتكسر عظامها، وتصبح طعمة لضواري البر والجو، وقال الفتى فيما يشبه الهمس:

- حذرتكم، ولم يصدقني أحد!

- لم يقف أحد معنا..

- من اعتمد على غير الله ذل..

- ما في رأسك صعب.

- ليس لنا خيار آخر.

- والعالم من حولنا؟

- لا يأبه العالم إلا بالأقوياء..

- لكنهم أقوى..

- نحن بالحق أقوى..

قال آخر:

- ألا تراه انتحاراً!!

- مرحبا بالموت في سبيله..

وقال رابع:

- ماذا تريد بالضبط؟

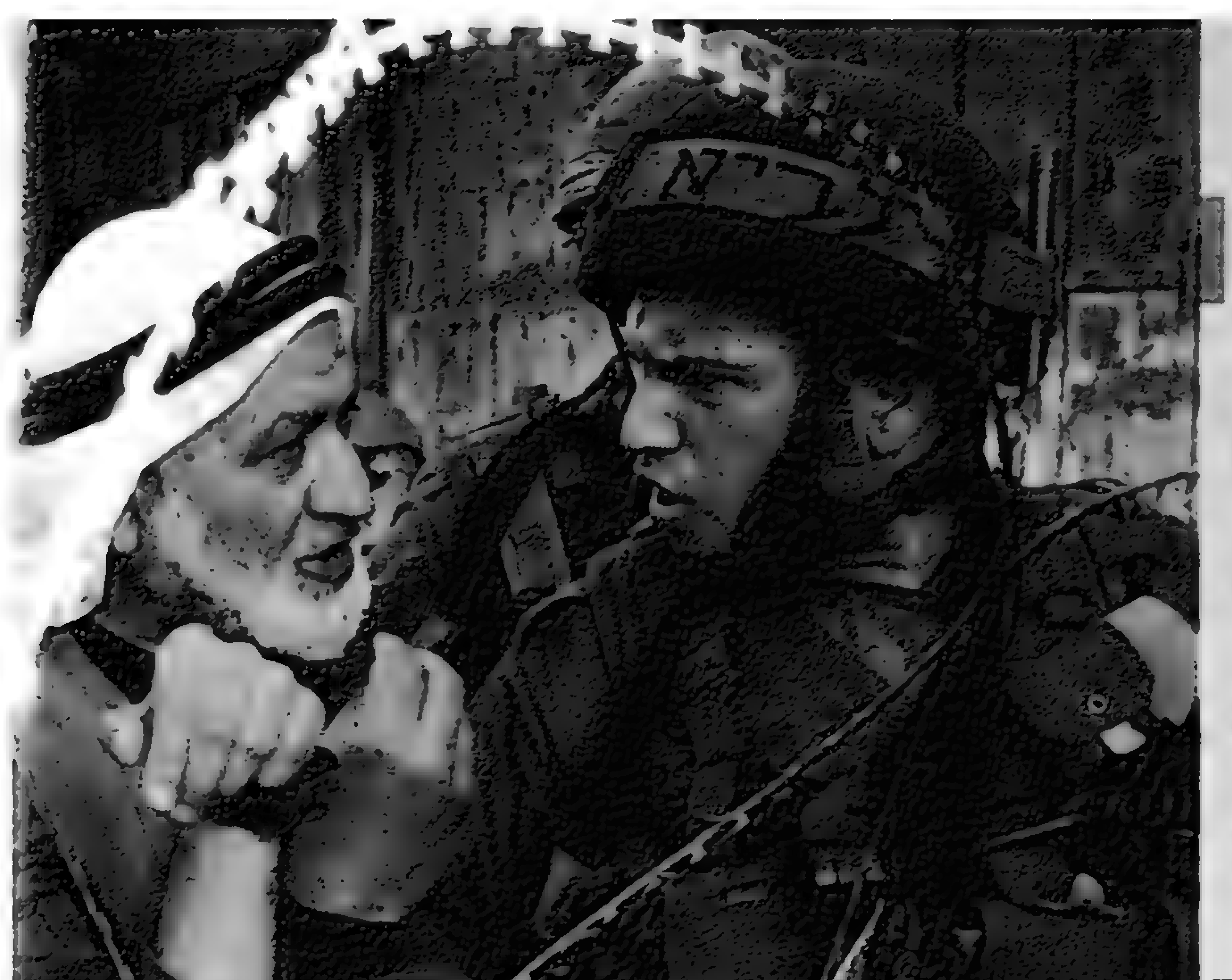
- أن نحرص على الموت، لتوهب لنا الحياة.

- لكننا قلة..

- غايتنا عظيمة، والمرء بما يطلب.

تلاقت أعينهم وأيديهم في رباط، في حين بدا من فوق الشاشة رئيس مدينة مجاورة، وهو يعمل عجين الفلاحة، فازداد عزمهم على المضي في الطريق ■





مسرحية

كونوا أمامي هذه المرة

نزار سالم باحميد - اليمن

(مشهد تمثيلي يجسد مأساة الشعب الفلسطيني).

(أب و ابنه في غرفة ببيتهما يدور بينهما هذا الحوار).

الابن: أتتذكر يا أبي كيف كنا عندما كان إخوتي يعيشون معنا هنا. كانت لنا قوة، و شوكة؟!

الأب: نعم ياولدي. و اليوم صرنا مطمعا للطامعين. و لكن لا، (يقف) يجب ألا نخضع ولا نستكين. نحن أقوياء. أقوياء بإيماننا، بإصرارنا على بقائنا في أرضنا، مهما تكن الظروف.

الابن: إلى متى سنظل هكذا يا أبي ! إلى متى؟

الأب: سيكون الفرج قريبا بإذن الله، نعم، سيكون الفرج قريبا بإذن الله .

(طرق شديد على الباب، يقترب الابن من أبيه خائفا)

الأب: لاتخف ياولدي. من؟

من الخارج: افتح !

الأب: من أنت؟

من الخارج: افتح و ستعرف من أنا!

الابن: لا تفتح يا أبي.

الأب: كن شجاعا يا ولدي (يقترب من الباب وهو يفتح و هو يقول) استر يا رب.

(يقتحم البيت جنود مسلحون)

الأب: من أنتم؟ و ماذا تريدون؟

الضابط: ألا تعرف من نحن ! نحن أصحاب هذا المنزل.. هيا، هيا اخرجوا

الأب: (مستغربا) نخرج ! كيف نخرج؟ بل أنتم اخرجوا.

الضابط: (بسخرية) عجيب أمرك. (بحدة) كيف تجرؤ على كلام كهذا؟

الأب: نعم هذا بيتنا، منزلنا، وليس لأحد أن يسكنه غيرنا.

الضابط: قلت لك: اخرج و إلا قتلتك.

الأب: لن تستطيع.

الضابط (يطلق رصاصة في الجو تهديدا).

الابن: (بصوت الخائف) أبي !!

الأب: لا تخف يا ولدي.. (للجنود) يجب عليكم أن تخرجوا من هنا و في الحال.

الضابط: هه..

الأب: أنتم جبناء.

الضابط: الزم أدبك و لا تتجاوز حدك.

الأب: لماذا لم تأتني بمفردك، كنت لقنتك درسا لن تنساه.

الضابط: (ضاحكا) أنت.. هه هه. لست أنت و لا أمثالك. كم كررتم مثل هذا الهراء!

الأب: هذا ليس هراء. و لكنها الحقيقة، الحقيقة التي يجب أن تدركوها.

الضابط: كف عن هذا و استعد للرحيل.

الأب: (بقوة) لن أرحل. لن أرحل، وافعلوا مابدا لكم.

الابن: (مخاطبا نفسه) أين أنتم يا

إخوتي. ليتكم تدركون ما يجري لنا.

الضابط: إنهم يعلمون. ولكنهم لن يأتوا !

الابن: أنت كاذب.

الضابط: لقد قمنا بإسكاتهم، واليوم هم في صفنا !

الأب: أنت واهم. إنهم أبنائي. وما يجري في عروقهم دم من دمي. و سترى !

الضابط: و أين هم الآن؟

الأب: إنهم قادمون .

الضابط: هذا حلم.. و لن يتحقق.

الأب: إنهم يتحاورون مع أسيادك.

الضابط: (يضحك بسخرية) هذه مسرحية نحن وزعنا أدوارها.

الأب: سترحلون، سترحلون. إني أشعر بذلك.

الضابط: شعور جميل. و لكنه سيبقى مجرد شعور.

الابن: لا.. لا.. أنت كاذب.. أنت حاقد.. أنت ...

الضابط: (مقاطعا) دعه يسكت، و إلا سأسكته إلى الأبد.

الابن: اخرج اخرج يا محتل.. عن بيتي فورا ارحل

الضابط: لقد تجاوز هذا الابن حده. خذ (ويقتله).

الأب: (يصرخ) لا..

(يخرج الضابط ورفاقه ويبقى الأب وحيدا يندب ابنه)

الابن: (وهو يموت) لا تحزن يا أبي. لا تحزن.أخبرإخوتي أني لن أسامحهم، لن أسامحهم حتى يلتفوا حولك، و يمنعوا عنك هذا الظلم وهذا الصلف. لا تستسلم يا أبي فلا معنى للحياة بدون وطن. لا تستسلم و لو كان الثمن هو الحياة.. وداعا ياأبي و داعا يا وطني. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (ويستشهد ...)

الأب: بصوت قوي و مدوٍّ "ولدي ..."

(الأبناء يأتون من أماكن مختلفة).

لبيك يا أبي، لبيك يا أبي، لبيك يا أبي.

الأب: (يقف) يجب أن نثار لأخيكم قبل كل شيء.

الأكبر: تقدم يا أبي. تقدم ونحن من خلفك.

الأب: لا. ولكن، كونوا أمامي هذه المرة.

(يأخذ الأبناء أخاهم ويخرجون و أبوهم من خلفهم).

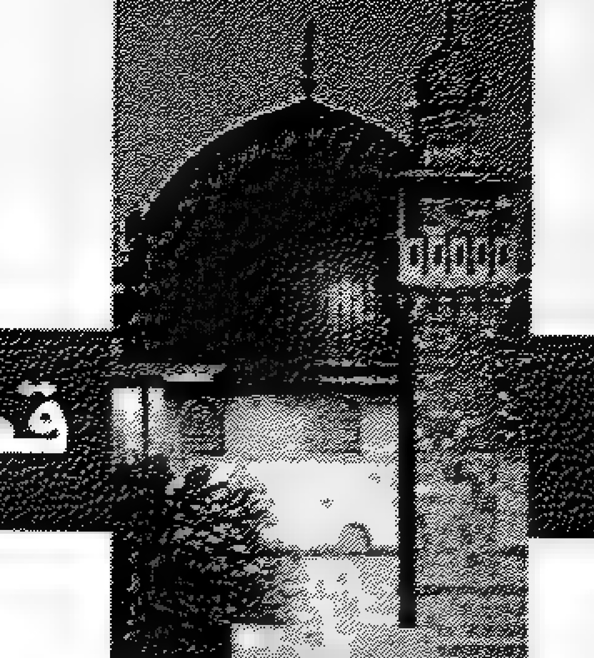
(ستار)

إلى القدس

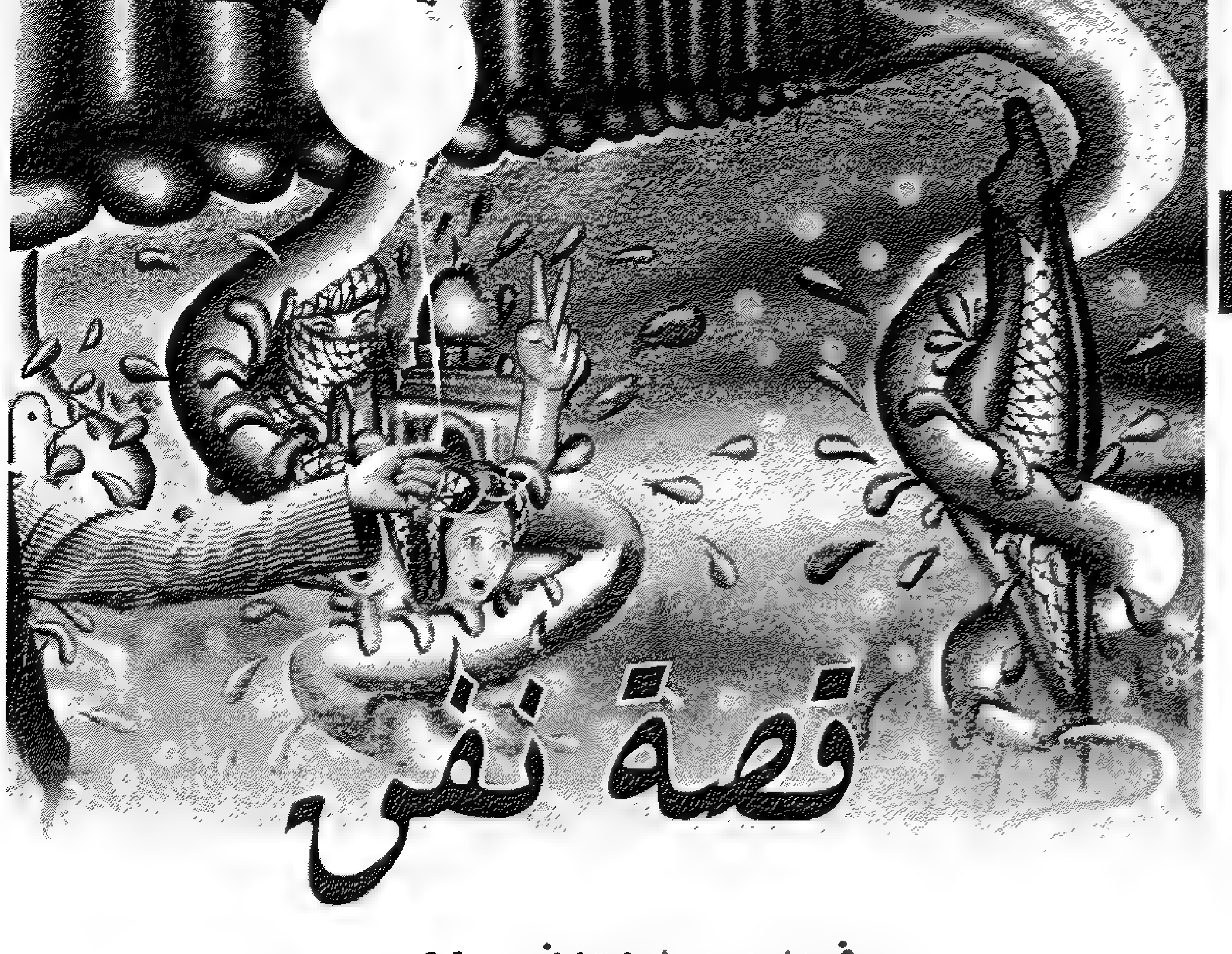
— أشرف محمد قاسم - مصر —



سجل: هنا
تاريخُ ميلادي.. ورقمُ جوازي
ستون عاماً عمرُ أحزاني
ويافا موطني
وحكايتي كتبتْ بدمع قصائدي
وفصولُها عند المساء تُبث بالتلفاز
ستون عاماً
والحكايةُ لم تزلْ
والقدسُ تحت حصارهم
لا الليلُ
مرَّ
ولا السعادة صافحتْ
وجه الصغارْ
ولا استراح القلبُ
من وجه الحقيرِ
الغازي..!



قصة قصيرة



قصة نفق

فريد محمد معوض - مصر

لم أكن إلا لخدمة البشر. كان النفق يمتد من تحت الأرض فتجري فيه العربات لتصل إلى مستقرها آمنة فأمنع الزحام فوق الأرض.. كنت أنساب أحيانا فأربط بلدا ببلد، وعالما بعالم.. لم أكن أنا إلا الأرض يأخذون ترابي يزيحونه بعيدا فأمتد رويدا رويدا، أنساب في جوف الأرض، كل مكان في الأرض يفرح حين يصير نفقا..

لكنني ويا أسفي.. قد يتمنى أي مكان في الأرض أن يصير نفقا.. إلا أنا.. أنا الأرض التي انتصب فوقها الأقصى.. الأقصى يا رفاقي.. أولى القبلتين وثالث الحرمين فكيف أدخل.. كيف أتوغل تحت قواعده.. ارتعشت ذراتي واهتز كياني الممتد.. من هم الذين سيفعلون ذلك.. صرخت.. إياكم أن تمسوا ترابي.. إياكم أن تقتربوا مني.. لكنهم راحوا يحفرون، وتصدى لهم الأبطال.. أبطال أنبتتهم الأرض، مسلمون مثلكم يا رفاق.. استثمروا أحجاري، أخذوها، قذفوا بها في وجوه الذين يحفرون.. ولماذا يحفرون؟ آه يا رفاق.. هم دائما يحفرون.. يزعمون أنهم يبحثون عن تاريخ لهم ضاع تحت قواعد الأقصى ليعلنوا للعالم كله أن لهم تاريخا.. ولا شيء على الأرض إلا هم ولأنهم لن يجدوا شيئا فسيظلون يحفرون.. يريدون أن يزعزعوا قواعد الأقصى.. المهم يا رفاق.. لقد أوقفتهم الأحجار عن الحفر.. أسكتتهم أياما، شهورا، لكنهم عادوا بالليل، يأتون إليّ، يأخذون ترابي، يدفعونه بعيدا، يريدونني أنا الأرض نفقا.. أصير نفقا وأين؟!.. تحت الأقصى.. آه يا لفظاظتي.. وأن أتوغل تحت أركان بيت صلى فيه كل الأنبياء خلف رسول الله محمد بن عبد الله.. ما زال منظر البراق ماثلا أمامي وهو ينتظر أمام المسجد حتى يخرج الرسول من الصلاة..

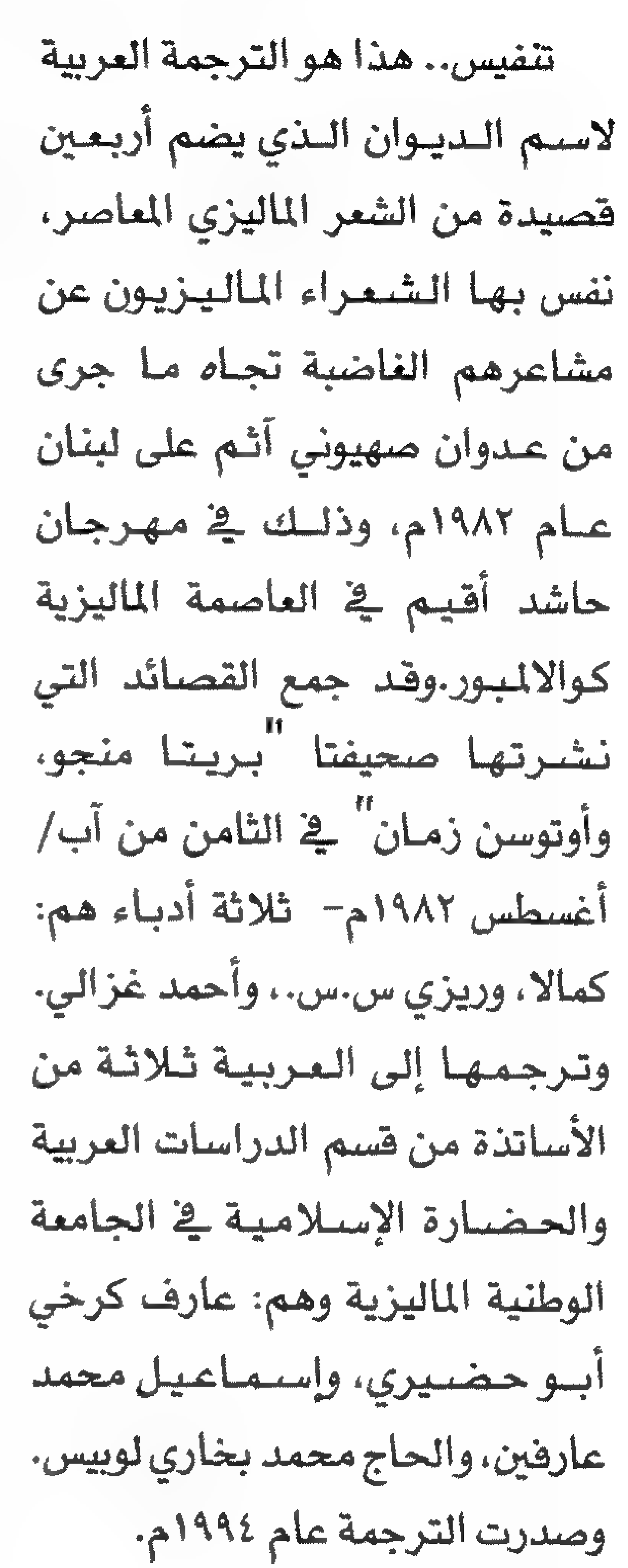
آه يا رفاقي.. كل ليلة يتسللون ليواصلوا الحفر.. كل ليلة أمتد.. أتوجع، هل سأصبح نفقا بحق.. إذن أسوأ نفق.. على وجه الأرض..

وتمتد المعارك بين أعداء المسجد وبين الأبطال الصغار. ويوما بعد يوم أمتد أصير كالثعبان البغيض..

صرت نفقا بحق، يا لخيبتي.. أنا المزعج لجلال البيت الآمن.. أنا.. أنا أسوأ نفق على وجه الأرض يا لتعاستي.. يا لتعاستي.. لكن هل يفتتحونني؟.. لا.. لا.. لن يكون.. هكذا كنت أظن يا رفاق..

فأنا أعرف أن افتتاحي يعني افتتاح الموت لأعداء الله.. يعني انتفاضة جديدة تزلزل أعداء الله.. يعني الدخول في نفق مظلم.. آه.. ما الذي يذكرني بكلمة نفق.. وكانت الطامة الكبرى حين شرعوا في افتتاحي.. فهب كل شيء في القدس يعلن الغضب، الأطفال والنساء والرجال.. والمآذن في الخليل، وأشجار الزيتون، الأبطال راحوا يأخذون الأحجار ويقذفونها.. يتساقطون شهداء، وتظل أيديهم قابضة على أحجار أخرى..

وأنا الذي تحت الأرض أعلن لكم.. للشهداء.. للمسلمين في كافة البقاع.. أنني لن أسكت.. أنا أسوأ نفق، سأصير أحسن نفق بإذن الله.. سوف ترعبون أعداء الله.. سوف يلهثون أمامكم كالنعاج.. لن يجدوا مكانا يختبئون فيه غيري، وسيهرعون.. و سأمتلئ بأعداء الله وسوف تسدون فتحتي.. وسوف أضم أجسادهم أعتصرها.. سوف أعيدها إلى حيث أراد الله ترابا تحت أركان الأقصى ليستحيلوا إلى ذرات وليبقى الأقصى شامخا.. شامخا يارفاق، وساعتها سأكون أحسن نفق. انتظروا يا رفاق.. قدوم أحسن نفق.. انتظروا بلا قلق.. وحتى يحدث ذلك فأنا في غاية القلق!.. ■



تنفيس.. بوح الشعراء الماليزيين لأحاسيسهم نحو فلسطين ولبنان

عرض: علي يوسف اليعقوبي

تنفيس.. هذا هو الترجمة العربية لاسم الديوان الذي يضم أربعين قصيدة من الشعر الماليزي المعاصر، نفس بها الشعراء الماليزيون عن مشاعرهم الغاضبة تجاه ما جرى من عدوان صهيوني آثم على لبنان عام ١٩٨٢م، وذلك في مهرجان حاشد أقيم في العاصمة الماليزية كوالالمبور.وقد جمع القصائد التي نشرتها صحيفتا "بريتا منجو، وأوتوسن زمان" في الثامن من آب/ أغسطس ١٩٨٢م- ثلاثة أدباء هم: كمالا، وريزي س.س.، وأحمد غزالي. وترجمها إلى العربية ثلاثة من الأساتذة من قسم الدراسات العربية والحضارة الإسلامية في الجامعة الوطنية الماليزية وهم: عارف كرخي أبو حضيري، وإسماعيل محمد عارفين، والحاج محمد بخاري لوبيس. وصدرت الترجمة عام ١٩٩٤م.

والديوان الذي بين أيدينا تعبير عن هذه الخلجات الإنسانية، وترجمة لمعاني الأخوة، والمحبة، والمؤازرة بين المسلمين، وعلى الرغم مما يكتنف ترجمة الإبداع الأدبي بشكل عام، والشعر منه بشكل خاص،من مزالق، ومحاذير تذهب برونق الصياغة، وجمال الألفاظ، وبهاء التركيب... إلا أن هذا الديوان ترجمة صادقة لذلك النموذج الناصع من الشعور الإسلامي، حيث تجسد في الوقفة الشجاعة التي وقفها الشعراء الماليزيون مع قضية هي من أعدل القضايا التي عرفتها الإنسانية وأنبلها... فكان ثمرة طيبة من ثمار الفن الأدبي الإسلامي الملتزم، المعبر عن قضايا الأمة على الرغم من بعد المسافات، وتنائي البلدان، نلمس ذلك في ثنايا كل قصيدة من قصائد الديوان، التي امتزج فيها ما جرى في لبنان مع ما جرى ويجري في فلسطين، فتجد العناوين العديدة مثل: أرض فلسطين، وسيف مسلول على صدر فلسطين، وحول طفل فلسطيني صغير، والأحجار الصغيرة، مع عناوين مثل أنباء من بيروت، ومذكرات حزينة من أجل بيروت، وذكرى من بيروت الغربية، وغير ذلك من العناوين التي تعبر عن ظلم الصهيونية والعالم للشعب الفلسطيني المسالم وأرضه المقدسة.

يقول الشاعر نور.س.م في قصيدة بعنوان: حول طفل فلسطيني صغير:

ذلك الطفل الصغير ظل يحبو، فوق قطع من حجارة، قد تجرح جسمه.

الدماء تتقطر بالطريق، بينما قد بترت رجله اليمنى، وتركت فوق جثمان لأم، قد تهاوت أمام باب منزلها.



ويقول الشاعر عبد اللطيف تشو تشو في قصيدة بعنوان: السماء المنخفضة في فلسطين:

كم عمر جهاد فلسطين ؟ من أجل فلسطين..

إننا نجاهد من أجل كلمة الشهادة، لا من أجل فلسطين أو لبنان، لكن من أجل الشهادة إننا نذرف كل دم ينبض حتى آخر لحظة.

وعلى الرغم من نشر الديوان قبل ما يقارب الثلاثين سنة.. إلا أنه لا يزال يتدفق بالمشاعر الفياضة، والعواطف الجياشة الحية، والمعبرة عن عمق المأساة، ووحشية المعتدي.. وكأنها الشاهد الحي، والمراسل المباشر عما تشهده هذه القضية من مؤامرات، ومكائد، فلون دم الثمانينات من القرن الماضي (العشرين)، هو نفسه لون دم الظلم والقهر الذي يصبغ القرن الواحد والعشرين. في نهاية عشريته الأولى في العدوان على غزة. وإن الأمل مازال يسكن النفوس المؤمنة بموعود الله الآتي لا محالة، ونصره المتحقق بإذنه تعالى ■

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب السعودية - محمد شلال الحناحنة



أعراس القدس في رابطة الأدب الإسلامي

عقد المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض ضمن ملتقاه الأدبي لشهر جمادى الأولى ١٤٣٠هـ، أمسية شعرية بمناسبة اختيار القدس عاصمة الثقافة العربية لهذا العام، شارك فيها عدد من شعراء الرابطة وغيرهم، وأدار الملتقى الأديب الدكتور ناصر بن عبدالرحمن الخنين نائب رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في الرياض، وحضرها حشد غير مسبوق من أدباء الرابطة وجمهورها، وتابعها عدّة وسائل إعلامية منها قناة (الأسرة) ومجلات: (البيان) و (المتميزة) و (الشباب) ومواقع (الإسلام اليوم) و (الألوكة) و(الميزان) و غيرها.

أعراس القدس

بدأت الأمسية بآيات عطرة من سورة الإسراء تلاها الأستاذ فراس شنفير، ثم شدا الشاعر الفلسطيني د. عبدالغني التميمي قصيدة عن القدس عبّر من خلالها عن أوجاعه وحنينه إلى فلسطين الجريحة مازجا بين الأمل والألم، وكان حقا فارس هذه الأمسية في مضمونه وفنيته الراقية التي اتكأت على سخرية مريرة مما يحدث لفلسطين والقدس الشريف فقال بصوت نديّ والقاء عذب:

لنا صفدٌ إلى رفح إلى نقب وبيسانا
لنا حيفا فأما القدس فهي عروس دنيانا

أما الشاعر السعودي الدكتور أحمد بن عبدالله السالم، فقد ألقى قصيدتين بعنوان: (أوّاه) و(أحداث غزة) واستطاع أن يشعل فينا الجراح ويثير وجداننا أمام ما يحدث لغزة من دمار وحصار وإبادة جماعية للأطفال والنساء متحسرا على مواقف المسلمين وتخاذلهم مما يدمي القلب:

هبّوا فقد دعت الدواعي
واستهلكت كل المساعي
ناديت حتى بح صوتي
فانكفأت على يراعي
والعرب أيضا قصّروا
لم يرأبوا عمق انصداعي
هي وقفة من خادم
الحرمين محمود الطباع
لم تلق عند العرب عنـ
ـد الغرب آذان استماع

وتنهض قصيدة (شيخ المجاهدين) للدكتور عبد القدوس أبو صالح من أمجاد التاريخ، مخاطبة أحد أعلام الجهاد في فلسطين الشيخ: (أمين الحسيني) فهو يمثل لدى الشاعر فلسطين بكل أمجادها وصمودها بمسجدها الأقصى المبارك، فينطق التاريخ في شخص عمر بن الخطاب و خالد بن الوليد رضي الله عنهما، وقد منحت هذه الاستضاءة القصيدة إشراقات فنية جعلتنا نشاركه همومه وهموم الأقصى الأسير، يقول مخاطبا الحاج أمين الحسيني:

ما أنت إلا فلسطين ورايتها
تعلي الجهاد فلا يأس ولا خورُ
فقلبك المسجد الأقصى وقبته
عمامة الطهر لا عار ولا وضر
وقمت ترعى حمى الأقصى وتحرسه
كأنما خالد يرعاه أو عمر

النّصر القادم

ويمضي بنا الدكتور وليد قصّاب إلى مواجع فلسطين مُلِحًّا على المفارقات بين الأمس واليوم، بين أمة القرآن المتوثبة وأمة الرقاد الخانعة أمام المذابح في القدس وغزة، ويلجأ شاعرنا إلى التكرار واستثمار الأسلوب الإنشائي من نداء واستفهام، لتحمل قصيدته تفاؤلها ووهجها رغم المآسي والأحزان، فهل توقظنا الأشعار والكلمات ؟!

ففي قصيدة (حفيد المعتصم.. حفيد صلاح الدين) يشدو مستنهضا أمّته:

القدس في كف اليهود أسيرة
والقوم فينا كلهم أشهاد
يا أمتي.. والحزن يحرق مهجتي
أين الرشاد أضاع منك رشاد؟
في غزة أنهار دم قد جرت
والقدس تذبح والجميع رقاد
لكن عاشقها المتيم قادم
لاحت به الأغوار والأنجاد

دم الشهيد

ويتجدد الحداء مع الشاعر الفلسطيني أحمد القدومي في قصيدته: (من أين جئت ؟!) وتتيه القدس بحسنها وتزدهي بالكبرياء رغم الجراح، وهكذا يكون الموت في دروب القدس إحياءً، ويكون دم الشهيد على الثرى إمضاءً ويجيء من وقع السنابك والخطى مهندا نسجت به الحرية الحمراء.

لدم الشهيد على الثرى إمضاء
يزجي السحاب تخضله الأنواء
يا أمة القرآن تيهي وازدهي
فالقدس رغم جراحها حسناء
ومآذن الأقصى الأسير مشاعل
والله أكبر في السماء حداء

الشعر التركي يهتف لفلسطين

وكان للشعر التركي الإسلامي نصيب في هذا الملتقى، إذ قدّم الأديب شمس الدين درمش قصيدتين ترجمهما عن اللغة التركية إلى العربية وهما: (المسجد الأقصى) للشاعر محمد عاكف إينان، و (الشعر الأسود) للشاعر بلال ألمجي أوغلو، وقد عبرّت القصيدتان عن مشاعر فياضة بلغة حانية في رصد أحزان الأقصى، وفلسطين، وتأوي قصيدة المسجد الأقصى إلى رؤية إسلامية عميقة لمصاب فلسطين، ومرجعية شرعية ناضجة، إذ يقول:

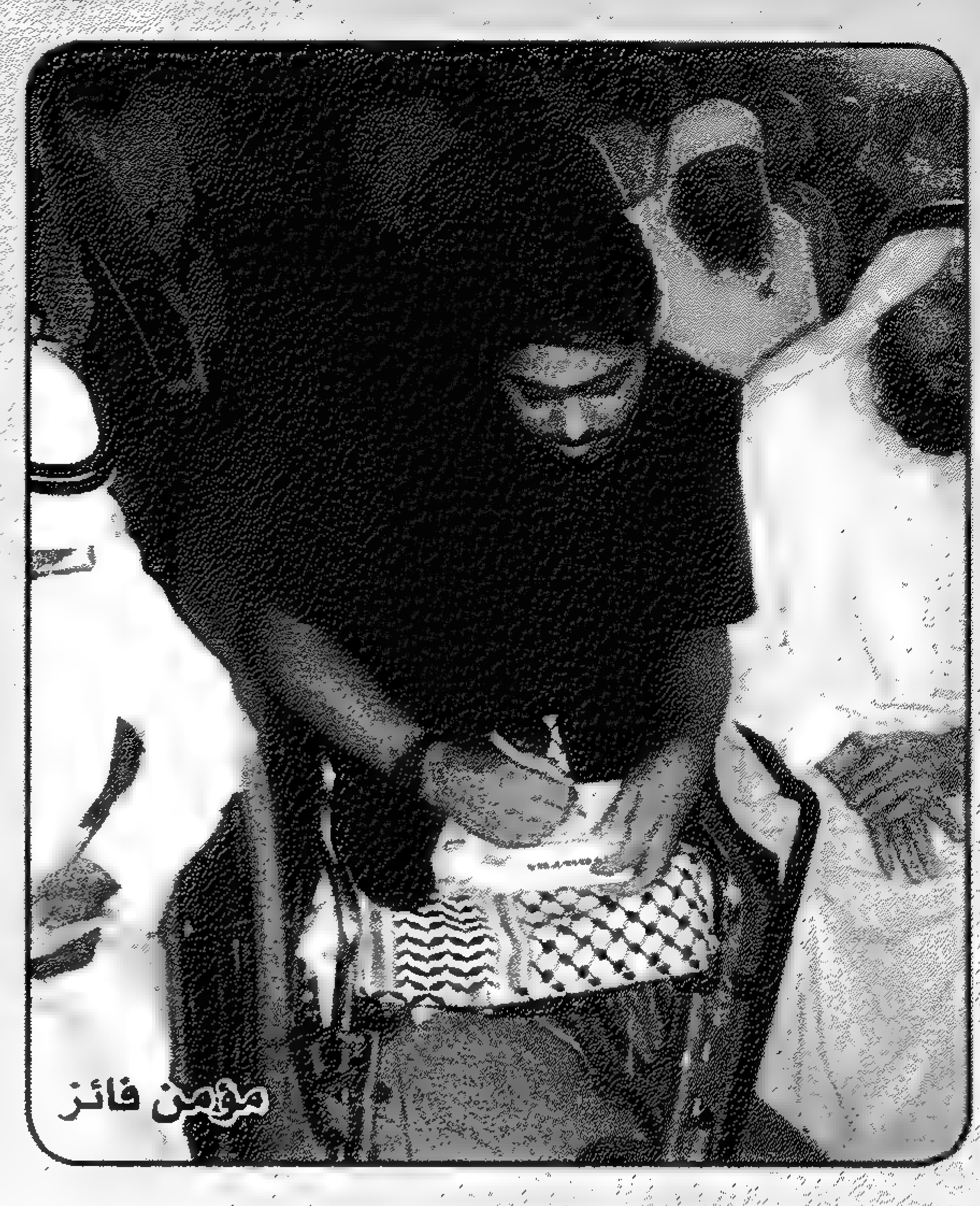
رأيت المسجد الأقصى فيما يرى النائم
كان يهتف بالمسلمين
احملو السلاح
ارفعوا راية الجهاد
أعيدوني إلى أحضان الإسلام!

رسالة المسجد الأقصى

وشارك الدكتور عدنان علي رضا النحوي بقصيدته: (رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين) ألقاها نيابة عنه الأستاذ علي اليعقوبي.

أنا المسجد الأقصى ! وهذي المرابع
بقايا ! وذكرى والأسى والفواجع
لقد كنت بين المؤمنين وديعة
على الدهر ما هبّوا إلي وسارعوا
يضمون أحناء عليّ وأعينا
وتحرسني منهم سيوف قواطع
زحوف مع الأيام موصولة العرا
فترتج من عزم الزحوف المرابع
إذا أعوز القوم السلاح تواثبوا
تجود قلوب بالوفا وأضالع
فما بال قومي اليوم غابوا وغيّبوا
وما عاد في الآفاق منهم طلائع ؟!

مفاجأة الأمسية


مؤمن فائز

ثم أصغى الجميع لكلمة المجاهد الفلسطيني البطل الجريح مؤمن فايز الذي فقد جزأه السفلي كاملا في معركة غزة، وقد أشاد بمواقف خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز وبمواقف المملكة التي تعالجه وتعالج الجرحى الفلسطينيين من غزة في مستشفياتها إضافة إلى المساعدات العظيمة للشعب الفلسطيني، وكان حضوره المناسبة مفاجأة مؤثرة على الجميع.

وجه مؤمن فائز الدعوة لحضور عرسه في مساء الخميس التالي الذي كان قد عقد قرانه على الصحفية الفلسطينية (ديما عابدية) التي نشرت حواراً صحفياً معه وقبلت الزواج منه، وقالت للقاضي الذي سألها عن المهر: أنا أقبل أن يكون مهري خدمة هذا المجاهد وأن يكرمني الله أن أعيش وأموت على أرض الرباط في فلسطين. واستجابة للدعوة حضر رئيس الرابطة الدكتور عبدالقدوس أبو صالح حفلة العرس وألقى كلمة بالمناسبة.

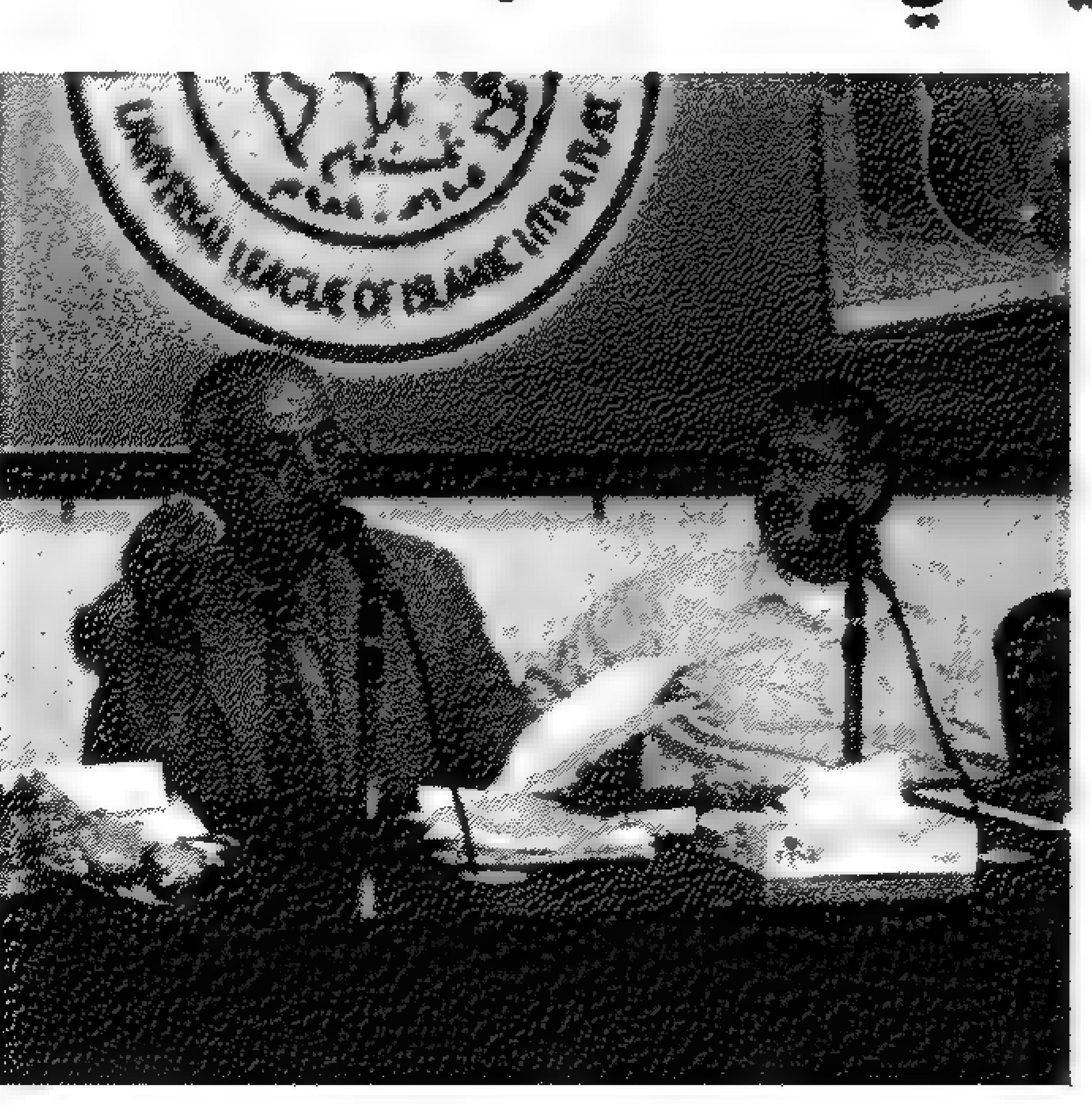
مكتب الأردن - عمان

أمسية قصصية لنردين أبو نبعة

أحيت الأديبة نردين أبو نبعة أمسية قصصية بتاريخ ١٤/٧/٢٠٠٩م، وقد أدار الأمسية السيدة هيام ضمرة عضو الهيئة الإدارية في الرابطة ، وقدمت الأديبة أبو نبعة أمثلة عديدة لقصصها: الفراشة ، حسنات، خراف مغفلة، لماذا يا أخي؟

و قام الأدباء والنقاد بدراسة القصص وتحليلها على أرض الواقع واستكناه النص وحل رموزه لفهم الأبعاد المقصودة منها.

شاهين في أمسية شعرية



أحيا الشاعر سعد الدين شاهين أمسية شعرية في مكتب الرابطة بعمان السبت٤/ تموز/٢٠٠٩م، وقدمه عبدالرحيم جداية. وقرأ شاهين من ديوان (مراسيمُ لدخول آمن) وعبر عن التجربة الشعرية التي أخذت التفعيلة حلة لها، وعبر عن قضايا معاصرة وقضايا يومية عشناها جميعا مثل أحداث مجزرة جنين وغيرها من الأحداث الدموية. وفي نهاية اللقاء تحاور الجمهور مع الشاعر، حيث تواصلت الأفكار والتعليقات المفيدة.

مكتب باكستان - د. محمود الحسن عارف

أدب المقاومة الفلسطيني والكشميري في جامعة البنجاب

قام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية - في باكستان بالتعاون مع قسم دائرة المعارف الإسلامية وقسم اللغة العربية بجامعة البنجاب بعقد مؤتمر قومي على مدى يومين بقاعة مجلس جامعة البنجاب بحرم العلامة إقبال الجامعي بلاهور، وذلك خلال الفترة ١١ - ١٢ ربيع الثاني ١٤٣٠هـ الموافق ٨ - ٩ أبريل ٢٠٠٩م.

وشارك فيه جمع غفير من الباحثين والعلماء والأدباء وممثلين عن الهيئات المختلفة في باكستان.

وقد اشتمل هذا المؤتمر على خمس جلسات علمية، كانت الأولى منها في العاشرة من صباح الثامن من أبريل ٢٠٠٩م بقاعة مجلس جامعة البنجاب برئاسة الأستاذ د. مظهر معين وكيل الكلية الشرقية، وقام د. القارئ محمد طاهر بتقديم المنصة.

بدأت الجلسة بتلاوة آيات من الذكر الكريم، ثم بإنشاد أشعار في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وبعدها ألقى د. محمد طاهر كلمة الترحيب بالنيابة عن مولانا الحافظ فضل الرحيم، حيث عرض لدواعي عقد هذا المؤتمر، والتعريف بالأقسام المتعاونة في عقده. وقدم الشكر لكل المشاركين والحضور على السواء.

وبعد ذلك قام د. إبراهيم محمد إبراهيم المصري (رئيس قسم اللغة الأردية بجامعة الأزهر، والأستاذ الزائر حالياً بقسم دائرة المعارف بجامعة البنجاب) بإلقاء بحثه الذي عرّف فيه أدب المقاومة وخلفيته التاريخية، وعرض للظروف التي أوجدته في فلسطين والمآسي التي قاساها أهل فلسطين على أيدي اليهود والصهاينة والإنجليز، وقد قسم د. إبراهيم أدب المقاومة العربي المرتبط بقضية فلسطين إلى أربعة مراحل، المرحلة الأولى وتبدأ قبل وعد بلفور عام ١٩١٧- ١٩٤٧م، ثم المرحلة الثانية والتي تبدأ مع قيام دولة العدو الصهيوني عام النكبة ١٩٤٨- ١٩٦٦م، والمرحلة الثالثة وتبدأ عام النكسة ١٩٦٧-١٩٨٧م عام الانتفاضة، والمرحلة الرابعة وهي المرحلة المعاصرة بما فيها أيام العدوان الإسرائيلي الآثم على غزة (٢٠٠٨م- ٢٠٠٩م)، وأفاض د. إبراهيم في شرح سمات كل مرحلة وخصائصها الفنية ملقياً الضوء على الاتجاه الإسلامي في أدب المقاومة هذا والذي قدم القضية الفلسطينية على أنها قضية المسلمين جميعاً وليس العرب أو الفلسطينيين وحدهم، كما ألقى د. إبراهيم في بحثه الضوء على صدى قضية فلسطين في الشعر الأردي.

ثم قدم د. محمود الحسن عارف بحثه الذي قام فيه بتحليل تاريخي لأدب المقاومة المرتبط بقضية كشمير، وأكد على أن كل مشاكل ومآسي المسلمين زرعها الإنجليز بما تفتق عنه ذهنهم التآمري من أوضاع فرضوها على المسلمين في سلسلة تبدأ من فلسطين وتمر بالبلقان وتمتد حتى كشمير.

وقال: لقد رفع شعراء كشمير المحتلة وكشمير الحرة وباكستان أصواتهم مطالبين برفع الظلم والكفاح ضده، وعلى رأس هؤلاء العلامة إقبال وأحمد نديم قاسمي وقيوم نظر وحفيظ جالندهري والقاضي هيمايون وعائشة مسعود وعشرات غيرهم من الشعراء.

- وبدأت الجلسة الثانية في تمام الثانية عشرة والنصف ظهراً، وكان رئيسها الصحفي والمفكر الباكستاني

المعروف مجيب الرحمن شامي، وكان موضوع هذه الجلسة : أدب المقاومة الفلسطيني، وبدأت فعالياتها بتلاوة القرآن الكريم، ثم ألقى مولانا محمد يوسف خان أستاذ الحديث بالجامعة الأشرفية بحثاً عن القرآن الكريم وأدب المقاومة.

وبعد ذلك ألقى د. خالق داد بحثاً عن الشعر الثوري عند الشاعر الفلسطيني محمود درويش وأبي القاسم الشابي باللغة العربية، وكانت المقالة التالية للدكتورة تبسم منهاس المحررة بقسم دائرة المعارف الإسلامية بجامعة البنجاب حالياً، بعنوان فدوى طوقان شاعرة المقاومة الفلسطينية. وقدمت د. تبسم أمثلة ونماذج من شعر فدوى طوقان بترجمة بليغة للبحث من اللغة العربية إلى اللغة الأردية.

وألقى د. محمد أرشد المحرر بدائرة المعارف الإسلامية مقالاً بعنوان قضية فلسطين في ضوء كتابات العلامة محمد أسد، الذي أسلم بعد أن كان يهودياً، وألقى د. أرشد الضوء على قضية فلسطين وحقوق الفلسطينيين في ضوء ما كتبه هذا العالم الجليل.

ثم ألقى د. محمد حارث مبين الأستاذ بقسم اللغة العربية بالكلية الشرقية بحثاً عن الأديب الفلسطيني إميل حبيبي وإسهاماته في أدب المقاومة، وبعده ألقى السيد عبد الودود خان بحثاً في الموضوع باللغة الإنجليزية. وفي النهاية تحدث السيد مجيب الرحمن شامي مؤكداً أن هذا المؤتمر والأبحاث التي ألقيت فيه على جانب كبير من الأهمية.

- أما الجلسة الثالثة فقد عقدت في قاعة بفندق (سايمن تاور)، ورأسها د. مظهر معين، وفي هذه الجلسة قدم الحافظ محمد زاهد (الأستاذ بالكلية الحكومية بمنطقة تاون شب) بحثاً بعنوان فلسطين وأدب المقاومة، ود. أحمد علي (قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية ببهاولبور) بحثاً عن الشاعر الفلسطيني سميح القاسم ودوره في أدب المقاومة، والسيد ألطاف حسين لنجريال (قسم العلوم الإسلامية بالجامعة الإسلامية ببهاولبور) بحثاً عن المنظومات الأردية التي تناولت قضيتي فلسطين وكشمير في باكستان، ثم قدم د. عبد الماجد نديم (قسم اللغة العربية بجامعة البنجاب) بحثاً عن أدب المقاومة في فلسطين، وقدم السيد حافظ محمد سميع الله (باحث إسلامي لدرجة الدكتوراه بجامعة البنجاب) بحثاً عن حركة التحرير في فلسطين والاتجاهات الغربية، كما قدم د. عبد الرحيم (قسم اللغة العربية بجامعة بهاء الدين زكريا بالملتان) بحثاً عن الشاعر المعروف عبد الرحيم محمود وشعره في قضية فلسطين، وقدم د. محمد عبد الله (مركز الشيخ زايد الإسلامي بجامعة البنجاب) بحثاً عن الشاعر الأردي المعروف فيض أحمد فيض وشعره في قضية فلسطين، وفي النهاية تحدث رئيس الجلسة تعليقاً على المقالات وأهميتها، وكان د. محمد أرشد المسؤول عن تقديم المنصة.

- أما الجلسة الرابعة فكانت في اليوم التالي ٩ أبريل ٢٠٠٩م، وعقدت بقاعة مجلس جامعة البنجاب التي امتلأت بالحاضرين، وكان رئيس الجلسة السيد أوريا جان مقبول (مسؤول الإعلام السابق في حكومة البنجاب والصحفي المعروف)، وكان عنوان الجلسة أدب المقاومة الكشميري.

وممن قدموا مقالات في هذه الجلسة كل من د. حامد أشرف همداني (قسم اللغة العربية بجامعة البنجاب)، عن شعر المقاومة العربي الذي أبدعه شعراء باكستان، ود. ساجدة بت (فيصل آباد) عن دولة إسرائيل، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ود. راحيلة خالد قريشي (قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية ببهاولبور) عن شاعر المقاومة الفلسطيني محمود درويش، ود. عبد القدوس صهيب (مدير المركز البحثي بجامعة بهاء الدين زكريا بالملتان) عن الخلفية التاريخية والواقع الحاضر لأدب المقاومة الكشميري، ثم قدم د. علي أصغر ششتي قصيدة له عن المقاومة الكشميرية، كما ألقى د. حافظ عبد القدير (قسم اللغة العربية بجامعة البنجاب) بحثاً عن شعر المقاومة بين الشاعر الأردني حبيب جالب والشاعر العربي نزار قباني، كما ألقى د. محمد أشرف قريشي (رئيس قسم الدراسات الكشميرية بجامعة البنجاب) بحثاً عن شعر المقاومة في اللغة الكشميرية. وفي النهاية ألقى السيد أوريا جان مقبول رئيس الجلسة كلمته، وقام د. عارف بمهمة تقديم المنصة في هذه الجلسة.

- أما الجلسة الخامسة والأخيرة فقد عقدت في الثانية عشرة من ظهر نفس اليوم، وتحدث فيها كل من د. محمد سجاد تترالوي (قسم الدراسات الإسلامية بجامعة العلامة إقبال المفتوحة بإسلام آباد) عن أدب المقاومة في كشمير المحتلة، والسيدة حفصة نسرين (قسم دائرة المعارف الإسلامية بجامعة البنجاب) عن الحلول الاقتصادية لقضية فلسطين، والسيدة خالدة جميل الأديبة المعروفة عن الحلول العملية لقضيتي كشمير وفلسطين، والسيد محمد جاويد عن شاعر المقاومة الكبير محمود درويش. وفي النهاية تلا د. الحافظ عبد القدير توصيات المؤتمر واقتراحاته فيما يتعلق بقضية فلسطين، وتلا د. القارئ محمد طاهر توصيات المؤتمر واقتراحاته فيما يتعلق بقضية كشمير.

وفي ختام المؤتمر ألقى مولانا الحافظ فضل الرحيم رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في باكستان كلمة المكتب، ثم قدم د. محمود الحسن عارف الشكر للضيوف والقائمين على إعداد المؤتمر والمشاركين والمتعاونين فيه.





العدد السابع/ ربيع الأول ١٤٣٠هـ



العدد الأول/ ربيع الثاني ١٤٣٠هـ



العدد ٤٧/ تموز-آب ٢٠٠٩م





مكتب اليمن - صنعاء

سمير عطية في فعاليات القدس عاصمة الثقافة العربية

استضاف المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية باليمن يوم الأربعاء ٢٥/٥/١٤٣٠هـ الموافق ٢٠/٥/٢٠٠٩م، الشاعر الفلسطيني سمير عطية في أمسية شعرية حافلة، بدأت بترحيب د . محمد أحمد العامري عضو الهيئة الإدارية للمكتب بالشاعر سمير عطية، وبالحاضرين، ثم قدم الأستاذ محمد عبدالرازق أبو مصطفى عضو الرابطة رئيس لجنة الشعر بالمكتب تعريفا بالشاعر سمير محمود عطية.

ثم قدم الشاعر باقة رائعة من قصائده الحماسية، يقول في قصيدته، (قصيدة دم واحدة تكفي):

وقفت قصائدنا ثكالى عند أسوار البطولة
وقفت لتبكي..
وعيون غزة ما بكت وطن الرجولة
هي ذي تقاتل بالأظافر
ما باعت الأرض الحبيبة بالضفائر

ومن قصيدة غناء الدروب يقول:

عبق الشهادة في الدروب أغاني
وعيون تبحرُ في هوى الأوطانِ
ودماء تنقش بالمفاخر قبضةً
ويذوب فوق حنينها وجداني

ثم شارك الأستاذ الشاعر أحمد هادي جمال الدين بقصيدة رمزية بعنوان (بين أم وابنتها)، ومنها قوله:

سنعيد فلسطين لتحيا
عيش الحرية إسلاما
فانتسبي يا أم إليها
إن كان هواك الإكراما

ثم ألقى الشاعر محمد عبدالرازق أبو مصطفى قصيدته (سقط اللواء) منها:

سقط اللواء ولا يدٌ تعلي اللواء
صعد البكاء ولا مدى يلقى البكاء
يا جعفر الطيار قد قطعت يدي
ويدٌ تخضبها على اللهب الدماء

كما شارك الشاعر زين العابدين الضبيبي بقصيدته (غبار الذل)، ومنها:

ستون عاماً والمآذن تنصب الآهات
تمثالا..
لعل الفتح يأتيها..
من الباب الذي ما زال مفتوحاً..
على أشلائها المتناثرات..

وشارك الشاعر سامي المحشوشي، بقصيدة (خواطر السيف)، منها:

يا قدس جيل النصر آت فابشري لا تسأمي..
خطي على وجه الجدار حكاية النصر السمي..
واستنشقي عبق الأريج لنصرنا وتبسمي..

كما شاركت الشاعرة أمة الرحمن الشرفي بقصيدة (فلسطين تصرخ):

فلسطين يا ويلنا تستغيث
وتصرخ في صمتنا ثائرهْ
وفينا تنادي بقايا الضمير
وبعض مروءاتنا العامرهْ
وتشكو وفي قلبها غصة
وفي عينها نظرة حائرهْ

واختتمت الأمسية بالشكر الجزيل للشعراء المشاركين والحاضرين. حضر الأمسية جمعٌ من الأدباء والمهتمين وأعضاء الرابطة.

مكتب الهند - لكنو

دراسة أدبية لكتب السيرة النبوية باللغات المختلفة

عقد مكتب شبه القارة الهندية لرابطة الأدب الإسلامية العالمية ندوته السابعة والعشرين بعنوان: دراسة أدبية لكتب السيرة النبوية باللغات المختلفة، في المدة ما بين ١٣-١٤ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ، الموافق ٧-٨ يونيو ٢٠٠٩م، بالتنسيق مع جامعة كاشف العلوم في مدينة أورنك آباد بولاية بهاراشترا بالهند.

وشارك في الندوة (١٠٣) مندوب من الأدباء والعلماء والكتاب، وعقدت أربع جلسات للبحوث قدمت خلالها(٢٧) بحثا، وخصصت جلسة للافتتاح وجلسة لختام المؤتمر وقراءة التوصيات. ولقيت الندوة إقبالا كبيرا، وتم نشر فعالياتها في وسائل الإعلام المحلية.

وعقدت الجلسة الافتتاحية برئاسة الدكتور سعيد الرحمن الأعظمي مدير دار العلوم لندوة العلماء، ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي، في قاعة نهرو بهون، فألقى د. الأعظمي الضوء على عالمية الرسالة المحمدية، وأبرز الملامح الأدبية للسيرة النبوية.



الشيخ محمد الرابع

وقدم الشيخ رياض الدين الفاروقي الندوي رئيس جامعة كاشف العلوم كلمة الاستقبال ورحب بالضيوف والمندوبين، والمشاركين من الكتاب ببحوثهم. ثم قدم الأستاذ محمد واضح الندوي الأمين العام المساعد لرابطة الأدب الإسلامي تقريره السنوي، الذي بين في كلمته أهداف الرابطة ونشأتها ومسيرتها، وألقى الكلمة نيابة عنه الأستاذ إقبال أحمد الندوي.

وقدم الأستاذ محمود حسن الندوي كلمة سماحة الشيخ محمد الرابع الندوي نائب رئيس الرابطة ورئيس مكتب شبه القارة الهندية، وتناولت الكلمة السيرة النبوية من جوانب مختلفة. وألقى الضوء على أساليب كتابة السيرة النبوية بلغات مختلفة، وتاريخ كتابتها باللغة العربية والأوردية، ومراحل تطورها عبر العصور.

وأدار جلسة الافتتاح الأستاذ عبد القدير المدني أستاذ الأدب والتفسير بجامعة كاشف العلوم، والأستاذ محمد إلياس الندوي البهتكلي.

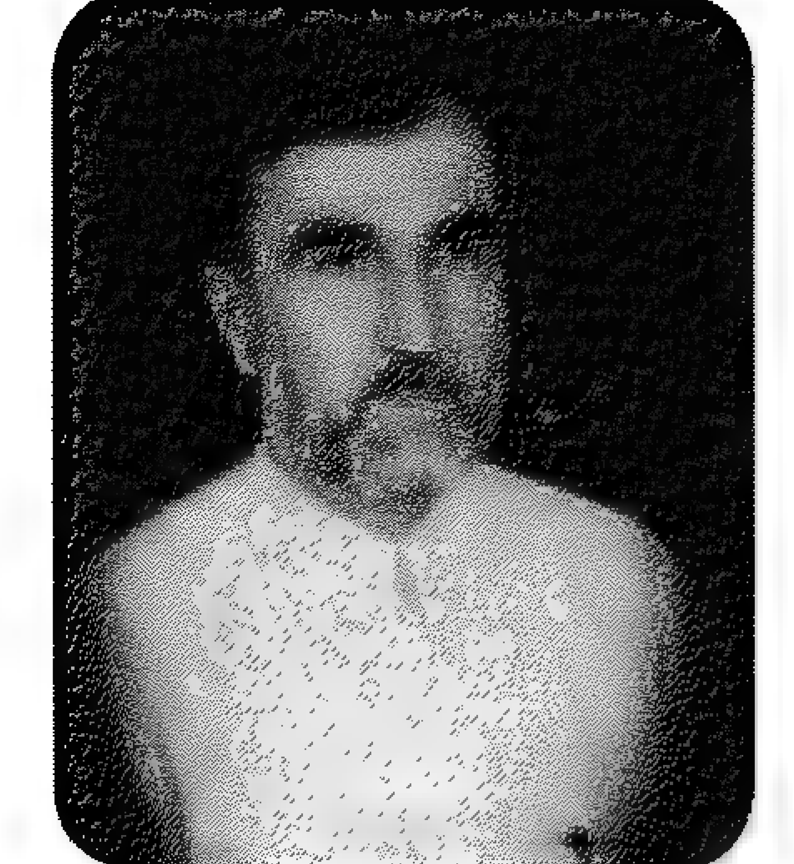
و قدمت البحوث على مدى يومين في أربع جلسات ترأسها كل من: د، سعيد الأعظمي الندوي، ود. شفيق أحمد الندوي، ود، أبو سفيان الإصلاحي، ود، أنيس جشتي.

وعقدت الجلسة الختامية برئاسة سماحة الشيخ محمد الرابع الندوي وقدم فيها د. شفيق أحمد الندوي نائب رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بالهند تقريره عن أعمال المكتب، وقدم الأستاذ إلياس البهتكلي تقرير فرع الرابطة ببهتكل، ثم قرأ الأستاذ ضياء الحسن الندوي توصيات المؤتمر، والتي من أهمها:

- نشر البحوث المقدمة للمؤتمر باللغات الهندية، والأوردية، والعربية، والإنكليزية.
- لفت انتباه المسؤولين عن المدارس الإسلامية والجامعات العصرية إلى الاهتمام بالجوانب الأدبية في السيرة النبوية، وتحديد موضوعات للدراسات العليا تتناول الجوانب الأدبية والفنية والاجتماعية والخلقية في السيرة النبوية.
- مناشدة المدارس والجامعات المشاركة في المؤتمر إنشاء مراكز للسيرة النبوية لتشجيع كتابة البحوث والدراسات حول السيرة النبوية.

وفي مساء اليوم الثامن من يونيو عقدت جامعة كاشف العلوم اجتماعا عاما حضره الألوف من أهالي مدينة أورنك آباد والبلدات المجاورة لها، وتحدث في الاجتماع سماحة الشيخ محمد الرابع الندوي، ودعا في حديثه إلى إقامة مجتمع إسلامي يتجلى فيه الإسلام في أروع مظاهره، لتقديم الأسوة الحسنة عن الإسلام للعالم.

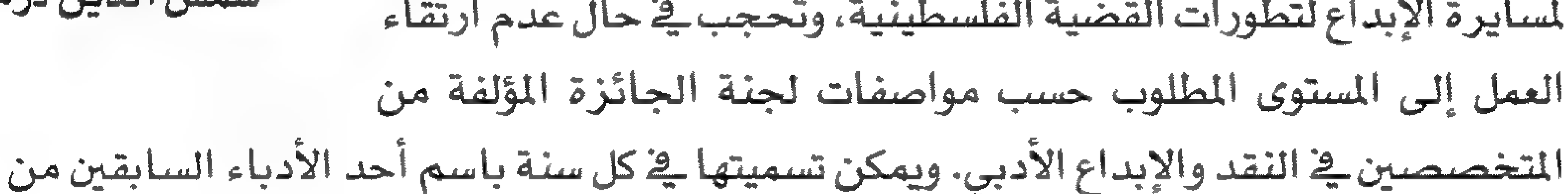
جائزة فلسطين الأدبية



شمس الدين درمش

في حمى المسابقات الأدبية والجوائز المرصودة لها داهمتني بقوة فكرة إنشاء جائزة أدبية لفلسطين، ترصد لأحسن عمل أدبي في مجالات الفنون الأدبية من الشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرحية وأدب الأطفال وغيرها،مما يمكن إضافتها أو تعديل مسماها.

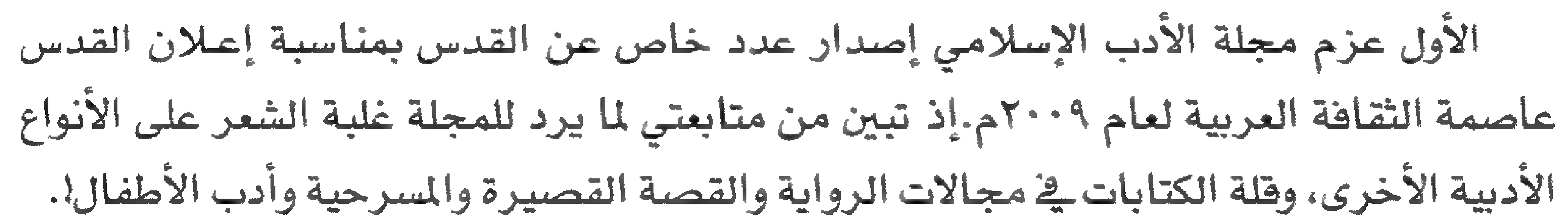
وتكون الجائزة سنوية للأعمال التي تنشر أول مرة حتى تكون دافعا لمسايرة الإبداع لتطورات القضية الفلسطينية، وتحجب في حال عدم ارتقاء العمل إلى المستوى المطلوب حسب مواصفات لجنة الجائزة المؤلفة من



المتخصصين في النقد والإبداع الأدبي. ويمكن تسميتها في كل سنة باسم أحد الأدباء السابقين من القدامى والمحدثين الذين سخروا أدبهم لخدمة القضية الفلسطينية.



وقد قوى هذه الفكرة لدي، وجعلها ملحة أمران:



الأول عزم مجلة الأدب الإسلامي إصدار عدد خاص عن القدس بمناسبة إعلان القدس عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م.إذ تبين من متابعتي لما يرد للمجلة غلبة الشعر على الأنواع الأدبية الأخرى، وقلة الكتابات في مجالات الرواية والقصة القصيرة والمسرحية وأدب الأطفال!.

وبناء على ذلك استكتبت المجلة عن القدس في الرواية، والقصة القصيرة، والمسرحية. وجاءت مقدمة دراسة الناقد د. محمد صالح الشنطي عن القدس في الرواية مؤكدة ضعف معالجة قضية القدس، وأنه في حين توجد أكثر من مئة رواية عبرية عن القدس، لا تتجاوز الروايات العربية العشر!

والأمر الآخر هو اطلاعي على معظم الأعمال الأدبية للأديب الإسلامي الكبير علي أحمد باكثير، الذي كتب خمس مسرحيات طويلة، يزيد كل منها على مئة صفحة، وهي : (شعب الله المختار، وشيلوك الجديد، والتوراة الضائعة، وإله إسرائيل، ولباس العفة) بالإضافة إلى ما يزيد على خمسين مسرحية قصيرة ذات صلة مباشرة بالقضية الفلسطينية أو بما له علاقة بها، تناول فيها أبعاد القضية من جوانب متعددة. وجاءت معظم كتاباته في السنوات (١٩٤٦- ١٩٤٩م) عندما بدأت أبعاد المؤامرة الدولية على فلسطين تتضح أكثر، وأحدق الخطر الصهيوني بأهلها، ثم وقعت الكارثة.

وتضع هذه المسرحيات باكثير في قمة الريادة في الدفاع عن فلسطين أدبيا بشكل عام، ومسرحيا بشكل خاص من دون منازع، ويستحق بذلك أن تدشن هذه الجائزة باسمه، ولعل إحدى الهيئات والمؤسسات الأدبية والثقافية الفلسطينية أو العربية تتبنى هذه الفكرة، وتعمل على إخراجها إلى حيز الوجود! لما سيكون لها من أثر كبير في تعميق فهم أبعاد القضية الفلسطينية من خلال توظيف الأدب ■

كشاف مجلة الأدب الإسلامي

فهرس الموضوعات - المجلد السادس عشر - الأعداد ٦١-٦٤

الموضوع	الكاتب	العدد والصفحة
● الافتتاحية		
- الأدب الإسلامي والأمن الفكري	رئيس التحرير	١/٦٣
- الأدب الإسلامي وضمير الأمة	رئيس التحرير	١/٦١
- القدس بين الفتح والاحتلال	رئيس التحرير	١/٦٤
- المتسلقون والمتسلطون	رئيس التحرير	١/٦٢
● بريد الأدب الإسلامي		
- أهنئكم وأبارك لكم	كمال خليفة	١١٠/٦٢
- حين يغدو الشتم حضارة	صادق مهدي الطيب	١١٠/٦٢
- خطرات فكر	علي خضران القرشي	٦٤/٦٣
- سرقات أدبية مع سبق الإصرار والترصد	عبدالله عبدالعزيز الجمعان	٧٥/٦٣
- عتاب محب	خلف محمد كمال	١١٠/٦٢
- لوح واقعي متقن	غازي مختار طليمات	٦٤/٦٣
- مع العدد الخاص بالأميري	باسل الرفاعي	١٠٩/٦١
- مع العدد الخاص بالأميري	حسن شهاب الدين	١٠٩/٦١
- مع العدد الخاص بالأميري	خلف حسن خلف	١٠٩/٦١
● تراث الأدب الإسلامي		
- إياك والأماني / نثر	الحسن البصري	٥٥/٦١
- خليلي عوجا / شعر	النابغة الجعدي	٥٤/٦١
- رثاء الشباب / شعر	رياط المعنى	٥٣/٦٢
- القلم واللسان / نثر	علي بن محمد خلف الهمذاني	٤٩/٦٣
- من مراثي الشباب/ نثر	علي بن محمد خلف الهمذاني	٥٢/٦٢
● تعقيب		
- قصتان قصيرتان دون المستوى	محمد أحمد فقيه	٧٢/٦٣
- وقفة مع نجيب محفوظ وروايته رحلة ابن فطومة	محمد بسام ملص	٧٢/٦١
● ثمرات المطابع		
- الأدونيسية وإرهاصات النهاية	محمد علي البدوي	٧٢/٦٢
- أمانة الكلمة عند المبدع المسلم	صالح أبو عراد	٦٤/٦١
- خيانة التنوير	هاشم صالح	٥٨/٦٣
● خاطرة		
- حدائق الحب	حسين التلسيني	١١/٦١
- ذكرى عابرة	نجوى ناظر	١٧/٦٢
- رسالة إلى ليلي الحزين	أديب قبلان	٩٧/٦٢
- سطور من ملحمة كتبت بماء الفرات	صالحة رحوتي	٥٧/٦٢
- كلمات	فوزية العمري	٢٤/٦١
- معزوفات على أوتار الجرح	نجاة رجاح	٩/٦٢
● دراسات		
- الإبداع الشعري في ديوان نقوش على واجهة القرن ١٥ للعشماوي	عبدالله علي الأنصاري	٥٦/٦١



تابع فهرس الموضوعات - المجلد السادس عشر - الأعداد ٦١-٦٤

تابع فهرس الموضوعات - المجلد السادس عشر - الأعداد ٦١-٦٤



تابع فهرس الموضوعات - المجلد السادس عشر - الأعداد ٦١-٦٤

كشاف مجلة الأدب الإسلامي

فهرس الكتاب - المجلد السادس عشر - الأعداد ٦١-٦٤







فهرس الكتاب - المجلد السادس عشر - الأعداد ٦١-٦٤





تأجيل ندوة علي أحمد باكثير

تعلن رابطة الأدب الإسلامي العالمية عن تأجيل الندوة العالمية التي بعنوان: (علي أحمد باكثير ومكانته الأدبية) إلى موعدها الجديد من: ٢٩ صفر إلى ١ ربيع الأول ١٤٣١هـ، الموافق ١٣-١٥ شباط (فبراير) ٢٠١٠م، وتعقد بالتعاون مع جمعية الأدب الإسلامي بالقاهرة وتتضمن المحاور الآتية:

المحور الأول: حياة باكثير وأثرها في أدبه.

المحور الثاني: باكثير كاتباً مسرحياً:

أ – آفاق مسرح باكثير:

■ المسرح السياسي: • فلسطين واليهود • مصر وقضاياها الوطنية • قضايا العالم العربي والإسلامي.

■ المسرح الاجتماعي: • تنوع القضايا الاجتماعية (الأخلاق – العلاقات الأسرية – قضايا أخرى) • الطرح الواقعي والرؤية الإسلامية.

■ المسرح الإنساني: • القضاء والقدر • الخير والشر • انتصار الفطرة.

ب – ملامح عامة في مسرح باكثير:

■ البناء المسرحي ■ استلهام التاريخ القديم والأساطير ■ استلهام التراث الإسلامي ■ الإسقاط السياسي ■ لغة المسرح ■ الريادة والتجديد في المسرح ■ أثر باكثير في نهضة الحركة المسرحية في مصر ■ موازنة بين مسرح باكثير ومسرح توفيق الحكيم.

المحور الثالث: باكثير كاتباً روائياً:

أ – آفاق الرواية: ■ الروايات التاريخية ■ الموضوعات المعاصرة.

ب – ملامح عامة في روايات باكثير: ■ رائد التصور الإسلامي في الرواية التاريخية ■ التوظيف الفني والفكري ■ الإسقاط السياسي والرؤية المستقبلية.

المحور الرابع: باكثير شاعراً:

أ – آفاق الشعر: ■ القضايا الوطنية والإسلامية ■ شخصيات تاريخية ■ رجالات العصر ■ أناشيد باكثير.

ب – ملامح عامة في شعر باكثير: ■ ريادة باكثير للشعر الحر ■ أسلوبه بين التراث والمعاصرة.

القواعد المنظمة للندوة:

أولاً: يرسل البحث بالبريد الإلكتروني: info@adabislami.org أو بالبريد المسجل ص.ب ٥٥٤٤٦ - الرياض ١١٥٣٤.

ثانياً: يتم تقديم البحث فيما لا يزيد على ٢٥ صفحة قبل الأول من كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٩م مطبوعاً على الحاسب الآلي.

ثالثاً: سيتم إبلاغ أصحاب البحوث المختارة بعد تحكيمها بمكان انعقاد الملتقى بالقاهرة والبرنامج التنفيذي.

رابعاً: تتحمل رابطة الأدب الإسلامي العالمية نفقات السفر والإقامة لأصحاب البحوث المقبولة فقط.

مزيد من التفاصيل في موقع الرابطة: www.adabislami.org